

روضة الواعظين وبصيرة المتعظين

لأبى على محمد بن الحسن الفتال النيشابورى

الذى استشهد سنة ٥٠٨ للهجرة

- موضوع الكتاب
- سبب التأليف
- أسلوب الكتاب
- مواضيع الكتاب
- اعتبار روايات الكتاب
- هذه النسخة

موضوع الكتاب

أصول العقائد والأخلاق والآداب، وحياة فضائل المعصومين عليهم السلام.

سبب التأليف

يذكر المؤلف فى مقدمة كتابه أنه فى أوائل شبابه كان عنده مجلس وكان الناس يسألونه عن موضوعات متفرقة وأنه كان يجب عنها وكانوا يسألونه أن يحدثهم فى الموعظة والزهد والآداب وغيرها. وعندما رجع إلى كتب الأصحاب لم يجد كتاباً جامعاً لذلك فصمم على أن يؤلف كتاباً يورد فيه الآيات والروايات ويوضح فيه هذه الموضوعات.

أسلوب الكتاب

لقد كان للمؤلف فى هذا الكتاب أسلوب واضح وهوائه: يذكر فى بداية كل مجلس الآيات القرآنية حول الموضوع، ثم يضم إليها روايات النبى والأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين، ثم يوضح الموضوع بقدر المستطاع ويحاول الاستدلال عليه. ولقد طرح البحوث العقلية كالتوحيد والعدل والجبر والاختيار مدعومة بالروايات، ولم يأت بالبحث العقلى المحض. وقد ذكر المؤلف فى المقدمة بأنه قد حذف جميع أسانيد روايات الكتاب وذلك أولاً: لأنها روايات معروفة ومسندة فى كتب غيره من المؤلفين.

وثانياً: فإن هدفه لم يكن تأليف كتاب روائى وإنما أراد أن يكتب كتاباً أخلاقياً لتهديب النفوس ولكى يستفاد منه فى السير والسلوك، وفى مثل هذه الكتب ينبغى حذف أسانيد الروايات، لكى لا يشعر القارئ بالملل ولا يصبح حجم الكتاب كبيراً.

مواضيع الكتاب

يقع الكتاب فى جزئين:

- الجزء الأول، وفيه ٣٠ مجلساً. ويحوى البحوث العقلية والمعارف وأصول الدين وحياة النبى والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين إلى الإمام العسكرى عليه السلام.
- الجزء الثانى، وفيه أكثر من ٧٠ مجلساً. يبدأ بحياة وإمامة إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، ثم مناقب وفضائل النبى وأهل البيت عليهم السلام ثم عناوين متفرقة فى الأخلاق والوعظ والحكم مثل: القبر، البرزخ، القيامة، الطهارة، الزواج، الحقوق، فضائل الأشهر.

اعتبار روايات الكتاب

توجد هنا نكتتان:

- ١ مع أن روايات هذا الكتاب غير مسندة ولكن هذا لم يؤثر فى اعتبار هذه الروايات وذلك لأن المؤلف قد صرح بأنه حذف أسانيد رعاية للاختصار وإلا فإن أسانيد رعاية موجودة عنده، وأيضاً فإنها روايات معروفة وليست شاذة لا يمكن العثور على أسانيد رعاية.
- ٢ النكتة الثانية أن ظاهر بعض روايات هذا الكتاب مخالف للشيعة ومطابق للحشوية وغيرهم، فيجب التدقيق فيها للتعرف على معانيها الصحيحة أو الاستفسار من أهل العلم عنها، وذلك لأن المؤلف قد أكد على أنه لم يذكر رواية فى هذا الكتاب ما لم يكن معناها صحيحاً ومطابقاً لما تقوله الشيعة. وقد أكد ذلك فى بداية الكتاب وفى الخاتمة.

هذه النسخة

توجد فى هذه النسخة مقدمة وتحقيق للكتاب قام به محمد مهدي السيد حسن الخرسان. وفى نهاية الكتاب فهرس لموضوعات ومجالس الكتاب.

محمد بن حسن الفتال النيشابورى

- الاشتراك فى الاسم
- أساتذته
- تلامذته
- مؤلفاته
- شهادته

هو محمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي الفتال النيشابوري المعروف بابن الفتال وابن الفارسي. وهومن علماء القرن الخامس الهجري.

الاشتراك فى الاسم

هناك صعوبتان تواجهان الدارس لابن الفتال هما:

١ - لقد عرفه البعض باسم: محمد بن حسن، وبعض آخر: محمد بن علي، وبعض ثالث: محمد بن أحمد، حتى أن ابن شهر آشوب فى مناقبه عبر عنه بتعبيرين.

ويمكن القول فى حل هذه المشكلة أن اسمه الصحيح والكامل هو: محمد بن حسن بن علي بن أحمد، وبسبب كون كل من أبيه وجده وجده الأكبر من العلماء الكبار فإنه تارة ينسب إلى أبيه وأخرى إلى جده أو جده الأكبر، وهذه الأسماء كلها تعبر عن شخصية واحدة.

٢ - الجهة الثانية للتشابه والاشتراك هى أن الشيخ منتجب الدين فى الفهرست ذكر شخصين تحت اسم: الفتال النيشابوري، أحدهما صاحب كتاب روضة الواعظين والآخر صاحب التفسير الذى يقول بأنى نقلت هذا التفسير بواسطة أفراد معتمدين.

وهكذا يرى آقا بزرگ بأنهما شخصان وقد اشتبه من جعلهما شخصاً واحداً.

وفى المقابل فقد اعتبرهما كثير من أصحاب التراجم شخصاً واحداً وبملاحظة أنه لم يذكر الفتال صاحب التفسير سوى منتجب الدين ولا يوجد له أى أثر أو اسم فى مكان آخر فإن اتحادهما فى شخصية واحدة قول قريب من الواقع وهذا رأى يؤيده بعض العلماء كالعلامة المجلسى وصاحب روضات الجنات والمحدث النورى.

وأما كون منتجب الدين يصرح بأنه نقل تفسير الفتال بواسطة النقات فإن هذا ليس دليلاً على وجود فترة زمنية فاصلة بينهما إذ يمكن أن يكونا متعاصرين ولكنه ينقل كتابه بالواسطة إذ لم يسمع منه مباشرة.

ابن شهر آشوب معاصر للشيخ منتجب الدين وابن شهر آشوب تلميذ الفتال النيشابوري.

أساتذته

١ - والده الشيخ حسن بن علي الفتال

٢ - شيخ الطائفة، الشيخ الطوسى

ص: ٣

٣ - السيد المرتضى، علم الهدى

٤ - الشيخ عبد الجبار بن عبد الله

٥ - مرتضى أبوالحسن المطهر

تلامذته

لم يصل إلينا من أسماء تلامذته سوى شخصين:

١ - ابن شهر آشوب المازندراني

٢ - علي بن حسن النيشابوري

مؤلفاته

مما يؤسف له أن المعلومات حول مؤلفاته قليلة ولا نعرف من مؤلفاته سوى:

١ - روضة الواعظين وبصيرة المتعطين، وهو من مصادر بحار الأنوار وطبع مراراً في إيران والعراق.

٢ - كتاب التنوير في معاني التفسير.

شهادته

لا يعرف بالضبط سبب شهادته ولكنها كانت بأمر من عبد الرزاق شهاب الإسلام، وزير السلطان سنجر السلجوقي الذي وصل إلى منصب الوزارة بعد عزل ابن عمه وكان ظالماً بل من أكثر وزراء تلك الفترة ظلاماً وفي غاية القسوة والبعد عن الدين فلم يكن يتحرج من أى ذنب وبهذا نال ابن فتال النيشابوري درجة الشهادة سنة ٥٠٨ هـ، على يد شقى من أشقياء الزمان.

ص: ٤

للفاتل النيسابورى تأليف الشيخ العلامة زين المحدثين محمد بن الفاتل النيسابورى

الشهيد فى سنة ٥٠٨

من أعلام القرنين الخامس والسادس الهجريين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله استتماما لنعمته واستسلاما لربوبيته واستعصاما من معصيته وصلى الله على محمد خيرته على بريته وعلى الطيبين الطاهرين من عترته وسلم تسليما كثيرا. وبعد فإننى كنت فى عنفوان شبابى قد اتفقت لى مجالس وعرضت محافل والناس يسألوننى عن أصول ديانات وإبانة الفروع عنها فى المقامات فأجبتهم عنها بجواب يكفيهم ومقال يشفيهم فحاولوا عنى بالكلام فى التذكير والزهد والمواعظ والزواج والحكم والآداب فرجعت إلى كتب أصحابنا فما وجدت لهم كتابا يشتمل على جميع هذه المطلوبات ويدور على جمل هذه المذكورات إلا متبترات فى كتبهم ومتفرقات فى زبرهم فهممت أن أجمع كتابا يشتمل على بعض كلام الله ويدور على محاسن أخبار النبى ص ويحتوى على جواهر كلام الأئمة ع وأبويه أبوابا ومجالس وأضع كل جنس موضعه فإنه لم يسبقنى أحد من أصحابنا إلى تأليف مثل هذا الكتاب فكان التعب به أكثر والنصب أعم وأكثر وأنا إن شاء الله أفتتح لكل مجلس منها بكلام الله تعالى ثم بآثار النبى والأئمة ع محذوفة الأسانيد فإن الأسانيد لا طائل فيها إذا كان الخبر شائعا ذائعا ووقعت تسميته بروضة الواعظين وبصيرة المتعظين وإن ورد خبر فى هذا الكتاب يقتضى ظاهره مذهب الحشوو الاختلاط ينبغى أن يتأمله الناظر ويتفكر فيه فإن عرف تأويله عرف معناه وإن لم يظهر له معناه رجع إلى من عرف معناه ليعرفه المراد به فإن كلام النبى والأئمة ع ليس له مزية على كلام الله فكلام الله تعالى لم يخل من المتشابه فكذلك كلام النبى ص والأئمة ع لكنه يرجع إلى من كان عالما حاذقا بصيرا بالأصول والفروع واللغة والإعراب حتى يتبين المراد فيعلم أنه ليس بين كلام الله تعالى والنبى والأئمة ع

ص: ٢

تناقض سوى من كان من أهل الحشوو قليل البضاعة فى العلم وأنا أذكر أمام هذا الكتاب طرفا من الأصول لأنها المفزع وإليها المرجع بعد أن أذكر الكلام فى العقول والعلوم والله الموفق للصواب بمنه ولطفه

مجلس فى ماهية العقول وفضلها

قال الله تعالى فى سورة آل عمران إِنَّ فى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ. وقال تعالى فى سورة طه كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولَى النَّهْيِ. وقال فى سورة والفجر

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ. العقل فى عرف المتكلمين عبارة عن مجموع علوم وهى ثلاثة أقسام أولها العلم بأصول الأدلة وثانيها ما لا يتم العلم بهذه الأصول إلا معه وثالثها ما لا يتم الغرض المطلوب إلا معه. فالأول العلم بأحوال الأجسام التى تتغير من حركة وسكون والعلم باستحالة خلواتها من النفى والإثبات المتقابلين والعلم بأحوال الفاعلين وغير ذلك وليس يصح العلم بذلك إلا ممن يجب أن يكون عالما بالمدرجات إذا أدركها وارتفع اللبس عنها وممن إذا مارس الصنائع يعلم. والعلم بالعادات من أصول الأدلة الشرعية لا بد منه وهومن القسم الثانى. والقسم الثالث العلم بجهات المدح والذم والخوف وطرق المضار حتى يصح خوفه من إهمال النظر فيجب عليه النظر والتوصل به إلى العلم والذى يدل على أن ذلك هو العقل لا غير أنه متى تكاملت هذه العلوم كان عاقلا ولا يكون عاقلا إلا وهذه العلوم حاصلة له ولو كان للعقل معنى آخر لجاز حصول هذه العلوم ولا يحصل ذلك المعنى فلا يكون عاقلا أو يحصل ذلك المعنى ويكون عاقلا وإن لم تكن له هذه العلوم والعلم خلاف ذلك

ص: ٣

قال رسول الله ص رأس العقل بعد الإيمان بالله التحبب إلى الناس

وقال أيضا ص قسم الله العقل على ثلاثة أجزاء فمن كان فيه كمل عقله ومن لم يكن فيه فلا عقل له حسن المعرفة بالله وحسن الطاعة له وحسن الصبر له

وقال الصادق ع فى خبر طويل وبالعقل يكمل وهو دليله وبصره ومفتاح أمره

قال أمير المؤمنين ع هبط جبرئيل على آدم ع فقال يا آدم إني أمرت أخيرك واحدة من ثلاث فاختر واحدة ودع اثنتين فقال له آدم وأما الثلاث يا جبرئيل قال العقل والحياة والدين قال آدم فإني اخترت العقل قال جبرئيل للحياة والدين انصرفا فقالا يا جبرئيل إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان قال فشأنكما وعرج

وقال أبو عبد الله ع لم يقسم بين العباد أقل من الخمس اليقين والقنوع والصبر والشكر والذى يكمل به هذا كله من العقل

قال رسول الله ص إن الله تعالى خلق العقل من نور مخزون مكنون فى سابق علمه الذى لم يطلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب فجعل العلم نفسه والفهم وجهه والزهد رأسه والحياة عينيه والحكمة لسانه والرافة همه والرحمة قلبه ثم غشاه وقواه بعشرة أشياء باليقين والإيمان والصدق والسكينة والإخلاص والرفق والعطية والقنوع والتسليم والشكر ثم قال له عز وجل أدبر فادبر ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال له تكلم فقال الحمد لله الذى ليس له ضد ولا ند ولا شبيه ولا كفء ولا عديل ولا مثل الذى كل شيء لعظمته خاضع ذليل فقال له الرب تعالى وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أحسن منك ولا أطوع لى منك ولا أرفع منك ولا أشرف منك ولا أعز منك بك أوحد وبك أعبد وبك أدعى وبك أرتجى وبك أبتغى وبك أخاف وبك أحذر وبك

الثواب وبك العقاب فخر العقل عند ذلك ساجدا فكان في سجوده ألف عام وقال الرب تبارك وتعالى ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فرفع العقل رأسه فقال إلهي أسألك أن تشفعني فيمن خلقتني فيه

ص: ٤

فقال الله جل جلاله لملائكته أشهدكم أني قد شفعتني فيمن خلقتني فيه

قال أمير المؤمنين ع عقول النساء في جمالهن وجمال الرجال في عقولهم

وقال أيضا ع أصل الإنسان لبه وعقله دينه ومروته حيث يجعل نفسه والأيام دول والناس إلى آدم شرع سواء

سئل الرضا ع فقليل ما العقل قال التجرع للغصة ومداينة الأعداء ومداينة الأصدقاء روى ذلك عن الحسن بن علي ع إلا قوله ومداينة الأصدقاء

قال أمير المؤمنين ع صدر العاقل صندوق سره لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالأدب اعقلوا الخير إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل لا مال أعود من العقل ولا عقل كالتدبير وليس للعاقل أن يكون شاخصا إلا في ثلاث مرمة لمعاش أوخطوة إلى معاد أولدة في غير محرم ما استودع الله امرأ عقلا إلا استنقذه به يوما ما

وروى أن النبي ص قيل له ما العقل قال العمل بطاعة الله وأن العمال بطاعة الله هم العقلاء

وروى أن رسول الله ص مر بمجنون فقال ما له فقليل إنه مجنون فقال بل هو مصاب إنما المجنون من آثر الدنيا على الآخرة

وروى عن أمير المؤمنين ع النبي ص أنه قال ينبغي للعاقل إذا كان عاقلا أن يكون له أربع ساعات من النهار ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يأتي أهل العلم الذين يبصرونه أمر دينه وينصحونه وساعة يخلي بين نفسه ولذتها من أمر الدنيا فيما يحل ويجمل

وقال رسول الله ص لكل شيء معدن ومعدن التقى قلوب العاقلين

وروى عن ابن عباس أنه قال أساس الدين بنى على العقل وفرضت الفرائض على العقل وربنا يعرف بالعقل ويتوسل إليه بالعقل والعاقل أقرب إلى ربه من جميع المجتهدين بغير عقل ولتمتال ذرة من بر العاقل أفضل من جهاد الجاهل ألف عام

قال النبي ص قوام المرء عقله ولا دين لمن لا عقل له

ص: ٥

قال الشاعر

القلب لولا العقل كان فريسة لا يستشار كسائر الأعضاء والعقل لولا الرشد والتوفيق من ذى العرش كان كسائر الأهواء

وقيل أيضا

أشد عيوب المرء جهل عيوبه ولا شيء بالأقوام أزرى من الجهل وما فات ذا خير من العقل سهمه وإن كان محروما فقد فاز بالعقل

وقال الشاعر

صائن العقل مصان ولقد ضاع مضيعه مشرق العقل مضىء ساطع النور سطيعه حصن ذى العقل حصين فى ذرى العز منيعه فاز بالطوبى من العقل إلى الله شفيعه بارك الله على العقل ونجى من يطيعه

باب الكلام فى ماهية العلوم وفضلها

وقال الله تعالى فى سورة المجادلة يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ العلم ما اقتضى سكون النفس إلى ما تناوله ولا يكون لذلك إلا وهو اعتقاد الشيء على ما هو به مع سكون النفس وهو على ضربين ضرورى ومكتسب فالضرورى هو من فعل غيرنا فينا على وجه لا يمكننا دفعه عن أنفسنا والمكتسب هو ما كان من فعلنا لوجوب وقوعه بحسب دواعينا وأحوالنا ففارق بذلك العلم الضرورى الذى يحصل من فعل الله فينا هذا ما حده المتكلمون

وروى عن الصادق ع عن رسول الله ص أنه قال والذى نفسى بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم

وعنه أيضا قال قال رسول الله ص مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة

ص: ٦

وعنه قال سئل أمير المؤمنين ع من أعلم الناس قال من جمع علم الناس إلى علمه

وسئل الصادق ع الحديث الذى جاء عن النبي ص إن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر ما معناه قال ع هذا على أن يأمره بقدر معرفته وهو مع ذلك يقبل وإلا فلا

قال رسول الله ص أشرف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل

وقال أيضا ص حملة القرآن عرفاء أهل الجنة

وأيضاً قال أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع

وقال أيضاً كلمتان فاحتملوهما كلمة حكمة من سفيه وكلمة سفه من حكيم فاغفروها

قال رسول الله ص صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي قيل يا رسول الله من هما قال الفقهاء والأمرء

وقال ع لا خير في العيش إلا لرجلين عالم مطاع أو مستمع واع

وقال أبو عبد الله ع أنهاك عن خصلتين فيهما هلك الرجال أن تدين الله بالباطل وتفتي الناس بما لا تعلم

قال أمير المؤمنين ع قطع ظهري رجلان من الدنيا رجل عليم اللسان فاسق ورجل جاهل القلب ناسك هذا يصد بلسانه عن فسقه وهذا بنسكه عن جهله فاتقوا الفاسق من العلماء والجاهل من المتعبدین أولئك فتنة كل مفتون فإنني سمعت رسول الله ص يقول يا علي هلاك أمتي على يدي كل منافق عليم اللسان

قال رسول الله ص لا سهر إلا في ثلاث متهجد بالقرآن وفي طلب العلم أو عروس تهدي إلى زوجها

قال أبو عبد الله ع الناس يغدون على ثلاثة عالم ومتعلم وغناء فحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غناء

قال أمير المؤمنين ع قوام الدين بأربعة بعالم ناطق مستعمل له وبغني لا يبخل بفضله على أهل دين الله وبفقير لا يبيع آخرته بدنياه وبجاهل لا يتكبر عن طلب العلم فإذا كنتم العالم علمه وبخل الغني بفضله وباع الفقير آخرته بدنياه واستكبر الجاهل عن طلب العلم رجعت الدنيا على تراثها قهقهري ولا يغرنكم كثرة المساجد وأجساد القوم مختلفة

ص: ٧

قيل يا أمير المؤمنين كيف العيش في ذلك الزمان قال خالطوهم بالبرانية يعني في الظاهر وخالفوهم في الباطن للمرء ما اكتسب وهو مع من أحب وانتظروا مع ذلك الفرج من الله تعالى

قال الصادق ع العلم خزائن والمفاتيح السؤال فاسألوا يرحمكم الله فإنه يؤجر أربعة السائل والمتكلم والمستمع والمحِب لهم

قال أبو عبد الله ع إن من العلماء من يحب أن يخزن علمه فلا يؤخذ عنه فذاك في الدرك الأول من النار ومن العلماء من إذا وعظ أنف وإذا وعظ عنف فذاك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوى الثروة ولا يرى له في المسكين وضعاً وذاك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبايرة والسلاطين فإن رد عليه شيء من قوله أو قصر في شيء من أمره غضب فذاك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليعز به علمه ويكثر به حديثه فذاك

فى الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول سلونى ولعله لا يصيب حرفا والله لا يحب المتكلفين فذاك فى الدرك السادس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروة ونبلا فذاك فى الدرك السابع من النار

قال أبوجعفر ع قال رسول الله ص لم يعبد الله بشىء أفضل من العقل ولا يكون المؤمن عاقلا حتى تجتمع فيه عشر خصال من العلم الخير منه مأمول والشر منه مأمون يستكثر قليل الخير من غيره ويستقل كثير الخير من نفسه ولا يسأم من طلب العلم طول عمره ولا يتبرم بطلب الحوائج قبالة الذل أحب إليه من العز والفقر أحب إليه من الغنى نصيبه من الدنيا القوت والعاشرة وما العاشرة لا يرى أحدا إلا قال هو خير منى وأتقى الناس رجلا فرجل هو خير منه وأتقى وآخر هو شر منه وأدنى فإذا رأى من هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به فإذا لقي الذى هو شر منه وأدنى قال عسى خير هذا باطن وشره ظاهر وعسى أن يختم له بخير فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وساد أهل زمانه

وقال رسول الله ص من حفظ عنى من أمتى أربعين حديثا من السنة كنت له شفيعا يوم القيامة

ص: ٨

وقال رسول الله ص من حفظ عنى من أمتى أربعين حديثا فى أمر دينه يريد به وجه الله والدار الآخرة بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما

قال الصادق ع من حفظ عنا أربعين حديثا من أحاديثنا فى الحلال والحرام بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما ولم يعذبه

قال على بن الحسين ع حق سائسك بالعلم التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والإقبال عليه وأن لا ترفع عليه صوتك ولا تجيب أحدا يسأله عن شىء حتى يكون هو الذى يجيب ولا تحدث فى مجلسه أحدا ولا تغتاب عنده أحدا وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك وأن تستر به عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس له عدوا ولا تعادى له ولما فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه الله تعالى لا للناس

قال أمير المؤمنين ع من دخل فى الإسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله فى كل سنة مائتا دينار فى بيت مال المسلمين إن منع فى الدنيا أخذها يوم القيامة وافية وهو أحوج ما يكون إليها

قال أبوعبد الله ع إنى لأرحم ثلاث وحق لهم أن يرحم عزيز أصابته مذلة بعد العز وغنى أصابته حاجة بعد الغنى وعالم يستخف به أهله والجهلة

قال رسول الله ص أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه وأكثر الناس قيمة أكثرهم علما وأقل الناس قيمة أقلهم علما وأولى الناس بالحق أعلمهم به وأحكم الناس من فر من جهال الناس

قال رسول الله ص المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة سترا فيما بينه وبين النار وأعطاه الله تعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات وما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم إلا ناداه ربه جلست إلى حبيبي وعزتي وجلالي لأسكنك الجنة ولا أبالي

قال رسول الله ص من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى له وإنه ليستغفر لطالب العلم من فى السماء ومن فى الأرض حتى الحوت فى البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على

ص: ٩

سائر النجوم ليلة البدر وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر

قال أمير المؤمنين ع تعلم العلم فإن تعلمه حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وهو عند الله لأهله قرينة لأنه معالم الحلال والحرام وسالك بطالبه سبيل الجنة فهو أنيس فى الوحشة وصاحب فى الوحدة وسلاح على الأعداء وزين الأخلاء يرفع الله به أقواما يجعلهم فى الخير أئمة يقتدى بهم يرمى أعمالهم ويقتبس آثارهم وترغب الملائكة فى خلتهم يمسحونهم بأجنحتهم فى صلواتهم لأن العلم حياة القلوب ونور الأبصار من العمى وقوة الأبدان من الضعف ينزل الله حامله منازل الأبدال ويمنحه مجالسة الأخيار فى الدنيا والآخرة بالعلم يطاع الله ويعبد وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام والعلم إمام العقل والعقل تابعه يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء

وقال أيضا ع طلبية هذا العلم على ثلاثة أصناف ألا فاعرفوهم بصفاتهم وأعيانهم صنف منهم يتعلمون للمراء والجهل وصنف منهم يتعلمون للاستطالة والختل وصنف منهم يتعلمون للفقه والعقل فأما صاحب المراء والجهل تراه مؤذيا مماريا للرجال فى ندية المقال قد تسربل بالتخشع وتخلى من التورع فدق الله من هذا حيزومه وقطع منه خيشومه وأما صاحب الاستطالة والختل فإنه يستطيل على أشباهه وأشكاله ويتواضع للأغنياء من دونهم فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فأعمى الله من هذا بصره وقطع من آثار العلماء أثره وأما صاحب الفقه والعقل تراه ذا كآبة وحزن قد قام الليل فى خندسه وقد انحنى فى برنسه ويعمل ويخشى خائفا وجلا من كل أحد إلا من كل ثقة من إخوانه فشد الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه

قال أبو عبد الله ع إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الخلق فى صعيد واحد ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء

قال الباقر ع قراءة القرآن ثلاثة رجل قرأ القرآن فاتخذة بضاعة واستجر به الملوك واستطال به على الناس ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيع حدوده ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه وأسهر به ليله وأظلم به نهاره

ص: ١٠

وقام به فى مساجده وتجافى به عن فراشه فبأولئك يدفع الله تعالى البلاء وبأولئك يدبى الله من الأعداء وبذلك ينزل الغيث من السماء والله لهؤلاء فى قراء القرآن أعز من الكبريت الأحمر

قال الصادق ع اطلبوا العلم وتزبنوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم

قال رسول الله ص من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك ومن أفتى الناس وهولا يعلم الناس من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك

وقال أيضا ص العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق ولا تزيده سرعة السير من الطريق إلا بعدا

قال أمير المؤمنين ع الشاخص فى طلب العلم كالمجاهد فى سبيل الله إن طلب العلم فريضة على كل مسلم وكم من مؤمن يخرج من منزله فى طلب العلم فلا يرجع إلا مغفورا

وقال أيضا العلم وراثة كريمة والأدب حلل مجددة والفكر مرآة صافية قيمة كل امرئ ما يحسن ولا علم كالنظر ولا شرف كالعلم

قال كميل بن زياد أخذ بيدي أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع فأخرجنى إلى الجبانة فلما أصر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ عنى ما أقول لك الناس ثلاثة فعالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكوك على الإنفاق وصنيع المال يزول بزواله يا كميل معرفة العلم دين يدان به يكتسب الإنسان الطاعة فى حياته وجميل الأحدث بعد وفاته والعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل هلك خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة

قال رسول الله ص إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا أو قتل أحد والديه أو عالم لم ينتفع بعلمه

ص: ١١

وقال ص أيضا علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علما فطلب به وجه الله والدار الآخرة وبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا قليلا فذلك يستغفر له من فى البحور ودواب البر والبحر والطير فى جوال السماء ويقدم على الله سيدا شريفا ورجل آتاه الله علما فبخل به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا قليلا فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار وينادى ملك من الملائكة على رءوس الأشهاد هذا فلان ابن فلان آتاه الله علما فى دار الدنيا فبخل به على عبادته حتى يفرغ من الحساب

وروى عن علي بن أبي طالب ع قال قال رسول الله ص من طلب العلم لله لم يصب منه بابا إلا ازداد به في نفسه ذلا وفي الناس تواضعا ولله خوفا وفي الدين اجتهدا وذلك الذي ينتفع بالعلم فليتعلمه ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والحظوة عند السلطان لم يصب منه بابا إلا ازداد في نفسه عظمة وعلى الناس استطالة وبالله اغترارا ومن الدين جفاء فذلك الذي لا ينتفع بالعلم فليكف وليمسك عن الحجة على نفسه والندامة والخزى يوم القيامة

قال رسول الله ص إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به أو صدقة تجرى له أو ولد صالح يدعوله

وقال أيضا ص يشفع يوم القيامة للأنبياء ثم الشهداء ثم العلماء ثم الشهداء

وقال ابن عباس خير سليمان النبي بين العلم والملك والمال فاختر العلم فأعطى الملك والمال معه

وقال لقمان لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله عز وجل يحبي القلوب بنور الحكمة كما يحبي الأرض بوابل السماء

وقال أمير المؤمنين ع يا مؤمن إن هذا العلم والأدب ثمن نفسك فاجتهد في تعلمها فما يزيد من علمك وأدبك يزيد في ثمنك وقدرك فإن بالعلم تهتدى إلى ربك وبالأدب تحسن خدمة ربك وبأدب الخدمة يستوجب العبد ولايته وقربه فاقبل النصيحة كي تنجو من العذاب

وقال رسول الله ص اطلبوا العلم ولو بالطين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم

ص: ١٢

وقال أيضا ع ساعة من عالم يتكئ على فراشه ينظر في عمله خير من عبادة العابد سبعين عاما

وقال أيضا ع فضل العالم على العابد بسبعين درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاما وذلك أن الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم فينها عنها والعابد مقبل على عبادته لا يتوجه لها ولا يعرفها

وقال ع من تعلم مسألة واحدة قلد يوم القيامة ألف قلادة من نور وغفر له ألف ذنب وبنى له مدينة من ذهب وكتب له بكل شعرة على جسده حجة وعمرة

وروى بعض الصحابة قال جاء رجل من الأنصار إلى النبي فقال يا رسول الله إذا حضرت جنازة أو حضر مجلس عالم أيهما أحب إليك أن أشهد فقال رسول الله ص إن كان للجنازة من يتبعها ويدفنها فإن حضور مجلس العالم أفضل من حضور ألف جنازة ومن عيادة ألف مريض ومن قيام ألف ليلة ومن صيام ألف يوم ومن ألف درهم يتصدق بها على المساكين ومن ألف حجة سوى الفريضة ومن ألف غزوة سوى الواجب

تغزوها فى سبيل الله بمالك ونفسك وأين تقع هذه المشاهد من مشهد عالم أ ما علمت أن الله يطاع بالعلم
ويعبد بالعلم وخير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل

وقال رسول الله ص أ لا أحدثكم عن أقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء
بمنزلهم من الله على منابر من نور قيل من هم يا رسول الله قال هم الذين يحبون عباد الله إلى الله ويحبون
الله إلى عباده قلنا هذا حب الله إلى عباده فكيف يحبون عباد الله إلى الله قال يأمرهم بما يحب الله وينهونهم
عما يكره الله فإذا أطاعوهم أحبهم الله

وقال أيضا ص من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا

وقال ص من تعلم بابا من العلم عمل به أولم يعمل كان أفضل من أن يصلى ألف ركعة تطوعا

قال الشاعر

لا تترك العلم أن تستفيده فإن استفاد العلم أفضل مغنم وكن للذى لم تحصه متعلما وأما الذى أحصيت منه
فعلم

ص: ١٣

إذا ما المسك طيب ريح قوم كفانى ذاك رائحة المداد فما شئ بأحسن من بنان على حافاته أثر السواد

يعبد رفيع القوم من كان عالما وإن لم يكن فى قومه بحسيب وإن حل أرضا عاش فيها بعلمه وما عالم فى بلدة
بغريب أرى العلم نورا والتأدب حلية فخذ منهما فى رغبة بنصيب وما اجتماعا إلا لمن صح عقله وكم عالم
بالشئ غير لبيب

العلم فيه جلاله ومهابة والعلم أنفع من كنوز الجواهر تفنى الكنوز على الزمان وصرفه والعلم يبقى باقيات
الأعصر

مصاييح الأنام بكل أرض هم العلماء أبناء الكرام فلولوا علمهم فى كل باب كنور البدر لاح بلا غمام لكان الدين
يدرس بعد حين كما درس الرسوم من الرمام

العلم أشرف مطلوب ومكتسب لأن مذموم علم غير موجود وما سواه من الأشياء منقسم فى نوعه بين مذموم
ومحمود

مجلس فى معرفة الله وما يتعلق بها

باب الكلام فى النظر وما يؤدى إليه

اعلم أن الله تعالى نبه على حدث العالم بأدلة فقال في سورة البقرة إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

ص: ١٤

وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وقوله تعالى في هذه السورة يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ يدل على حدث العالم والسماء والأرض. وقال تعالى في هذه السورة أَوْكَالَ الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طُعَامِكِ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لِمَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أَوْكَالَ الَّذِي مَرَّ إِلَى آخِرِهَا. قال أبو عبد الله ع هو عزيز وقال أبو جعفر هو إرميا وقيل هو الخضر ع والقرية هي بيت المقدس لما خربها بخت نصر وقيل هي القرية التي خرج منها الألو ف حذر الموت خاويةً على عُرُوشِهَا معناه خالية وقيل هي قائمة على أساسها وقد وقع سقفها. وقيل إن الله تعالى أماته في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار فلاجل ذلك قال يوما أوبعض يوم ثم التفت فرأى بقية من الشمس قال أوبعض يوم والطعام الذي لم يغيره السنون كان عصيرا وتينا وعنبا فوجد العصير حلوا والتين والعنب كما جنيا لم يتغير وقيل بعثه الله شابا وأولاد أولاده شيوخ .

وروى أن أمير المؤمنين ع قال إن عزيزا خرج من أهله وامرأته حاملة وله خمسون سنة فأماته الله مائة عام ثم بعثه فرجع إلى أهله هو ابن خمسين سنة فكان ابنه أكبر منه وذلك من آيات الله

كَيْفَ نُنشِزُهَا يَعْنِي يَنْشِزُهَا بِالزَّيِّ

وروى عن أبي عبد الله ع أن إبراهيم رأى جيفة قد تمزقتها السباع تأكل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر فسأل الله تعالى أن يريه كيف

ص: ١٥

يحييها وقيل كان سبب ذلك منازعة نمرود له في الإحياء وتوعده إياه بالقتل إن لم يحيى الله بحيث يشاهده ولذلك قال ليطمئن قلبي إلى أنه لا يقتلني الجبار

وقال قوم إنما سأل ذلك لقومه كما سأل موسى الرؤية لقومه. وقال قوم إنما سألته لأنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان عالماً به من الاستدلال أ ولم تؤمن معناه التقرير وليس بإنكار بدليل قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي معناه ليزداد يقيناً إلى يقينه وقيل الطير هو الديك والطاوس والغراب والحمام .

وروى عن أبي جعفر وأبي عبد الله ع أن الجبال كانت عشرة

وفى رواية أخرى عنهما ع كانت سبعة وقيل هي أربعة والدعاء فى الآية معناه الإشارة وهذا من أعجب دلائل الله تعالى

وقال تعالى فى سورة آل عمران إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فبقينا عذاب النار وهذه الآية تدل على حسن النظر. وقال تعالى فى سورة الأنعام قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم. وقوله فى هذه السورة ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون وذلك وعيد فيمن لا ينظر فى هذه الآيات. وقال فيها وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلّا أساطير الأولين. وقوله تعالى فيها إن الله فالحق الحب والنوى إلى قوله إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون. وذكر تعالى فى سورة الأعراف إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطبئبه حشيشاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين. وقال تعالى فى سورة يونس هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نورا وقدره

ص: ١٦

منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلّا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون وقال تعالى فى سورة إبراهيم الله الذى خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دابين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار. وقوله تعالى فى النحل خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين وفى هذه السورة وإن لكم فى الأنعام لعلبة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ومن ثمرات النخيل والأغاب تتخذون منه سكرًا ورزقاً حسناً لأن ذلك الشراب يحصل بإلهام الله تعالى وكذلك فيما يحصل من أنواع الحرير. وقال تعالى فى سورة طه الذى جعل لكم الأرض مهذاً وملك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارزقوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى. وقال تعالى فى سورة الأنبياء وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لابين وقال فيها أ ولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى فلا يؤمنون. وقال تعالى فى سورة الحج أ لم تر أن الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق

عَلَيْهِ الْعَذَابُ. وَذَكَرَ فِيهَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ وَذَكَرَ تَعَالَى فِي سُورَةِ النُّورِ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَذَكَرَهُ فِي سُورَةِ النَّمْلِ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَى قَوْلِهِ إِنَّ كُنتُمْ

ص: ١٧

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الرُّومِ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنُفِثُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لُمْبُسِينَ فَأَنْظَرُ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَذَكَرَ فِي سُورَةِ لقمانَ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. وَقَالَ فِي سُورَةِ فاطرَ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ. وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ يسَ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ. وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الزمرِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا. وَقَالَ فِي سُورَةِ غافرِ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ وَذَكَرَ فِي آخِرِهِ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ. وَفِي سُورَةِ حمِ السجدة قُلْ أ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَقَالَ فِي حمِ عسقِ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ إِنْثَاءً وَيُجْزِلُ أَوْ يُزْجِلُ وَهُمُ الذُّكُورُ أَوْ إِنْثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا. وَقَالَ فِي سُورَةِ الجاثية إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ

ص: ١٨

مِنْ رَزَقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وقال في سورة النجم وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى وأن عليه النشأة الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو ربُّ الشَّعْرى وأنه أهلك عاداً الأولى وثمودَ فما أبقى وقومَ نوحٍ من قَبْلُ إلى آخر ما ذكره وكل ذلك أقوى في الدلالة عليه. وقوله تعالى في سورة الرحمن الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان. وقال تعالى في سورة الملك أ وَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ. وقال تعالى في سورة نوح أ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا. وذكر في سورة عم يتساءلون أ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا إِلَى قَوْلِهِ وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا. وقال تعالى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ يقال إن المشركين قالوا لرسول الله ص انسب وبين وصف لنا ربك فأنزل الله تعالى هذه السورة ولذلك سميت سورة الإخلاص وسورة نسبة الرب وسورة الولاية .

وروى عن أمير المؤمنين ع أنه قال الله أحد بلا تأويل عدد الله الصمد بلا تبعض به ولم يلد فيكون إلها مشاركا ولم يولد فيكون موروثا هالكا ولم يكن له كفوا أحد

واعلم أن الله تعالى قد ذكر في القرآن أدلة كثيرة على حدوث العالم وعلى إثباته وإثبات صفاته وما لا يجوز عليه وما يجوز أكثر مما ذكرنا وإنما لم نورد جملتها مخافة التطويل وفي هذا القدر كفاية إن شاء الله فينبغي للعاقل أن يتأمل في هذه الآيات وينظر فيها ليحصل له العلم بالله تعالى ويعلم أن ما قاله المتكلمون ليس بخارج من القرآن

ص: ١٩

والآثار الصحيحة لأنهم قالوا إن النظر في طريق معرفة الله تعالى واجب لأنه لا طريق إلى معرفته إلا النظر لأنه لا يخلو أن يكون الله تعالى معلوما بضرورة أو باستدلال فإن كان معلوما بضرورة ينبغى أن يتساوى العقلاء في أن الذراع أكبر من الشبر والعشرة أكثر من واحد وإن كان معلوما بالاستدلال فهو كما قلنا والله تعالى قال في سورة الأعراف أ وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ يَحْذَرُ بِذَلِكَ الْمَكْلَفِ حَتَّى لَا يَخْلُوفِي وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِهِ مِنَ النَّظَرِ لِأَنَّهُ لَا يَأْمَنُ مِنْ قَرَبِ أَجَلِهِ فَيَكُونُ كَالْمُسْتَعِدِّ لِمَا يَلْزَمُهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ. وقال في سورة الفرقان أ لَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا. وقال تعالى في سورة الروم أ وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي

أَنفُسَهُمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ ق أ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ. ثُمَّ قَالَ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا فَإِنْ الْمَرَادُ لِيَتَفَكَّرُوا فِي النَخِيلِ وَكَيْفِيَةِ تَرْكِيبِ طَلْعِهَا وَفِي الرِّمَانِ وَكَيْفِيَةِ تَنْضِيدِ حَبَاتِهَا. وَقَالَ فِي سُورَةِ الذَّارِيَّاتِ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلَا تُبْصِرُونَ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ. وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ عَبَسَ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. وَقَالَ فِي سُورَةِ الطَّارِقِ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْغَاشِيَةِ أَ فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكَرْ إِنَّمَا

ص: ٢٠

أَنْتَ مُذَكَّرٌ وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ الْاسْتِدْلَالُ بِهِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَعَلَى قُدْرَتِهِ فَكُلْ هَذِهِ الْآيَاتُ دَلَائِلُ عَلَى وَجُوبِ النَّظَرِ فِي مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ فَمَنْ تَأَمَّلَهَا وَتَدَبَّرَهَا وَتَفَكَّرَ فِيهَا عِلْمَ مَا قَلَنَاهُ .

قال رسول الله ص أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه

وقال أمير المؤمنين ع بصنع الله يستدل عليه وبالعقول تثبت معرفته وبالفكر تثبت حجته معروف بالدلالات مشهور بالبينات إلى آخر الخطبة

وسئل الرضا ع فقل ما الدليل على حدوث العالم قال أنت لم تكن ثم كنت وقد علمت أنك لم تكون نفسك ولا كونك من هو مثلك

فإذا ثبت وجوب النظر فينبغي أن ينظر في الأجسام دون الأعراض ليكون عليه أسهل وإلى معرفته تعالى أقرب والدليل على أن الأجسام محدثة أنه لو كانت قديمة لوجب أن تكون في الأزل في جهة من جهات العالم لأن ما هي عليه من الحجم والجهة يوجب ذلك فلا يخلو كونها في تلك الجهة إما أن يكون للنفس أول معنى قديم أول معنى محدث أو بالفاعل ولا يجوز أن يكون في جهة للنفس لأنه يوجب استحالة انتقالها لأن صفات النفس لا يجوز تغييرها وزوالها والمعلوم ضرورة صحة انتقالها ولا يجوز أن يكون كذلك لمعنى قديم لأنها لو كانت كذلك لوجب إذا انتقل الجسم أن يبطل ذلك المعنى لأن وجوده فيها على ما كان يوجب كونها في الجهتين معا وذلك محال والانتقال لا يجوز على المعنى لأنه من صفات الجسم والمعنى المحدث لا يوجب صفة في الأزل ولو كانت كذلك بالفاعل لوجب أن تكون محدثة لأن من شأن الفاعل أن يتقدم على فعله وذلك مستحيل في القديم فبطل بجميع الأقسام كونها في الأزل وإذا لم تكن قديمة كانت محدثة وإذا ثبت

ذلك يجب أن يكون العالم محدثا لأنه هو الجواهر والأعراض والآيات التي تقدمت دلائل على حدوث العالم وقد أطنب المتكلمون القول في هذا الفن وليس هذا موضعه

باب الكلام في فساد التقليد

اعلم أن حد التقليد هو قبول قول الغير بلا دليل وحجة فإذا ثبت حده فهو باطل لأنه لو لم يكن باطلا لم يكن تقليد المحق أولى من تقليد المبطل لأنه قبل النظر لا يعلم المحق من المبطل والقديم تعالى نصر قولنا في سورة البقرة فقال وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ

ص: ٢١

بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ. وقال في سورة آل عمران فَلَمْ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. وفي سورة الأنعام قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا. وقال تعالى في سورة يونس وما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. وقال في سورة بنى إسرائيل وَلَا تَقَفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا. وفي سورة الحج وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وفي سورة الحج وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ. وقال الله تعالى في حم الزخرف وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أُولَئِكَ هُمْ بَأْهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ. وقال تعالى في سورة الأنبياء وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. وقال في سورة التوبة اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ .

والمروى عنه ع ما اتخذوهم أربابا في الحقيقة لكنهم دخلوا تحت طاعتهم فصاروا بمنزلة من اتخذوهم أربابا ومثل ذلك روى عن الصادق ع أنه قال والله ما صلوا لهم ولا صاموا ولكن أحلوا لهم حراما وحرّموا عليهم حلالا فعبدوهم وهم لا يشعرون

ص: ٢٢

وقال أمير المؤمنين ع من أخذ دينه من أفواه الرجال أزالته الرجال ومن أخذ دينه من الكتاب والسنة زالت الجبال ولم يزل وهذا الخبر مروى عن الصادق ع أمير المؤمنين ع

وروى أن أبا شاعر الديصاني دخل على أبي عبد الله الصادق ع قال له إنك أحد النجوم الزواهر وكان آباؤك بدورا بواهر وأمهاتك عقيلات عباهر وعنصرك من أكرم العناصر إذا ذكر العلماء فيك تتنى الخناصر فخيرني أيها البحر الخضم الزاخر ما الدليل على حدوث العالم فقال الصادق ع يستدل عليه بأقرب الأشياء قال وما هو قال فدعا الصادق ع ببيضة ووضعها على راحته ثم قال هذا حصن ملموم داخله غرقى دقيق لطيف به فضة سائلة وذهبة مائعة ثم تنفلق عن مثل الطاوس أ دخلها شيء قال لا قال فهذا الدليل على حدوث العالم قال أخبرت فأوجزت وقلت فأحسنست فقد علمت أنا لا تقبل إلا ما أدركنا بأبصارنا أو سمعنا بأذاننا أو لمسنهنا بأكفنا وشممنهنا بمناخرنا وذقناه بأفواهنا أو تصور في القلوب بيانا واستنبطته الروايات إيقانا فقال الصادق ع ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع شيئا بغير دليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح

باب الكلام في صفات الله تعالى

اعلم أن الله تعالى قادر بدلالة صحة الفعل منه وتعذره على غيره وصحة الفعل تدل على كون فاعله قادرا. وقال تعالى في سورة الحج يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ والعزیز القادر الذى لا يمكن منعه. وقال تعالى في سورة الفرقان وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا وقال في سورة الروم فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يухي الأرض بعد موتها إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ص: ٢٣

وفى سورة الزمر ألا هو العزيز الغفار وقد بينا أن العزيز هو القادر الذى لا يمنع والآيات التى تقدمت فى باب حدوث الأجسام تدل على قدرته تعالى ويجب أن يكون تعالى عالما لأن أفعاله محكمة متقنة ليس فيها تفاوت فينبغى أن يكون عالما. قال تعالى فى سورة البقرة وهو بكل شيء عليم وفيها إني أعلم ما لا تعلمون وما الله بغافل عما تعملون وفى سورة آل عمران إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء. وفى سورة المائدة جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهرة الحرام والهدى والقلائد ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. وقوله فى سورة الأنعام وهو الله فى السماوات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون وقوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ويجب أن يكون تعالى حيا لأن القادر العالم يستحيل أن يكون ميتا. قال الله تعالى فى سورة البقرة الله لا إله إلا هو الحي القيوم وقال تعالى فى آل عمران الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم. وقال فى سورة حم المؤمن هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين. وقال فى هذه السورة هو الذى يухي ويميت والإحياء والإماتة لا تصح إلا ممن كان حيا. وقال تعالى فى سورة الحديد سبّح لله ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم له ملك السماوات والأرض يухي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ويجب أن يكون

موجودا لأن المعدوم لا يوصف بأنه أول وآخر ولأن القادر العالم الحي يستحيل أن يكون معدوما ويجب أن يكون تعالى قديما بهذه الآية وأيضا فلو كان محدثا لاحتاج إلى محدث كالكتابة يحتاج إلى كاتب والنساجة إلى ناسج والبناء إلى بان فلا يخلو أن يكون محدثه قديما أو محدثا

ص: ٢٤

فإن كان قديما فهو ما أردناه وإن كان محدثا أدى إلى إثبات المحدثين ومحدثي المحدثين لا نهاية لها وذلك باطل ويجب أن يكون سميعا بصيرا لأنه حي والآفات والموانع لا تجوز عليه ومن كان بهذه الصفة يجب أن يكون سميعا بصيرا. قال تعالى قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. وقال في سورة الملك أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ولا يجوز أن يكون الله تعالى جسما ولا جوهرًا ولا عرضا ولا من له صفات الأجسام والأعراض لأن هذه الأشياء محدثة وقد ثبت أنه قديم. وقال تعالى في سورة البقرة إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ولو كان جسما لما صح أن يكون إلا في مكان مخصوص وكان لا يصح أن يكون مع الصابرين. وقوله تعالى وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ولو كان جسما لما صح كونه قريبا من كل سائل. وقال تعالى في سورة النساء يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ. وقال الله تعالى إِنِّي مَعَكُمْ ولو كان جسما لما صح أن يوصف بأنه معهم. وفي سورة مريم هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا يعني مثلا وفي سورة حم عسق لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ كما يقال ليس مثل فلان سيد. وفي سورة ق وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ يعني إلى الإنسان ولا يجوز أن يكون تعالى في جهة لأن كون الشيء في جهة من صفات الأجسام ولا يجوز عليه تعالى الحاجة لأن الحاجة إنما تجوز على الأجسام والأعراض والله تعالى ليس بجسم ولا عرض قال تعالى في سورة آل عمران وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ. وقوله تعالى لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا. وفي سورة الأنعام وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ .

ص: ٢٥

وقال تعالى في سورة إبراهيم فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ. وقال تعالى في سورة العنكبوت وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ. وفي لقمان وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ وفي سورة فاطر يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وفي سورة التغابن وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ولا يجوز أن يكون الله تعالى قادرا بقدرة وعالما بعلم وكذلك جميع الصفات لأنه لا يخلو أن يكون قادرا بقدرة محدثة أو قديمة ولا يجوز أن يكون قادرا بقدرة محدثة لأن القدرة لو كانت محدثة لكانت من فعله وهو تعالى لا يكون قادرا إلا بعد وجود القدرة ولا تكون القدرة إلا بعد كونه قادرا فيتعلق كل واحد بالآخر وذلك باطل ولو كان قادرا بقدرة قديمة كان ذلك باطلا لأنه كان يكون مشاركا له في جميع صفاته تعالى لاشتراكه في صفة النفس. وقال تعالى وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ فلو كان عالما بعلم لوجب أن يكون فوقه عالم آخر وذلك باطل والتقديم تعالى واحد لأنه لو كان اثنين أو ثلاثة أو ما زاد على ذلك لكان يصح طريق التمانع بينهما. والله يقول في سورة البقرة فَلَا

تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَفِيهَا وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. وقال في سورة آل عمران
 الم الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ وقال فيها شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلَكُ وَالْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وفيها وما مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وفي سورة النساء إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ
 سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وقال تعالى في سورة الأنعام قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. وفي
 سورة النحل وقال اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وقال تعالى في بنى إسرائيل قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ
 كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا. وقال تعالى في آخرها وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
 يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِىٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا. وقال تعالى في الفرقان الَّذِى لَهُ مُلْكُ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا

ص: ٢٦

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ

وفي سورة الصافات إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ. وقال في سورة ص
 قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقَدِيمُ تَعَالَى مَرْتَبًا لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَرْتَبًا
 لَوْجِبَ أَنْ يَكُونَ فِى الْمَقَابِلِ أَوْ فِى حَكْمِ الْمَقَابِلِ وَالْمَقَابِلَةُ وَحَكْمُ الْمَقَابِلَةِ لَا يَجُوزُ أَنْ عَلَيْهِ تَعَالَى. قال تعالى في
 سورة البقرة وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. وقال
 تعالى في سورة النساء يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ
 فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً. وقال في سورة الأنعام لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. وفي
 سورة الأعراف رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا
 تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا. وفي سورة الفرقان وقال الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا
 الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَعَالَى فَاعِلًا لِلْقَبَائِحِ لِأَنَّهُ
 عَالِمٌ بِالْقَبِيحِ وَمُسْتَغْنٍ عَنْهُ وَالْعَالَمُ بِالْقَبِيحِ وَالْمُسْتَغْنَى عَنْهُ لَا يَخْتَارُهُ وَلَأنَّهُ حَكِيمٌ وَالْحَكِيمُ لَا يَخْتَارُ الْقَبَائِحَ. قال
 الله تعالى في سورة البقرة قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. وفي سورة النساء إِنَّ
 اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا. وفي سورة الأنعام عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ. وفيها إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.
 وفي سورة الممتحنة رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وفيها وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ. وفي سورة التين أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وإذا ثبت ذلك فلا يجوز أن

ص: ٢٧

يكون مریدا للقبايح لأنه صفة نقص وإرادة القبيح قبيحة فلا يجوز أن يفعله تعالى عن ذلك علوا كبيرا. وقال
 تعالى في سورة البقرة يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ. وقال إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْفُسَادَ. وقوله إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ. وقال في سورة آل عمران وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ.
 وفي سورة النساء يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ

يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا دلالة على أنه يريد ما يكون من باب الطاعة ولا يريد ما يكون من باب المعصية. وقال تعالى في سورة الأنعام سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ. وفي سورة النحل وقال الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ. وقال تعالى في سورة بني إسرائيل بعد ذكر ما عده من المعاصي والقبائح كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا. وفي سورة الزمر ولا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ. وقوله تعالى وما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فإذا ثبت ذلك فكل ما يفعله الله تعالى من الآلام والتكاليف وخلق المؤذيات والحشرات والسباع حسن لأنه ثبت أنه لا يفعل القبيح وإن لم نعلم وجه حسنها على وجه التفصيل وكلام الله تعالى محدث لأنه لو كان قديما لكان معه قديم آخر ولا يجوز عليه الزوال لو كان قديما. وقال تعالى في سورة البقرة ما نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا. وقال وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ فَبِينَ أَنْ لَهُ مِثْلًا لَا يَصِحُّ مِنْهُمْ .

ص: ٢٨

وفي سورة النساء وكانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا والأمر من جملة الكلام. وقال تعالى في سورة الأنعام قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً يَدِلْ عَلَىٰ حُدُوثِهِ لَأَنْ مَا يَتَنَوَلُهُ الْقُدْرَةُ لَا يَكُونُ إِلَّا حَادِثًا. وقال في سورة هود الرِّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. وقوله تعالى وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وهذا صريح في أن غيره تقدمه. وفي سورة يوسف إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا. وفي سورة الحجر وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُنَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ. وقال تعالى في سورة الأنبياء ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ. وقوله تعالى وهذا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ. وقال تعالى في سورة لقمان وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ. وفي سورة الحشر لَوَأْنَزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

وروى عن رسول الله ص أنه قال كان الله ولا شيء ثم خلق الذكر وإنه ليس فيما خلق الله شيء أعظم من آية في سورة البقرة اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ

باب الكلام في خلق الأفعال والقضاء والقدر

اعلم أن الواحد منا محدث لما يفعله بدلالة وجوب وقوعه بحسب دواعيه وأحواله ووجوب انتفائه بحسب صوارفه وكراهاته فلو لا أنه فعل له لم يكن موقوفا على دواعيه وكراهاته كطوله وقصره وألوانه وأيضاً فالمدح والذم راجعان عليه فوجب أن يكون فعله. قال تعالى في سورة البقرة لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. وقوله فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ.

وقال تعالى إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. وقال تعالى لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. وقال تعالى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. وقال تعالى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ. وَفِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَفِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ وَقَالَ فِيهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. وقال فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا. وَفِي سُورَةِ يُونُسَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ. وقال تعالى فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا. وَفِي سُورَةِ يَسَ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وَفِي سُورَةِ الزَّمَرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ. فالمحكي عن الحسن أنه قال نزلت فيمن يضيف الكفر والمعاصي إلى الله تعالى. وَفِي سُورَةِ الْجاثِيَةِ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وَفِي سُورَةِ النَّجْمِ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجِزَاءَ الْأَوْفَى. وَفِي سُورَةِ النَّعَامِ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ. واعلم أن القضاء في اللغة على أربعة أقسام أحدها بمعنى الخلق والأحداث كقوله تعالى فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ أَى خَلَقَهُنَّ. والثاني بمعنى الحكم لقوله تعالى وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ومنه اشتقاق القاضي.

والثالث بمعنى الأمر والإلزام لقوله تعالى وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ. والرابع بمعنى الإخبار والإعلام كقوله تعالى وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُنَا بِقَضَاءِ اللَّهِ بِمَعْنَى أَنَّهُ خَلَقَهَا لِأَنَّهُا فَعَلْنَا وَالْفعل الواحد لا يكون من فاعلين فأما القضاء بمعنى الحكم والإلزام فلا يجوز إجماعا. وأما القضاء بمعنى الإخبار والإعلام يجوز أن يقال على ضرب من التقييد لأن الله أخبر وأعلم ما لنا في فعل الطاعة من الثواب وما علينا بفعل المعاصي من العقاب .

وقد روى عن النبي ص أنه قال يقول الله تعالى من لم يرض بقضائي ولم يشكر على نعمائي ولم يصبر على بلائي فليتخذ ربا سواي

فلو كانت المعاصي بقضاء الله وإحداثه لوجب الرضا به وذلك خلاف الإجماع والقول في القدر على مثل ذلك لأن القدر يستعمل بمعنى الأحداث والخلق كما قال تعالى وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِقَاءُ يَوْمِهِمْ أَنْ يَحْكَمَ فِيهِمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ. ويستعمل القدر بمعنى التقدير فعلى هذا يجوز أن يقال أفعالنا بقدر الله بمعنى أنه قدر ما عليها من الثواب والعقاب فينبغي أن يقيد القول ولا يطلق

باب الكلام فيما ورد من الأخبار في معنى العدل والتوحيد

اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين ع وخطبه فإنها تتضمن ذلك ما لا مزيد عليه ولا غاية وراه ومن تأمل المأثور في ذلك علم أن جميع ما أظن المتكلمون في تصانيفهم تفصيل لتلك الأصول. وروى عن الأئمة ع مثل ذلك

قيل لأمر المؤمنين ع بم عرفت ربك قال بما عرفني ربي قيل وكيف عرفك قال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس

وقال أيضا ع عرفت ربي بفسخ العزائم وحل العقود

قال أمير المؤمنين ع اعرفوا الله بالله معناه بنصب أدلته على نفسه والرسول بالرسالة وأولى الأمر بالأمر وبالمعروف والعدل والإحسان

قال أبو جعفر ع قام رجل إلى أمير المؤمنين ع فقال يا أمير المؤمنين بما ذا عرفت ربك قال بفسخ العزائم ومنع الهمة لما أن هممت بأمر فحال بيني وبين همتي وعزمت فخالفت القضاء عزمي علمت أن المدبر غيري

ص: ٣١

قال فيما ذا شكرت نعمائه قال نظرت إلى بلائه قد صرفه عني وأبلى به غيري علمت أنه قد أنعم على فشكرته وروى عنه ع أنه يصف الله بمضاداته بين الأشياء علم أن لا ضد له وبمقارنته بين الأمور علم أن لا قرين له ضاد النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة بالبلل والبرد بالحر مؤلف بين معادياتها مفرق بين متدانياتها

وقيل لجعفر بن محمد الصادق ع بم عرفت ربك قال إني لما رأيت حصنا مزلقا أملس لا فرج فيه ولا خلل ظاهره من فضة مائعة وباطنه من ذهب مائعة انقلق منه طاموس وغراب ونسر وعصفور فعلمت أن للخلق صانعا وقيل له أيضا ع ما الدليل على أن للعالم صانعا فقال أكثر الأدلة في نفسي لأنني وجدت لها لا تعدو أحد أمرين إما أن أكون خلقتها وأنا موجود وإيجاد الموجود محال وإما أن أكون خلقتها وأنا معدوم فكيف يخلق لا شيء فلما رأيته فاسدتين من الجهتين جميعا علمت أن لي صانعا ومدبرا

وقال ع أحسنوا النظر فيما لا يسعكم جهله فإن لدين الله أركاننا لا ينفع من جهلها شدة اجتهاده في طلب ظاهر عبادته ولا يضر من عرفها فدان بها حسن اقتصاده ولا سبيل لأحد إلى ذلك إلا بعون من الله

وقيل لبعض الأعراب ما الدليل على أن للعالم صانعا فقال ويحك إن البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكلك علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة أ ما يدلان على الصانع الخبير

وقال أمير المؤمنين ع الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله

قال عبد العظيم بن عبد الله الحسنى دخلت على سيدى على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع فلما بصر بى قال لى مرحبا بك يا أبا القاسم أنت ولينا حقا قال فقلت له يا ابن رسول الله إنى أريد أن أعرض عليك معالم دينى فإن كان مرضيا أثبت عليه حتى ألقى الله عز وجل فقال هات يا أبا القاسم فقلت إنى أقول إن الله تبارك وتعالى واحد ليس كمنله شىء خارج من الحدين حد الإبطال وحد التشبيه وإنه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر بل هو مجسم

ص: ٣٢

الأجسام ومصور الصور وخالق الأعراض والجواهر ورب كل شىء ومالكة وجاعله ومحدثه وإن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين فلا نبى بعده إلى يوم القيامة وإن شريعته خاتم الشرائع فلا شريعة بعدها إلى يوم القيامة وأقول إن الإمام والخليفة وولى الأمر بعده أمير المؤمنين على بن أبى طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم على بن الحسين ثم محمد بن على ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم على بن موسى ثم محمد بن على ثم أنت يا مولاي فقال ع ومن بعدى الحسن ابنى فكيف للناس بالخلف من بعده قال وقلت فكيف ذلك يا مولاي قال لأنه لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما قال فقلت أقررت وأقول إن وليهم ولى الله وعدوهم عدو الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله وأقول إن المعراج حق والمساءلة فى القبر حق وإن الجنة حق والنار حق والصراط حق والميزان حق وإن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من فى القبور وأقول إن الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال على بن محمد ع يا أبا القاسم هذا دين الله الذى ارتضاه لعباده فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة

وروى أن أمير المؤمنين ع كان جالسا على المنبر فقال سلونى قبل أن تفقدونى فقام إليه رجل يقال له ذعلب فقال يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك قال ويحك يا ذعلب لم أكن بالذى أعبد ربا لم أره فقال فكيف رأيته صفه لنا قال ويلك لم تره العيون مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ويلك يا ذعلب إن ربى لا يوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون ولا بقيام انتصاب ولا بجيئة ولا بذهاب لطيف اللطافة لا يوصف باللفظ عظيم العظمة لا يوصف بالعظم كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ رءوف الرحمة لا يوصف بالرقّة مؤمن لا بعبادة مدرك لا بمحسنة قائل لا بلفظ هو فى الأشياء لا على ممازجة خارج منها على غير مباينة فوق كل شىء ولا يقال شىء فوقه أمام كل شىء ولا يقال له أمام دليل فى الأشياء لا كشىء فى شىء داخل وخارج منها لا كشىء من شىء خارج فخر ذعلب مغشيا عليه

ص: ٣٣

ثم قال تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب والله لا عدت إلى مثلها

وروى أن أعرابيا أتى جعفر بن محمد الصادق ع فقال هل رأيت ربك حين عبدته فقال لم أكن لأعبد ربا لم أره فقال كيف رأيته فقال لم تره الأبصار بمشاهدة العيان بل رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يدرك بالحواس

ولا يقاس بالناس معروف بالآيات منعت بالعلامات لا يجور في قضيته هو الله الذي لا إله إلا هو فقال الأعرابي الله أعلم حيث يجعل رسالته

وقيل لأمر المؤمنين ع كيف يحاسب الله الخلق قال كما رزقهم قيل له كيف يحاسبهم ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه

وسأله رجل أين كان ربك قبل أن يخلق السماء والأرض فقال ع أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وسأل محمد الحلبي جعفر بن محمد الصادق ع فقال هل رأى رسول الله ص ربه قال نعم رآه بقلبه فأما ربنا جل جلاله فلا تدركه أبصار حدق الناظرين ولا يحيط به أسماع السامعين

وروى صفوان بن يحيى قال دخل أبوقرة المحدث على أبي الحسن الرضا ع فسأله عن أشياء من الحلال والحرام والأحكام والفرائض حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبوقرة إنا رويناه أن الله تعالى قسم الكلام والرؤية فقسم لموسى الكلام ولمحمد ص الرؤية فقال الرضا فمن المبلغ عن الله تعالى إلى الثقلين الجن والإنس أنه لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علما وليس كمثلته شيء أ ليس محمد ص نبيا صادقا قال بلى قال فيكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعا فيخبرهم أنه جاء من عند الله تعالى يدعوهم إليه بأمره ويقول لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علما وليس كمثلته شيء ثم يقول سأراه بعيني وأحيط به علما أ ما تستحيون ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر قال أبوقرة فإنه يقول ولقد رآه نزلت أخرى عند سيرة المُنْتَهَى فقال ع ما بعد هذه الآية يدل على ما رأى حيث يقول ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رأى يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال لَقَدْ رَأَى مِنْ

ص: ٣٤

آيات ربه الكبرى وآيات الله غير الله وقد قال الله ولا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا فإذا رآته الأبصار فقد أحاطت به علما قال أبوقرة فأكذب بالرواية قال الرضا ع إذن القرآن كذبا وما أجمع عليه المسلمون أنه لا يحاط به علما ولا تدركه الأبصار وليس كمثلته شيء

وقال الرضا ع في قول الله عز وجل وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ قال يعنى مشرقة تنتظر ثواب ربها وقال أيضا في قول الله عز وجل لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وقال لا تدركه أوهام القلوب فكيف تدركه أبصار العيون

وسئل الصادق ع هل يرى الله في المعاد فقال سبحانه الله تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا إن الأبصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية والله خالق الألوان والكيفية

وقيل له ع إن رجلا رأى ربه في منامه فما يكون ذلك فقال ذلك رجل لا دين له إن الله تعالى لا يرى في اليقظة ولا في المنام ولا في الدنيا ولا في الآخرة

قال عكرمة بينما ابن عباس يحدث الناس إذ قام إليه نافع بن الأزرق فقال يا ابن عباس تفتى فى النملة والقملة صف لنا إلهك الذى تعبد فأتى ابن عباس إعظاما لله عز وجل وكان الحسين بن على ع قاعدا فى موضع فقال إلى يا ابن الأزرق فقال لست إياك أسأل فقال ابن عباس يا ابن الأزرق إنه من أهل بيت النبوة وهم ورثة العلم فأقبل نافع بن الأزرق نحو الحسين قال الحسين ع يا نافع إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر فى التباس مائلا على المنهاج ظاعنا فى الاعوجاج ضالا عن السبيل قائلا غير الجميل يا ابن الأزرق أصف إلهى بما وصف به نفسه وأعرف بما عرف به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس فهو قريب غير ملتصق وبعيد غير منفصل يوحد ولا يبعض معروف بالآيات موصوف بالعلامات لا إله إلا هو الكبير المتعال

ص: ٣٥

وقال الحسن بن خالد قلت للرضاع يا ابن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر لما روى فى الأخبار فى ذلك عن آبائك ع فقال يا ابن خالد أخبرنى عن الأخبار التى رويت عن آبائى ع فى التشبيه أكثر أم الأخبار التى رويت عن رسول الله ص فى ذلك فقلت بل ما روى عن النبى ص أكثر فقال فليقولوا إن رسول الله ص كان يقول بالتشبيه إذا فقلت له إنهم يقولون إن رسول الله لم يقل من ذلك شيئا وإنما روى عليه قال قولوا فى آبائى ع إنهم لم يقولوا من ذلك شيئا وإنما روى عليهم ثم قال ع من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ونحن منه براء فى الدنيا والآخرة يا ابن خالد إنما وضع الأخبار عنا فى التشبيه الغلاة الذين صغروا عظمة الله جل جلاله فمن أحبهم فقد أبغضنا إلى آخر الخبر

وقال محمد بن أبى عمير دخلت على سيدى موسى بن جعفر فقلت له يا ابن رسول الله علمنى التوحيد فقال يا أبا أحمد لا تتجاوز فى التوحيد ما ذكره الله تبارك وتعالى فى كتابه فتهلك واعلم أن الله تعالى واحد أحد صمد لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا شريكا وأنه الحى الذى لا يموت والقادر الذى لا يعجز والقاهر الذى لا يغلب والحليم الذى لا يعجل والدائم الذى لا يبيد والباقي الذى لا يفنى والثابت الذى لا يزول والغنى الذى لا يفتقر والعزیز الذى لا يذل والعالم الذى لا يجهل والعدل الذى لا يجور والحوادى الذى لا يبخل وأنه لا تقدره العقول ولا يقع عليه الأوهام ولا يحيط به الأقطار ولا يحويه مكان لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وليس كمثله شىء وهو السميع البصير ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا وهو الأول الذى لا شىء قبله والآخر الذى لا شىء بعده وهو القديم وما سواه محدث تعالى عن صفات المخلوقين علوا كبيرا

وسئل الصادق ع هل لله تعالى رضى وسخط فقال نعم وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين ولكن غضب الله عقابه ورضاه ثوابه

وقال أيضا ع إن الله تعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال

ص: ٣٦

ولا سكون بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
قال أبو عبد الله ع إياكم والتفكر في الله فإن التفكر في الله لا يزيد إلا تبيها إن الله عز وجل لا تدركه الأبصار
ولا يوصف بمقدار

قال الرضا ع إلهي بدت قدرتك ولم تبد واهية فجهلوك وبه قدروك والتقدير على غير ما به وصفوك وإني
بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك ليس كمثلك شيء إلهي ولن يدركوك وظاهر ما بهم من نعمك
دليلهم عليك لو عرفوك بل سووك بخلقك فمن ثم لم يعرفوك واتخذوا بعض آياتك ربا فبذلك وصفوك
تعاليت ربي عما به المشبهون نعتوك

وروى أنه جاء خبر من الأخبار إلى أمير المؤمنين ع فقال يا أمير المؤمنين متى كان ربك فقال ثكلتك أمك
ومتى لم يكن حتى يقال متى كان ربي كان ربي قبل القبل بلا قبل ويكون بعد البعد بلا بعد ولا غاية ولا منتهى
لغايتة انقطعت الغايات عنه فهو منتهى كل غاية

وقال الرضا ع من شبه الله بخلقه فهو مشرك ومن وصفه بالمكان فهو كافر ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كاذب
ثم تلا هذه الآية إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ

وروى شريح بن هانئ قال إن أعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين ع فقال يا أمير المؤمنين أ تقول إن
الله واحد قال فحمل الناس عليه وقالوا يا أعرابي أ ما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب فقال أمير
المؤمنين ع دعوه فإن الذي يريد الأعرابي هو الذي نريده من القوم ثم قال يا أعرابي إن القول بأن الله واحد
على أربعة أقسام فوجهان منها لا يجوز أن على الله تعالى ووجهان يثبتان فيه فأما اللذان لا يجوز أن عليه فقول
القائل واحد يقصد به باب الأعداد أ ما ترى أنه كفر من قال ثالث ثلاثة وقول القائل هو واحد من الناس يريد
به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز لأنه تشبيه جل ربنا تعالى عن ذلك وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول
القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربنا وقول القائل إنه أحدى المعنى يعنى به أنه لا ينقسم في
وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا

ص: ٣٧

وقد سئل الصادق ع عن قول الله تعالى وَأَنِّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ قال إذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا
وروى عن أبي جعفر ع أنه قال تكلموا في خلق ولا تكلموا في الله فإن الكلام في الله لا يزيد إلا تحيرا معناه
أنه لا يمكن الكلام في ذات الله إلا بعد الكلام في دلائلها ودلائلها مخلوقة لله ومنصوبة من جهته تعالى
وسئل الصادق ع عن قول الله عز وجل الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ فقال استوى من كل شيء فليس شيء
أقرب إليه من شيء

وقال ع من زعم أن الله من شيء أوفى شيء أو على شيء فقد أشرك ثم قال من زعم أن الله من شيء فقد جعله محدثا ومن زعم أنه في شيء فقد زعم أنه محصور ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولا

وروى عن أمير المؤمنين ع قال له رجل أين المعبود فقال لا يقال له أين لأنه أين الأينية ولا يقال له كيف لأنه كيف الكيفية ولا يقال له ما هو لأنه خلق الماهية سبحانه من عظيم تاهت الفطن في تيار أمواج عظمتة وحصرت الألباب عن ذكر أزليته وتحيرت العقول في أفلاك ملكوته

وروى عنه أيضا ع أنه قال اتقوا الله أن تمثلوا بالرب الذي لا مثل له أو تشبهوه بشيء من خلقه أو تلقوا عليه الأوهام أو تعملوا فيه الفكر أو تضربوا له الأمثال أو تتعنونه بنعوت المخلوقين فإن لمن فعل ذلك نارا

وقال الرضا ع لم يزل الله تبارك وتعالى عالما قادرا حيا قديما سميعا بصيرا فقيلا له يا ابن رسول الله إن قوما يقولون إنه عز وجل لم يزل عالما بعلم وقادرا بقدرة وحيا بحياة وقديما بقدم وسميعا بسمع وبصيرا ببصر فقال ع من قال بذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى وليس من ولايتنا على شيء ثم قال ع لم يزل الله تعالى عالما قادرا حيا قديما سميعا بصيرا لذاته تعالى عما يقول المشركون والمشبهون علوا كبيرا

وقيل للصادق ع أخبرنا عن الله تبارك وتعالى لم يزل سميعا بصيرا قادرا عالما قال نعم فقيلا له فإن رجلا ينتحل مواليتكم أهل البيت يقول إن الله تعالى لم يزل سميعا بسمع وبصيرا ببصر وعالما بعلم وقادرا بقدرة فغضب ع

ص: ٣٨

ثم قال من قال ذلك ودان به فهو مشرك وليس من ولايتنا على شيء إن الله تعالى ذات قادرة عالمة سميعة بصيرة

وسئل الصادق ع عن القرآن فقال هو كلام الله وقول الله ووحى الله وكتاب الله وتنزيله وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

وقال الرضا ع القرآن كلام الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدى في غيره ففضلوا

وروى أن علي بن محمد بن علي بن موسى ع كتب إلى بعض شيعته ببغداد بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياك من الفتنة فإن يفعل فأعظم بها نعمة وإلا يفعل وهى الهلكة نحن نرى أن الجدل في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق فالقرآن كلام الله لا تجعل له اسما من عندك فتكون من الظالمين جعلنا الله وإياكم من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون

وقال سليمان بن جعفر الجعفرى قلت لأبى الحسن موسى بن جعفر ع يا ابن رسول الله ما تقول فى القرآن فقد اختلف فيه من قبلنا فقال قوم إنه مخلوق وقال قوم إنه غير مخلوق فقال ع أما أنا لا أقول فى ذلك ما يقولون ولكنى أقول إنه كلام الله عز وجل

وقال الصادق ع إنا لا نقول جبرا ولا تفويضا

وقال أيضا ع لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين

وروى يزيد بن معاوية الشامى قال دخلت على على بن موسى الرضا ع بمرو فقلت له يا ابن رسول الله روى لنا عن الصادق ع أنه قال لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين فما معناه فقال من زعم أن الله عز وجل فعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم أن الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق إلى حجبته فقد قال بالتفويض فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك فقلت له يا ابن رسول الله فما أمر بين أمرين فقال وجود

ص: ٣٩

السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه فقلت فهل لله مشيئة وإرادة فى ذلك فقال أما الطاعات فإرادة الله ومشيئته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها وإرادته ومشيئته فى المعاصى النهى عنها والسخط لها والعقوبة عليها والخذلان لها فقلت فله فى القضاء قال نعم ما من فعل فعله العباد من خير وشر إلا والله فيه القضاء فقلت فما معنى هذا القضاء قال الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة

وقال أيضا ع من شبه الله بخلقه فهو مشرك ومن وصفه بالمكان فهو كافر ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كاذب ثم تلا هذه الآية إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ

وقال ع من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكاة ولا تقبلوا له شهادة إن الله عز وجل قال لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ولا يحملها فوق طاقتها ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى

وسئل أمير المؤمنين ع عن التوحيد والعدل فقال التوحيد ألا تتوهمه والعدل ألا تتهمه

وروى عن الصادق ع أنه قال إن أساس التوحيد وعلمه كثير ولا بد لعاقل منه فاذكر ما سهل الوقوف عليه ويتهيا حفظه فالتوحيد هو ألا تجوز على ربك ما جاز عليك والعدل ألا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه

وروى أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله الصادق ع فسلمت عليه وخرجت من عنده فرأيت ابنه موسى ع فى دهليز داره قاعدا فى مكتب وهو صغير السن فقلت له أين يحدث الغريب عندكم إذا أراد ذلك فنظر إلى ثم قال تجنب شطوط الأنهار ومسقط الثمار وفىء النزال وأفنية الدور والطرق النافذة والمساجد ويرفع ويضع بعد ذلك حيث شاء فلما سمعت هذا القول نبلى فى عيني وعظم فى قلبى فقلت

له جعلت فداك فمن المعصية فنظر إلى ثم قال اجلس حتى أخبرك فجلست فقال إن المعصية لا بد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعا فإن كانت من الله عز وجل فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده وبأخذه بما لم يفعل وإن كانت منهما فهو شريكه والقوى أولى بإنصاف

ص: ٤٠

عبده الضعيف وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر وإليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب ولذلك وجبت الجنة والنار قال فلما سمعت ذلك قلت ذُرِّيَّةُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

وقد نظم هذا المعنى

لم تخل أفعالنا اللاتي نذم بها إحدى ثلاث خلال حين نأتيها إما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ينشئها أو كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا من لائم فيها أو لم يكن لإلهي في جنايتها ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيتها

وقال الصادق ع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى خلق تقدير لا خلق تكوين والتكوين إخراج الشيء من العدم إلى الوجود فنفي أن تكون من الله تعالى فينبغي أن تكون من جهة العباد

وروى عنه ع أن التقدير هو العلم

باب في القضاء والقدر

سئل أمير المؤمنين ع عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكوه وبحر عميق فلا تلجوه وسر الله تعالى فلا تتكلفوه

وروى أن شيخا حضر صفين مع أمير المؤمنين ع فقال له أخبرنا يا أمير المؤمنين عن مسيرنا هذا إلى الشام أ بقضاء كان من الله وقدر قال نعم يا أخا أهل الشام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطننا موطننا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلة إلا بقضاء من الله وقدر فقال الشامي عند الله أحسب عناي يا أمير المؤمنين وما أظن أن لي أجرا في سعيي إذ كان قضاء الله على وقدره فقال له ع إن الله قد أعظم لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي فما ذاك القضاء والقدر الذي ساقانا وعنهما كان مصيرنا وانصرافنا فقال ع يا أخا أهل الشام لعلك ظننته قضاء لازما وقدرنا حتما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والأمر والنهي وما كان

ص: ٤١

المحسن أولى بثواب الإحسان من المسيء والمسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وشهداء الزور وقدرية هذه الأمة ومجوسها إن الله تعالى أمر عباده تخبيرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا وأعطى على القليل كثيرا ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الأنبياء لعبا ولم ينزل الكتاب إلى عباده عبثا ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من عذاب النار قال الشامي فما القضاء والقدر اللذان كان مسيرنا بهما وعنهما قال الأمر من الله بذلك والحكم ثم تلا وكان أمر الله قدرا مقدورا فقام الشامي فرحا مسرورا لما سمع هذا المقال فقال فرجت عنى فرج الله عنك يا أمير المؤمنين ثم أنشأ يقول

أنت الإمام الذى نرجو بطاعته يوم الحساب من الرحمن غفرانا أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربك بالإحسان إحسانا نعم المؤدب لا نبغ به بدلا لقيت روح تحيات وريحانامتى يشككننا بالريب ذوسفه نلقى لديك له شرحا وتبياناما إن أرى عادلا فى فعل فاحشة ما كنت راكبا ظلما وعدوانا لا ولا قائلا الله أوقعه فيها عبت إذا يا قوم شيطاناولا القضاء من العدل الرحيم به دلاه فيها علا عن ذاك مولانا ولا أراد ولا شاء الفسوق ولا قتل الولي له كفرا وطغيانا إنى أراه وقد صحت عداوته بالفسق أعلن ذاك الله إعلانا

باب فى فضل التوحيد

قال الله تعالى فى سورة إبراهيم أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً أَى لَمْ تخبر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة يعنى لا إله إلا الله كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ يعنى النخلة أَصْلُهَا ثَابِتٌ فَكَذَلِكَ أَصْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ثَابِتٌ فى القلوب وفروعها فى السماء كما أن فرع هذه الشجرة عال فى السماء كذلك المؤمن إذا تكلم بهذه الكلمة صعدت إلى السماء وهو قوله إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ تُؤْتَى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ يعنى ثمرتها لكل خلق بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

ص: ٤٢

وقال رسول الله ص والذى بعثنى بالحق بشيرا لا يعذب الله بالنار موحدا أبدا وإن أهل التوحيد يشفعون فيشفعون ثم قال ص إنه إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى بقوم ساءت أعمالهم فى دار الدنيا إلى النار فيقولون يا ربنا كيف تدخلنا النار وقد كنا نوحدك فى دار الدنيا وكيف تحرق بالنار ألسنتنا وقد نطقنا بتوحيدك فى دار الدنيا وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدنا أن لا إله إلا أنت أم كيف تحرق وجوهنا وقد غفرنا لك فى التراب أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك فيقول الله جل جلاله عبادى ساءت أعمالكم فى دار الدنيا فجزاؤكم نار جهنم فيقولون يا ربنا عفوك أعظم أم خطيئتنا فيقول الله تعالى بل عفوى فيقولون رحمتك أوسع أم ذنوبنا فيقول بل رحمتى فيقولون إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا فيقول تعالى بل إقراركم بتوحيدي أعظم فيقولون يا ربنا فليسعنا عفوك ورحمتك التى وسعت كل شىء فيقول الله جل جلاله ملائكتى وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أحب إلى من المقرين بتوحيدي وأن لا إله غيرى وحق على أن لا أصلى بالنار أهل توحيدى أدخلوا عبادى الجنة

قال رسول الله ص رأيت ليلة الإسراء مكتوبا على قائمة من قوائم العرش أنا الله لا إله إلا أنا وحدي خلقت جنة عدن بيدي محمد صفوتي من خلقى أيدته بعلى ونصرته بعلى

قال أبوهريرة مكتوب على العرش أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لى ومحمد عبدى ورسولى أيدته بعلى فأنزل الله عز وجل هُوَ الَّذِي أُيِّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ النَّصْرُ عَلَى ع وَدَخَلَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَخَلَ فِي الْوُجْهِينَ جَمِيعًا

وقال أبو الحسن الرضا ع قال رسول الله ص قال جبرئيل ع يقول الله لا إله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابي قال الرضا ع بشروطها وأنا من شروطها

وقال الصادق ع بنى الإسلام على خمسة دعائم على الصلاة والزكاة والصوم والحج وولاية أمير المؤمنين والأئمة من ولده ع

وقال أبو جعفر ع جاء رجل إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله أكل من قال لا إله إلا الله مؤمن قال إن عداوتنا تلحق باليهود والنصارى إنكم

ص: ٤٣

لا تدخلون الجنة حتى تحبوني وكذب من زعم أنه يحبني ويبغض هذا يعنى عليا ع

وقال أمير المؤمنين ع فى قول الله تعالى هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ سمعت رسول الله ص يقول إن الله تعالى يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة

وقال أمير المؤمنين ع لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلى ولا ينسبه أحد بعدى الإسلام هو التسليم والتصديق والتصديق هو اليقين واليقين هو الأداء والأداء هو العمل إن المؤمن أخذ دينه عن ربه ولم يأخذ عن رأيها الناس دينكم دينكم تمسكوا به لا يزيلكم أحد عنه لأن السيئة فيه خير من الحسنه فى غيره لأن السيئة فيه تغفر والحسنه فى غيره لا تقبل

سئل أمير المؤمنين ع عن الإيمان فقال الإيمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد فالصبر منها على أربع شعب على الشوق والشفق والزهد والترقب فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد فى الدنيا استهان بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات واليقين منها على أربع شعب على تبصرة الفطنة وتناول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الأولين فمن تبصر فى الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فكأنما كان فى الأولين والعدل منها على أربع شعب على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم فمن فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حكم لم يفرط فى أمره وعاش فى الناس حميدا والجهاد منها على أربع شعب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق فى المواطن وشنآن الفاسقين فمن أمر

بالمعروف شد ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين ومن صدق فى المواطن قضى ما عليه وشناً الفاسقين ومن غضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة والكفر على أربع دعائم على التعمق والتنازع والزيف والشقاق فمن تعمق لم ينسب إلى الحق ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ ساءت

ص: ٤٤

عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة ومن شاق وعرت عليه طرقة وأعزل عليه أمره وضاق مخرجه والشك على أربع شعب على التمارى والهول والتردد والاستسلام فمن جعل المراء ديدنا لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبه ومن تردد فى الريب وطئته سنابك الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما

مجلس فى العجائب التى تدل على عظمة الله تعالى

قال الرضاع كان أمير المؤمنين ع فى الجامع بالكوفة فقام إليه رجل من أهل الشام فسأله عن مسائل فكان فيما سأله أن قال له يا أمير المؤمنين أخبرنى عن ألوان السماوات السبع وأسمائها فقال له اسم سماء الدنيا رفيع وهى من ماء دخان واسم السماء الثانية فيدوم وهى على لون النحاس واسم السماء الثالثة المأدوم وهى على لون الشبه واسم السماء الرابعة أرقلون وهى على لون الفضة والسماء الخامسة اسمها هيعون وهى على لون الذهب والسماء السادسة اسمها عروس وهى ياقوتة خضراء والسماء السابعة اسمها عجماء وهى درة بيضاء

وقال زيد بن وهب سئل أمير المؤمنين ع عن قدرة الله جلّت عظمتة فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن لله تعالى ملائكة لو أن ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته ومنهم من لو كلف الجن والإنس أن يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته كيف يوصف من ملائكته من سبع مائة عام ما بين منكبيه وشحمة أذنيه ومنهم من يسد الأفق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه ومنهم من السماوات إلى حجزته ومنهم من قدمه على غير قرار فى جوالهواء الأسفل والأرضون إلى ركبتيه

ص: ٤٥

ومنهم من لو ألقى فى نقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها ومنهم من لو ألقيت السفن فى دموع عينيه لجرت دهر الداهرين فتبارك الله أحسن الخالقين

وسئل منه ع عن الحجب فقال الحجب سبعة غلظ كل حجاب منها مسيرة خمس مائة عام وبين كل حجابين مسيرة خمسمائة عام والحجاب الثانى سبعون حجاباً بين كل حجابين مسيرة خمسمائة عام وطوله مسيرة خمسمائة عام حجة كل حجاب منها سبعون ألف ملك قوة كل ملك منها قوة الثقلين منها ظلمة ومنها نور ومنها نار ومنها دخان ومنها سحب ومنها برق ومنها رعد ومنها ضوء ومنها رمل ومنها جبل ومنها عجاج ومنها ماء ومنها أنهار وهى حجب مختلفة غلظ كل حجاب مسيرة سبعين ألف عام ثم سرادقات الجلال وهى

ستون سراق في كل سراق سبعون ألف ملك ما بين سراق وسراق مسيرة خمسمائة عام ثم سراق العز ثم سراق الكبرياء ثم سراق العظمة ثم سراق القدس ثم سراق الجبروت ثم سراق الفخر ثم سراق النور الأبيض ثم سراق الوحداية وهي مسيرة سبعين ألف عام في سبعين ألف عام ثم الحجاب الأعلى وانقضى كلامه ع وسكت فقال له عمر لا بقيت ليوم لا أراك فيه يا أبا الحسن

قال ابن الفارسي إنما هذه الحجب مضروبة على العظمة العليا من خلق الله التي لا يقدر قدرها وليست مضروبة على الله تعالى لأنه لا يوصف بمكان ولا أنه مستتر بحجاب

وقال الصادق ع إن حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم والثاني على صورة الديك يسترزق الله للطيور والثالث على صورة الأسد يسترزق الله للسباع والرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية

وسئل الحسن بن علي ع فقال الشامي له كم بين الحق والباطل وكم بين السماء والأرض وكم بين المشرق والمغرب وما قوس قزح وما العين التي تأوى

ص: ٤٦

إليها أرواح المشركين وما العين التي تأوى إليها أرواح المؤمنين وما المؤنث وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعضها فقال الحسن بن علي ع بين الحق والباطل أربع أصابع فما رأيته بعينك فهو الحق وقد تسمع بأذنك باطلا كثيرا فقال الشامي صدقت قال وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومد البصر فمن قال لك غير هذا فكذبه قال صدقت يا ابن رسول الله قال وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس تنظر إليها حين تطلع من مشرقها وتنظر إليها حتى تغيب في مغربها قال الشامي صدقت فما قوس قزح قال ويحك لا تقل قوس قزح فإن قزح اسم شيطان هو قوس الله وعلامة الخصب وأمان لأهل الأرض من الغرق وأما العين التي تأوى إليها أرواح المشركين فهي عين يقال لها برهوت وأما العين التي تأوى إليها أرواح المؤمنين فهي عين يقال لها سلمى وأما المؤنث فهو الذي لا يدري أذكر هو أم أنثى فإنه ينتظر به فإن كان ذكرا احتلم وإن كانت أنثى حاضت وبدا ثديها وإلا قيل له بل على الحائط فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر وإن تنكص بوله كما يتنكص بول البعير فهي امرأة وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض فأشد شيء خلقه الله عز وجل الحجر وأشد من الحجر الحديد يقطع به الحجر وأشد من الحديد النار تذيب الحديد وأشد من النار الماء يطفئ النار وأشد من الماء السحاب الذي يحمل الماء وأشد من السحاب الريح تحمل السحاب وأشد من الريح الملك الذي يرسلها وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك وأشد شيء من ملك الموت الذي يميت ملك الموت وأشد من الموت أمر الله تعالى يميت الموت فقال الشامي أشهد أنك ابن رسول الله ص

قال الصادق ع إن ذا القرنين لما انتهى إلى السد جاوزه فدخل في الظلمات فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع فقال له الملك يا ذا القرنين أ ما كان خلفك مسلك فقال له ذا القرنين من أنت قال أنا

ملك من ملكة الرحمن موكل بهذا الجبل فليس من جبل خلقه الله إلا وله عرق إلى هذا الجبل فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أوحى إلى فزلزلتها

ص: ٤٧

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده ع أنه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر قال وهذا تأويل قوله وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَإِنْ بَيْنَ الْقَائِمَةِ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ وَالْقَائِمَةِ الثَّانِيَةِ خَفَقَانِ الطَّيْرِ الْمُسْرِعِ مَسِيرَةَ أَلْفِ عَامٍ وَالْعَرْشُ يَكْسَى كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ أَلْفَ لَوْنٍ مِنَ النُّورِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا فِي الْعَرْشِ كَحُلُقَةٍ فِي فَلَاةٍ وَإِنَّ اللَّهَ مُلْكًا يُقَالُ لَهُ حَزَقَائِيلُ لَهُ ثَمَانِيَةُ عَشَرَ أَلْفَ جَنَاحٍ مَا بَيْنَ الْجَنَاحِ إِلَى الْجَنَاحِ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ فَخَطَرَ لَهُ خَاطِرٌ هَلْ فَوْقَ الْعَرْشِ شَيْءٌ فَزَادَهُ اللَّهُ مِثْلَهَا أُجْنَحَةٌ أُخْرَى فَكَانَ لَهُ سِتٌّ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ جَنَاحٍ مَا بَيْنَ الْجَنَاحِ إِلَى الْجَنَاحِ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا الْمَلِكُ طَرَفُاطَرٌ مِقْدَارُ عَشْرِينَ أَلْفَ عَامٍ لَمْ يَنْلِ رَأْسَهُ قَائِمَةٌ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ثُمَّ ضَاعَفَ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَاحِ وَالْقُوَّةِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَطِيرَ فَطَارَ مِقْدَارُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ عَامٍ وَلَمْ يَنْلِ أَيْضًا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا الْمَلِكُ لَوَطَرْتُ إِلَى نَفْخِ الصُّورِ مَعَ أُجْنَحَتِكَ وَقَوَّتِكَ لَمْ تَبْلُغْ إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ فَقَالَ الْمَلِكُ سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَبَّحَ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى فَقَالَ النَّبِيُّ ص اجعلوها في سجودكم

وروى من طريق المخالفين في قوله وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ صُفُوفٍ لَا يَعْلَمُ عَدَدُهُمْ إِلَّا اللَّهُ لِكُلِّ مَلِكٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَجُوهٌ لَهُمْ قُرُونٌ كَقُرُونِ الْوَعْلِ مِنْ حُصُولِ الْقُرُونِ إِلَى مُنْتَهَا مَسِيرَةِ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ وَالْعَرْشُ عَلَى قُرُونِهِمْ وَأَقْدَامُهُمْ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى وَرِءُوسُهُمْ فِي السَّمَاءِ الْعُلْيَا وَدُونَ الْعَرْشِ سَبْعُونَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ. وَرَوَى أَيْضًا مِنْ طَرِيقِهِمْ فِي عِظَمَةِ اللَّهِ وَعَجِيبِ خَلْقِهِ عَنَاقَ بَنَتِ آدَمَ يُقَالُ إِنَّهَا كَانَتْ أَوَّلَ مَنْ بَغَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لَهَا عَشْرُونَ إصْبَعًا كُلُّ إصْبَعٍ ثَلَاثَةُ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ فِي كُلِّ إصْبَعٍ ظَفْرَانِ حَدِيدَانِ مِثْلَ الْمَنْجَلَيْنِ وَكَانَ مَوْضِعُ مَجْلِسِهَا جَرِييَا مِنَ الْأَرْضِ فَلَمَّا بَغَتْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا أَسَدًا كَالْفِيلَةِ وَذُبَابًا كَالْبَعِيرِ وَنَسْرًا كَالْحِمَارِ وَسُلْطَهُمْ عَلَيْهَا فَفَقَتَلُوهَا وَأَكَلُوهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا رَكِبَ نُوحٌ السَّفِينَةَ جَاءَهُ عُوجُ بَنَاتِ عَنَقٍ وَكَانَتْ عَنَقُ إِحْدَى بَنَاتِ آدَمَ وَكَانَ عُوجٌ يَحْتَجِرُ بِالسَّحَابِ وَيَشْرَبُ مِنْهُ مِنْ طَوْلِهِ وَيَتَنَاوَلُ الْحَوْتَ مِنْ قَرَارِ الْبَحْرِ فَيَشْوِيهِ بَعِينَ الشَّمْسِ وَيَرْفَعُهُ إِلَيْهَا ثُمَّ يَأْكُلُهُ فَقَالَ لِنُوحٍ احْمَلْنِي مَعَكَ

ص: ٤٨

قال اخرج يا عدو الله فإنني لم أؤمر بك قال وطبق الماء على الأرض من جبال ما بلغ ركبتي عوج وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة وكان لموسى عسكر فرسخا في فرسخ قال فجاء عوج حتى نظر إلى عسكر موسى ثم جاء إلى الجبل حتى قطع منه صخرة قدر العسكر ثم حملها ليطبقها على عسكر موسى ومن معه من العسكر فبعث الله إليه الهدد ومعه هذا المسن حتى قطع الصخرة فانتقبت فوقعت في عنق عوج فطوقته فصرعه وأقبل موسى وطول موسى عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وتراقى السماء عشرة أذرع فما أصاب إلا كعبه فقتله. قال نوف فلما قتله وقع على نيل مصر فجسرهم سنة يعني صار جسر لهم فقال وكان مجلسه الذي

يجلس فيه ثمانمائة ذراع بذراع الملك فى عرض أربعمئة ذراع بذراع الملك. وقال وهب بن منبه إن ذا القرنين أتى على قاف وهو جبل محيط بالدنيا من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه وحوله جبال صغار فقال له من أنت فقال أنا قاف فقال يا قاف ما هذه الجبال من حولك قال هى عروقى وإذا أراد الله أن يزلزل الأرض أمرنى فحركت عرقا من عروقى فزلزلت الأرض فقال يا قاف فأخبرنى بشئ من عظمة الله فقال إن شأن ربنا لعظيم تقصر عنه الصفات وتنقضى دونه الأوهام قال أخبرنى بأدنى ما يوصف منها قال إن ورائى لأرضا مسيرة خمسمائة عام فى عرض خمسمائة عام من جبال تلج يحطم بعضها بعضا لولا ذلك لاحتترقت من حر جهنم قال زدنى قال إن من وراء ذلك لأرضا من برد طولها وعرضها مملوءة يحطم بعضها بعضا لولا ذلك لاحتترقت من حر جهنم قال زدنى قال إن جبرئيل ع واقف بين يدى الله ترعد فرائصه يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك والملائكة صفوف بين يدى الله منكسرا رءوسهم فإذا أذن الله تعالى لهم فى الكلام قالوا لا إله إلا أنت وهو قوله تعالى يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا يعنى بالصواب لا إله إلا الله. وقال ابن عباس إن مما خلق الله لوحا محفوظا من درة بيضاء حافته ياقوته حمراء كتابه نور وقلمه نور وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمئة وستين نظرة ففى كل نظرة منها يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله كُلَّ يَوْمٍ

ص: ٤٩

هُوَ فِى شَأْنٍ

ويقال شأن الله سبحانه أنه يخرج فى كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من الأصلاب إلى الأرحام وعسكرا من الأرحام إلى الدنيا وعسكرا من الدنيا إلى القبور ثم يرتحلون إلى الله جميعا

مجلس فى النبوات

النبى فى العرف هو المؤدى عن الله تعالى بلا واسطة من البشر والرسول فى أصل اللغة يفيد أن مرسلا أرسله بشرط تحمله الرسالة الذى يدل على حسن بعثة الأنبياء أنهم يؤدّون إلينا ما هو مصلحة لنا فى التكليف العقلى ولا يمتنع أن يعلم الله أن فى أفعال المكلف ما إذا فعله دعاه إلى فعل الواجب العقلى أو صرفه عن القبيح العقلى وإذا فعله دعاه إلى فعل القبيح أو الإخلال بالواجب فيجب أن يعلمنا ذلك لأن الأول لطف والثانى مفسدة وإذا ثبت ذلك فالذى يدل على نبوة نبينا ص القرآن وهو قوله تعالى فى سورة البقرة إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا. وقوله تعالى ألم الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ. وقال الله تعالى لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ. وقوله تعالى لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. وقال تعالى فى سورة النساء وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعَفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ

وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ وَاتَّزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ

ص: ٥٠

لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ. وَقَالَ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ. وَقَالَ تَعَالَى وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا. وَفِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ. وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَقَالَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ. وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ يُونُسَ أَمْ كَانَ لِلنَّاسِ عِجَابٌ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عَنْهُمْ. وَقَالَ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. وَقَالَ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ. وَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ. وَفِي سُورَةِ هُودٍ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. وَفِي سُورَةِ يُونُسَ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ. وَفِي سُورَةِ الرِّعْدِ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ. وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَجَرِ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ .

ص: ٥١

وفى سورة النحل وَاتَّزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ. وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ. وَفِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. وَقَالَ فِيهَا مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ. وَقَالَ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. وَفِي سُورَةِ سَبَأٍ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا. وَفِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. وَقَالَ تَعَالَى إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. وَقَالَ فِيهَا لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ. وَفِي سُورَةِ النُّجُمِ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. وَقَالَ فِي سُورَةِ الصَّفِّ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. وفي سورة والنازعات إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنِ يَخْشَاهَا وفي سورة الغاشية فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ

قال أبو جعفر ع أولوالعزم من الرسل خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ص وأولوالعزم هومن أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدم من الأنبياء

ص: ٥٢

باب الكلام في مبعث نبينا محمد ص

قال الله تعالى يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ. اعلم أن الطائفة قد اجتمعت على أن رسول الله ص كان رسولا نبيا مستخفيا يصوم ويصلى على خلاف ما كانت قريش تفعله مذ كلفه الله تعالى فإذا أتت أربعون سنة أمر الله عز وجل جبرئيل ع أن يهبط إليه بإظهار الرسالة وذلك في يوم السابع والعشرين من شهر الله الأصم فاجتاز بميكائيل فقال أين تريد فقال له قد بعث الله جل وعز نبينا نبي الرحمة وأمرني أن أهبط إليه بالرسالة فقال له ميكائيل فأجىء معك قال له نعم فنزلا ووجد رسول الله ص نائما بالأبطح بين أمير المؤمنين وجعفر بن أبي طالب فجلس جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله ولم ينبهه جبرئيل إعظاما له فقال ميكائيل لجبرئيل إلى أيهم بعثت قال إلى الأوسط فأراد ميكائيل أن ينبهه فمנعه جبرئيل ثم انتبه النبي ص فأدى إليه جبرئيل الرسالة عن الله تعالى فلما نهض جبرئيل ع ليقوم أخذ رسول الله ص بثوبه ثم قال ما اسمك قال له جبرئيل ثم نهض رسول الله ص ليلحقه بغنمه فما مر بشجرة ولا مدرة إلا سلمت عليه وهنأته ثم كان جبرئيل ع يأتيه فلا يدنوا منه إلا بعد أن يستأذن عليه فأتاه يوما وهو بأعلى مكة فغمز بعقبة بناحية الوادي فانفجرت عين فتوضأ جبرئيل ع وتوضأ الرسول ص ثم صلى الظهر وهي أول صلاة فرضها الله عز وجل وصلى أمير المؤمنين ع تلك الصلاة مع رسول الله ورجع رسول الله ص في يومه إلى خديجة فأخبرها فتوضأت وصلت صلاة العصر من ذلك اليوم ثم أنزل الله عز وجل وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ فجمع رسول الله ص بني هاشم وهم نحو أربعين رجلا وأمير المؤمنين ع فأنضج لهم رجل شاة وخبز لهم صاعا من طعام وجاء بعس من لبن ثم أدخل إليه منهم عشرة فأكلوا حتى صدروا وإن منهم لمن يأكل الجذعة ويشرب الفرق ثم جعل يدخل إليه عشرة عشرة حتى أكلوا جميعا وصدروا ثم قال لهم إني بعثت إلى الأسود والأبيض والأحمر وإن الله عز وجل أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وإني لا أملك لكم من الله حظا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله فقال له أبولهب لعنه الله لهذا دعوتنا ثم تفرقوا عنه فأنزل

ص: ٥٣

الله تعالى تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ إلى آخرها ثم دعاهم ثانية فأطعمهم وسقاهم كالدفعة الأولى ثم قال لهم يا بني عبد المطلب أطيعوني تكونوا ملوك الأرض وحكامها وما بعث الله نبيا إلا جعل له وصيا أخا أو وزيرا فأياكم يكون أخى ووزيرى ووصيى ووارثى وقاضى دينى فقال أمير المؤمنين ع وهو أصغر القوم سنا أنا يا رسول الله ص فلذلك كان وصيه .

وروى أنه جمعهم خمسة وأربعون رجلا منهم أبولهب فظن أبولهب أنه يريد أن ينزع عما دعاهم إليه فقام إليه فقال له يا محمد هؤلاء عمومتك وبنوعمك قد اجتمعوا فتكلم واعلم أن قومك ليست لهم بالعرب طاقة فقام ص خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم حقا خاصة وإلى الناس عامة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن كما تعلمون ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا وإنها الجنة أبدا والنار أبدا إنكم أول من أنذرتهم فآمن به من عشيرته

واجتمعت قريش إلى دار الندوة وكتبوا الصحيفة على بنى هاشم لا يكلموهم ولا يبايعوهم أو يسلموا إليهم رسول الله ص ليقتلوه ثم أخرجوهم من بيوتهم حتى نزلوا شعب أبي طالب ووضعوا عليهم الحرس فمكتوا بذلك ثلاث سنين ثم بعث الله عز وجل الأربعة على الصحيفة فأكلتها ولم يزل ع كذلك يريهم الآيات ويخبرهم بالمغيبات وأنزل الله تعالى عليه ولا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ومعناه لا تعجل بقراءة القرآن عليهم حتى أنزل عليك التفسير في أوقاته كما أنزل إليك التلاوة ثم أتاه جبرئيل ع ليلا وهو بالأبطح ومعه البراق وهو أصغر من البغل وأكبر من الحمار فركبه رسول الله ص وأمسك جبرئيل ع بركابه ومضى إلى بيت المقدس ثم إلى السماء الدنيا فتلقته الملائكة فسلمت عليه وطايرت بين يديه حتى انتهى إلى السماء السابعة. قال عكرمة لما اجتمعت قريش على إدخال بنى هاشم وبنى عبد المطلب شعب أبي طالب كتبوا بينهم صحيفة فدخل الشعب مؤمن بنى هاشم وكافرهم ومؤمن بنى عبد المطلب وكافرهم ما خلا أبولهب وأبوسفیان بن الحرب فبقى القوم في الشعب ثلاث سنين فكان رسول الله ص إذا أخذ مضجعه ونامت العيون جاءه أبوطالب فأنهضه عن مضجعه وأضجع عليا مكانه فقال علي يا أبتاه إني مقتول ذات ليلة فقال أبوطالب ع

ص: ٥٤

اصبرن يا علي فالصبر أحجى كل حى مصيره لشعوب قد بذلناك والبلاء عسير لفداء النجيب وابن النجيب لفداء الأغر ذى الحسب الثاقب والباع والفناء الرحيب إن رمتك المنون بالنبل فاصبر فمصيب منها وغير مصيب كل حى وإن تطاول عمرا آخذ من سهامها بنصيب

قال علي بن الحسين ع كان أبوطالب يضرب عن رسول الله ص بسيفه ويقيه بنفسه فلما حضرته الوفاة وقد قويت دعوة رسول الله ص وعلت كلمته إلا أن قريشا على عداوتها وحسدها فاجتمعوا إلى أبي طالب ورسول الله ص عنده فقالوا نسألك من ابن أخيك النصف قال وما النصف منه قالوا ليكف عنا ونكف عنه فلا يكلمنا ولا نكلمه ولا يقاتلنا ولا نقاتله لأن هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب وزرعت الشحناء وأنبئت البغضاء فقال يا ابن أخى بنوعمك وعشيرتك يسألونك النصف وأن تكف عنهم ويكفوا عنك فقال يا عم لوأنصفتني بنوعمى لأجابوا دعوتى وقبلوا نصيحتى وإن الله عز وجل أمرنى أن أدعو إلى دينه الحنيفية ملة إبراهيم فمن أجنبي فله عند الله الرضوان والخلود فى الجنان ومن عصانى قاتلته حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فقالوا يا أبا طالب سله أرسله الله إلينا خاصة أم إلى الناس كافة فقال أبوطالب يا ابن أخ إلى الناس كافة أرسلت أم إلى قومك خاصة قال لا بل إلى الناس أرسلت كافة إلى الأبيض والأسود والأحمر والعربى والعجمى والذى نفسى بيده لأدعون إلى هذا الأمر الأبيض والأسود ومن على رءوس الجبال ومن فى لجج

البحار ولأدعون السنة فارس والروم فتحيرت قريش واستكبرت وقالت أ ما تسمع إلى ابن أخيك وما يقول والله لو سمعت فارس والروم لاختطفتنا من أرضنا ولقلعت الكعبة حجرا حجرا فأنزل الله تعالى وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أ ولم نمكن لهم حرماً آمناً يُجيبى إليه ثمرات كل شيء إلى آخر الآية وأنزلت في قولهم لقلعت الكعبة حجرا حجرا أ لم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل إلى آخرها فلما سمعوا ذلك من النبي ص خرجوا من عند أبي طالب فقالوا لا نرى محمدا يزداد إلا كبرا وتكبيرا وما هو إلا ساحر أو مجنون وتوعده وتعالفوا وتقاعدوا لئن مات أبو طالب ليجمعن قبائل قريش كلها

ص: ٥٥

على قتله ما أمسكت أيديها السياط وبلغ أبا طالب ذلك فجمع بينه وبين بنى أبيه وأحلافهم من قريش فوصاهم برسول الله ص وقال ابن أخى محمد نبى كما يقول بذلك أخبرنا آباؤنا وعلماؤنا أن ابن أخى محمدا ص نبى صادق وأمين ناطق وأن شأنه أعظم شأن ومكانه أعلى مكان من ربه وإن يومى قد حضر وأنتم الخلفاء النجب فأجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته وارموا عدوه من وراء حوزته فإنه الشرف الباقي لكم على الدهر وأنشأ يقول

أوصى بنصر الأمين الخير مشهده بعدى عليا وعلى الخير عباسا وحزمة الأسد المخشى صولته وجعفر أن يذوقوا قبله البأسا وهاشما كلها أوصى بنصرته أن يأخذوا دون حرب القوم أمرا ساكونوا فدى لكم أمى وما ولدت من دون أحمد عند الروع أتراسا بكل أبيض مصقول عوارضه تخاله فى سواد الليل مقباسا

فلما سمع النبي ص من عمه فقال يا عم كلمة واحدة تجب بها لك شفاعتى يوم القيامة فقال يا ابن أخى صدقت أنت نبى حق وربك إله حق قال له يا عم إن الله عز وجل وعدنى أن قريشا ستؤمن غدا بما تنكره اليوم وإن الله تعالى سيفتح على الأرض ويظهر دينه على جميع الأديان وإنك راحل إلى دار المقامة فقل معى كلمة تستوجب من الله رضوانه ورحمته فقال إن أبا طالب حرك بها شفتيه وأشار بإصبعه فسر النبي ص بذلك واستغفر له

قال الشيخ الإمام الأجل ابن الفارسي فمن ادعى هذه الدعوى فلا بد له من دليل يدل على صدق قوله وإلا لم يلتفت إلى قوله. والآن نذكر طرفا من معجزاته صلوات الله عليه وآله الطيبين بعد خبر المعراج

باب الكلام فى معراج النبى ص

قال ابن عباس إن رسول الله ص لما أسرى به إلى السماء انتهى به جبرئيل ع إلى نهر يقال له النور وهو قول الله تعالى جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ فلما انتهى إلى ذلك النهر فقال له جبرئيل يا محمد اعبر على بركة الله فقد نور الله لك بصرك ومد لك أملك فإن هذا نهر لم يعبره أحد لا ملك مقرب ولا نبى مرسل غير أن لى فى كل يوم اغتماسة فيه

ص: ٥٦

ثم أخرج منه فأنفض أجنحتي فليس من قطرة تنقطر من أجنحتي إلا خلق الله تعالى منها ملكا مقربا له عشرون ألف وجه وأربعون ألف لسان يلفظ بلغة لا يفقهها اللسان الآخر فعبر رسول الله ص حتى انتهى إلى الحجب والحجب خمسمائة حجاب من الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام ثم قال له تقدم يا محمد فقال له ولم لا تكون يا جبرئيل معي قال ليس لي أن أجوز هذا المكان فتقدم رسول الله ص ما شاء الله أن يتقدم حتى سمع ما قال الرب تعالى أنا المحمود وأنت محمد شققت اسمك من اسمي فمن وصلك وصلته ومن قطعك قطعته انزل إلى عبادي فأخبرهم بكرامتي إياك وأني لم أبعث نبيا إلا جعلت له وزيرا وأنك رسولي وأن عليا وزيرك فهبط رسول الله ص فكره أن يحدث الناس بشيء كراهة أن يتهموا لأنهم كانوا حديثي عهد بالجاهلية إلى آخر الخبر

وهو خبر طويل لم نوردناه هاهنا على الكمال لأنه يتعلق ببعضه بشيء آخر غير ما قصدناه في هذا الباب

قال الصادق ع أسرى برسول الله ص إلى بيت المقدس وعرض عليه محاريب الأنبياء وصلى بها ورده فمر رسول الله ص في رجوعه بغير لقريش وإذا لهم ماء في آنية وقد أضلوا بعيرا لهم وكانوا يطلبونه فلما أصبح رسول الله ص قال لقريش إن الله عز وجل قد أسرى بي إلى بيت المقدس وأراني آثار الأنبياء ع ومنازلهم وإنني مررت بغير لقريش في موضع كذا وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم فشربت من مائهم وأهرقت باقى ذلك الماء فقال أبو جهل قد أمكنتكم الفرصة منه فسألوه كم الأساطين فيها والقناديل فقالوا يا محمد إن هاهنا من قد دخل بيت المقدس فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه فجاء جبرئيل ع فعلق صورة بيت المقدس تجاه وجهه فجعل يخبرهم بما يسألونه عنه فلما أخبرهم قالوا حتى يجيء العير ونسألهم عما قلت فقال لهم رسول الله ص تصديق ذلك أن العير تطلع عليكم مع طلوع الشمس يقدمها جمل أروق فلما كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون هذا الشمس تطلع الساعة فيبيناهم كذلك إذ طلعت عليهم العير حين طلع القرص يقدمها جمل أروق فسألوهم ما قال رسول الله ص فقالوا لقد كان هذا ضل بعير لنا في موضع كذا وكذا ووضعنا ماء فأصبحنا وقد أهرق الماء فلم يزداهم ذلك إلا عتوا

ص: ٥٧

وروى أن جبرئيل ع جاء إلى رسول الله ص بدابة دون البغل وفوق الحمار رجلاها أطول من يديها خطوها مد البصر فلما أراد أن يركب امتنعت فقال جبرئيل إنه محمد فتواضعت حتى لصقت بالأرض قال فركب فلما حبطت ارتفعت يداها وقصرت رجلاها وقصرت يداها فمرت به في ظلمة الليل على عير محملة فنفرت العير من زفيف البراق ينادى رجل في آخر العير غلاما له في أول العير يا فلان إن الإبل قد نفرت وإن فلانة قد ألقت حملها وانكسرت يدها وكانت العير لأبى سفيان قال ثم مضى حتى إذا كان ببطن البلقاء قال يا جبرئيل قد عطشت فتناول جبرئيل قصعة فيها ماء فتناوله فشرب ثم مضى فمر على قوم معلقين بعراقيهم بكلايب من نار فقال ما هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء الذين أغناهم الله بالحلال فيبتغون الحرام قال ثم مر على قوم يخاط جلودهم بمخاط من نار فقال ما هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء الذين يأخذون عذرة النساء بغير حل ثم مضى فمر على رجل يرفع حزمة من حطب كلما لم يستطع أن يرفعها زاد فيها فقال من هذا يا جبرئيل فقال هذا

صاحب الدين يريد أن يقضى فإذا لم يستطع زاد عليه ثم مضى حتى إذا كان فى الجبل الشرقى من بيت المقدس وجد ريحا حارة وسمع صوتا قال ما هذه الرياح يا جبرئيل التى أجد وهذا الصوت الذى أسمع قال هذه جهنم فقال النبى ص أعوذ بالله من جهنم ثم وجد ريحا عن يمينه طيبة وسمع صوتا فقال ما هذه الرياح التى أجدها وهذا الصوت الذى أسمع فقال هذه الجنة فقال أسأل الله الجنة قال ثم مضى حتى انتهى إلى باب مدينة بيت المقدس وفيها هرقل وكانت أبواب المدينة تغلق كل ليلة ويؤتى بالمفاتيح وتوضع عند رأسه فلما كانت تلك الليلة امتنعت الباب أن تغلق فأخبروه فقال ضاعفوه عليها من الحرس قال فجاء رسول الله ص فدخل بيت المقدس فجاء جبرئيل ع إلى الصخرة فرفعها فأخرج من تحتها ثلاثة أقذاح قدحا من لبن وقدحا من عسل وقدحا من خمر فناول قدح اللبن فشرب ثم ناول قدح العسل فشرب ثم ناول قدح الخمر فقال قد رويت يا جبرئيل فقال أما إنك لو شربته لضلت أمتك وتفرقت عنك قال ثم مر رسول الله ص فى مسجد بيت المقدس بسبعين نبيا قال وهبط مع جبرئيل ع ملك لم يظأ الأرض قط معه مفاتيح خزائن الأرض فقال يا محمد

ص: ٥٨

إن ربك يقرئك السلام ويقول هذه مفاتيح خزائن الأرض فإن شئت فكن نبيا عبدا وإن شئت فكن نبيا ملكا فأشار إليه جبرئيل ع أن تواضع يا محمد فقال بل أكون نبيا عبدا ثم صعد إلى السماء فلما انتهى إلى باب السماء استفتح جبرئيل ع فقبل من هذا قال محمد قالوا نعم المجرىء جاء فدخل فما مر على ملا من الملائكة إلا سلموا عليه ودعوا له وشيعته مقربوها فمر على شيخ قاعد تحت شجرة وحوله أطفال فقال رسول الله ص من هذا الشيخ يا جبرئيل قال هذا أبوك إبراهيم قال فما هؤلاء الأطفال حوله فقال هؤلاء أطفال المؤمنين حوله يغذيهم ثم مضى فمر على شيخ قاعد على كرسى إذا نظر عن يمينه ضحك وفرح وإذا نظر عن يساره حزن وبكى فقال من هذا يا جبرئيل فقال آدم إذا رأى من يدخل الجنة من ذريته ضحك وفرح وإذا رأى من يدخل النار من ذريته حزن وبكى ثم مضى على ملك قاعد على كرسى فسلم عليه فلم ير منه من البشر ما رأى من الملائكة فقال يا جبرئيل ما مررت بأحد من الملائكة إلا رأيت منه ما أحب إلا هذا فمن هذا الملك قال هذا مالك خازن النار أما إنه قد كان من أحسن الملائكة بشرا وأطلقهم وجها فلما جعل خازن النار اطلع فيها اطلاعة فرأى ما أعد الله فيها لأهلها فلم يضحك بعد ذلك ثم مضى حتى إذا انتهى حيث انتهى فرضت عليه الصلاة خمسون صلاة قال فأقبل فلما مر بموسى فقال يا محمد كم فرضت الصلاة على أمتك قال خمسون قال ارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عن أمتك قال فرجع ثم مر على موسى فقال كم فرض على أمتك قال كذا قال إن أمتك أضعف الأمم ارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عن أمتك فإني كنت فى بنى إسرائيل فلم يكونوا يطيقون إلا دون هذا فلم يزل يرجع إلى ربه عز وجل حتى جعلها خمس صلوات قال ثم مر على موسى قال فكم فرض على أمتك قال خمس صلوات قال ارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عن أمتك قال قد استحيت من ربي مما أرجع إليه ثم مضى فمر على إبراهيم خليل الرحمن فناده من خلفه قال يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة ماؤها عذب وتربتها طيبة قيعانها بيض غرسها سبحان الله

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فمر أمتك فليكتروا من غرسها ثم مضى حتى مر على

ص: ٥٩

غير يقدمها جمل أروق ثم أتى أهل مكة فأخبرهم بمسيره وقد كان بمكة قوم من قريش قد أتوا بيت المقدس فأخبرهم ثم قال آية ذلك أنها تطلع عليكم الساعة غير مع طلوع الشمس يقدمها جمل أروق قال فنظروا فإذا هي قد طلعت وأخبرهم أنه قد مر بأبي سفيان وأن إبله نفرت في بعض الليل وأنه نادى غلاما له في أول العير يا فلان إن الإبل قد نفرت وإن فلانة قد ألقت حملها وكسر يدها فسألوا عن الخبر فوجدوه كما قال ص

وروى أن النبي ص التفت إلى الأنبياء ببيت المقدس فقال بما تشهدون قالوا نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وعلى أمير المؤمنين ثم عرج به إلى السماء السابعة حتى كان قاب قوسين أو أدنى فرفعت الحجب له فمشى فنودى يا محمد إنك لتمشى في مكان ما مشى عليه بشر قبلك فكلمه الله عز وجل فقال آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ قَالَ ص نعم يا رب وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ بِهِ وَكُنْتَهُ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فقال الله عز وجل لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ فقال رسول الله ص رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فقال عز وجل قد فعلت ثم قال له من خلفت على أمتك من بعدك فقال ص الله أعلم قال له على بن أبي طالب أمير المؤمنين فكانت إمامته مشافهة من الله جل ذكره لنبيه عليه وآله الصلاة والسلام

وروى عن رسول الله ص أنه قال إن الله عز وجل لما عرج بي إلى السماء مثل لي أمتي في الطين من أولها إلى آخرها حتى أنا أعرف بهم من أحدهم بأعيانهم وعلمني الأسماء كلها وفرض على أمتي الصلاة تلك الليلة

وكان هذا بعد مبعثه ص بخمس سنين ثم رجع ص إلى الأرض وفقده أبوطالب عمه في تلك الليلة فلم يزل يطلبه ووجه إلى بنى هاشم أن اخرجوا في السلاح فقد فقدت محمدا فخرج جميع بنى هاشم وأبوطالب ع يقول يا لها من عظيمة إن لم أراني رسول الله إلى الفجر فبينما هو كذلك إذ تلقاه رسول الله ص وقد نزل من السماء على باب أم هانئ بنت أبي طالب أخت أمير المؤمنين ع فقال له أبوطالب انطلق معي فادخل بين يدي المسجد فدخل

ص: ٦٠

بنو هاشم فسل أبوطالب بسيفه عند الحجر ثم قال لبنى هاشم اخرجوا ما معكم فأخرجوا السلاح ثم التفت إلى قريش فقال والله لو لم أره لما بقى فيكم عين تطرف فقالت قريش يا أبا طالب لقد ركبنا عظيما وعزمت قريش بعد ذلك أن تغتاله وأصبح ص فضلى بالناس وحدثهم بحديث المعراج وقالوا له صف لنا بيت المقدس فرفعه جبرئيل ع حتى جعله تجاهه فجعل يراه ويحدثهم ثم حدثهم بأمر أبي سفيان وخبر الجمل الأحمر

الذى يقدمها فكذبوه وقالوا هذا سحر مبين لعنهم الله وأقام ص بمكة يدعو الناس فأجابه المؤمنون وجحده الكافرون

وسئل على بن الحسين ع عن الله تعالى هل يوصف بمكان فقال تعالى الله عن ذلك فقيل لم أسرى نبيه إلى السماء قال ليريه ملكوت السماء وما فيها من عجائب صنعته وبدائع خلقه قلت فقول الله تعالى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ص دَنَا مِنْ حَجَبِ النُّورِ فَرَأَى مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ ثُمَّ تَدَلَّى فَنَظَرَ مِنْ تَحْتِهِ إِلَى مَلَكُوتِ الْأَرْضِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ فِي الْقَرْبِ مِنَ الْأَرْضِ كَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى وَكَانَ مَعْرَاجُهُ بَعْدَ النَّبُوَّةِ بِسَنِينَ

باب ما ورد من معجزات النبي ص

اعلم أن معجزات النبي ص كثيرة وأقواها القرآن وتحدى العرب به. قال الله تعالى في سورة البقرة وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَإِذَا قُلُوبُكُمْ مَعْتَبَةٌ فَتُفْكَرُ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ أَتُفَكِّرُونَ قَالَ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا

ص: ٦١

وقال أمير المؤمنين ع إن اليهود أتت امرأة منهم يقال لها عبدة فقالوا لها يا عبدة قد علمت أن محمدا قد هدم ركن بنى إسرائيل وهدم اليهودية وقد غال الملأ من بنى إسرائيل بهذا السم له وهم جاعلون لك جعلاً على أن تسميه في هذا الشاة فعمدت عبدة إلى الشاة فشوتها ثم جمعت الرؤساء في بيتها وأتت رسول الله ص فقالت يا محمد قد علمت ما توجب لى وقد حضرني رؤساء اليهود فزيني بأصحابك فقام رسول الله ص ومعه أمير المؤمنين ع وأبودجانة وأبويوب وسهل بن حنيف وجماعة من المهاجرين فلما دخلوا وأخرجت الشاة شدت اليهود آنافها بالصوف وقاموا على أرجلهم وتوكوا على عصيهم فقال لهم رسول الله اقعدوا فقالوا إنا إذا زارنا نبي لم يقعد منا أحد وكرهنا أن يصل إليه من أنفاسنا ما يتأذى به وكذبت اليهود لعنهم الله إنما فعلت ذلك مخافة شواء السم ودخانه فلما وضعت الشاة بين يديه تكلم كتفها فقالت مه يا أحمد لا تأكلنى فإننى مسمومة فدعا رسول الله ص عبدة فقال لها ما حملك على ما صنعت فقالت قلت إن كان نبيا لم يضره وإن كان ساحرا كذا با أرحت قومي منه فهبط جبرئيل فقال الله يقرئك السلام ويقول قل بسم الله الذى يسميه به كل مؤمن وبه عز كل مؤمن وبنوره الذى أضاءت به السماوات والأرض وبقدرته التى خضع لها كل جبار عنيد وانتكس كل شيطان مرید من شر السم والسحر واللمم باسم العلى الملك الفرد الذى لا إله إلا هو ونزل من القرآن ما هوشفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا فقال النبي ص ذلك وأمر أصحابه فتكلموا به ثم قال كلوا ثم أمرهم أن يحتجموا

قال أمير المؤمنين ع إن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم بقوله وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا وقال لنبينا ص إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً وقال فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقال تعالى لنبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ورفع الله إدريس النبي ع

ص: ٦٢

وقال لنبينا ص ورفعنا لك ذكرك وأطعم إدريس النبي ع من تحف الجنة بعد وفاته وإن محمداً أطعمه في الدنيا في حياته بينما هو ص إذ أتاه جبرئيل ع بجام من الجنة فيه تحفة من الجنة فهلل الجام وهللت التحفة في يده ص وسبحا وكبرا وحمداً فناولها أهل بيته فقالت مثل ذلك فهم أن يناولها بعض أصحابه فتناولها جبرئيل ع قال له كلها فإنها تحفة من الجنة أتحتك الله بها وليست تصلح إلا لنبي أو وصى نبي فأكل وأكلنا معه فإني لأجد حلاوته إلى ساعتى وإن نوحا ع دعا ربه فهطلت له السماء بماء منهمر ورسول الله ص لما هاجر إلى المدينة أتوه في يوم جمعة فقالوا يا رسول الله احتبس القطر واصفر العود وتهافت الورق فرفع يده المباركة ص حتى رأى بباطن إبطيه وما في السماء سحابة فما برح حتى سقاها الله عز وجل حتى أن الشاب المعجب بشبابه تهمه نفسه بالرجوع إلى منزله من شدة السيل فدامت أسبوعاً فأتوه في الجمعة الثانية فقالوا يا رسول الله تهدمت الجدران واحتبست الركب والسفار فضحك رسول الله ص وقال هذه سرعة ملالة ابن آدم ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم في أصول الشيخ ومواقع النقع فرأيت حول المدينة القطر يقطر قطراً وما يقع في المدينة قطرة لكرامته على الله تعالى وإن هوداً قد انتصر الله له من أعدائه بالريح وانتصر لمحمد من أعدائه بالريح يوم الخندق إذ أرسل عليهم ريحاً تدير الحصى وجنوداً لم يروها قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنوداً فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وإن صالحاً قد جعل الله له ناقةً وبينما نحن في بعض غزواته إذا هوبيعير قد دنا نضوا فأنطقه الله تعالى فقال يا رسول الله إن فلاناً استعملني حتى كبرت ويريد ذبحي فأنا أستعيذ بك منه فأرسل رسول الله ص إلى صاحبه فاستوهبه فوهبه له وخلاه ولقد كنا معه فإذا نحن بأعرابي قد أتى بأعرابي إنه قد سرق ناقتي وهويسوقها وقد استسلم للقطع لما زوروا عليه الشهود فقالت يا رسول الله إن فلاناً منى برىء وإن الشهود شهدوا بالزور وإن سارقى فلان اليهودى وإن إبراهيم ع قد سلمه قومه إلى الحريق فصير الله عز وجل النار عليه برداً وسلاماً ومحمد ص لما نزل بخير سمته الخيرية انتقاماً لمن قتل من قومها فصير الله عز وجل السم في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله فالسم يحرق إذا استقر كما أن النار تحرق

ص: ٦٣

وإن موسى ع قد أعطاه الله اثنتي عشرة عينا أن اضرب بعصاك الحجر فأنجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم ومحمد ص لما نزل الحديدية وحاصره أهل مكة فجاء أصحابه وشكوا إليه الظماً حتى التفت خواصر الخيل فذكروا له ذلك فدعا بركوة ماء فجعل يده المباركة فيها فتفجرت من بين أصابعه عيون الماء فصدرنا وصدرت الخيل وملأنا كل مزود وسقاء ولقد كنا معه بالحديبية وإذا بقليب جافة فأخرج ع سهماً من

كنانته فناوله البراء بن عازب وقال له اذهب بهذا السهم إلى تلك القلب الجافة فاغرسه ففعل ذلك فتفجرت اثنتا عشرة عينا من تحت السهم ولقد كان يوم الميضة عبرة وعلامة للمكذبين لنبوته كحجر موسى حين دعا بالمیضة فنضب يده فيها ففاضت بالماء وارتفع حتى توضع منه ثمانية آلاف رجل وشربوا كلهم وسقوا دوابهم وحملوا ما أرادوا وإن عيسى ع قد أحيا الموتى بإذن الله ومحمد ص سبحت في يده سبع حصيات تسمع همهمتها في جنوبها فلا روح فيها لتمام حجة نبوته ولما نزل ص بالطائف وحاصر أهلها بعثوا إليه شاة مسمومة فنطقت الذراع منها وقالت يا رسول الله لا تأكلني فإنني مسمومة وإن عيسى ع خلق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه وكان طيرا بإذن الله ومحمد ص أخذ يوم خيبر حجرا فسمعا للحجر تسبيحا وتقديسا ثم قال للحجر انفلق وانفلق ثلاث فلق تسمع لكل فلق منها تسبيحة لا يسمع للأخرى ولقد بعث إلى شجرة يوم البطحاء فأجابته ولكل غصن تسبيح وتهليل وتقديس ثم قال لها انشقي فانشقت نصفين ثم قال لها التزقي فالتزقت ثم قال لها اشهدي لي بالنبوة فشهدت ثم قال لها ارجعي إلى مكانك بالتسبيح والتهليل والتقديس ففعلت وكان موضعها حيث الجزارون بمكة

وهذا خبر طويل قد أوردنا بعضه. ومن معجزاته ص انشقاق القمر لما التمسوا منه والقرآن قد نطق به. قوله تعالى اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بِالْغَةِ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ فالنبي أشار إلى القمر بإصبعه فانشق القمر فعانده كفار قريش وقالوا سحر مستمر إلى قوله فما تغني النذر قد أخبر عنهم تعالى. ومنها أنه ص كان يخطب إلى بعض الأجذاع فلما عمل المنبر وتحول إليه

ص: ٦٤

حن كما تحن الناقة فلما جاء إليه والتزمه سكن وأنشد لمحمد بن أبي طلحة العوني

سلام على هادي الوري خاتم النذر سلام على المستحفظ الطاهر الطهر سلام وريحان وروح وراحة على علم الدين المتوج بالفخر سلام على بحر النهى لجة الحجى على مهبط الأملاك والآى والذكر

مجلس في مولد النبي ص

قال أبو طالب يحدث عن عبد المطلب قال بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتي فأتييت كاهنة قريش وعلى مطرف خز ومجمتي تضرب منكبي فلما نظرت إلى عرفت في وجهي التغير فاستوت وأنا يومئذ سيد قومي فقالت ما شأن سيد العرب متغير اللون هل رايه من حدثان الدهر ريب فقلت بلى رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة قد نبئت على ظهري وقد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها الشرق والغرب ورأيت نورا يظهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم ساجدة لها وهي كل يوم تزداد عظما ونورا ورأيت رهطا من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شاب من أحسن الناس وجهها وأنظفهم ثيابا فيأخذهم ويكسر ظهورهم ويقطع أعينهم فرفعت يدي لأنال غصنا من أغصانها فصاح بي الشاب وقال مهلا ليس لك منها نصيب فقلت لمن النصيب والشجرة منى فقال النصيب لهؤلاء الذين قد تعلقوا بها وسيعودون

إليها فانتبهت مذعورا فزعا متغير اللون فرأيت لون الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت ليخرجن من صلبك ولد يملك الشرق والغرب وينبأ فى الناس فتسرى عنى غمى فانظر أبا طالب لعلك تكون أنت فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي ص قد خرج ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين

قال ابن عباس سمعت أبا العباس يحدث قال ولد لأبى عبد المطلب عبد الله فرأينا فى وجهه نورا يظهر كنور الشمس فقال أبى إن لهذا الغلام شأننا عظيما قال

ص: ٦٥

فرأيت فى منامى أنه خرج من منخره طائر أبيض فطار فبلغ المشرق والمغرب ثم رجع راجعا حتى سقط على بيت الكعبة فسجدت له قريش كلها فبينما الناس يتأملونه إذ صار نورا بين السماء والأرض وامتد حتى بلغ المشرق والمغرب فلما انتهت سألت كاهنة بنى مخزوم فقالت يا عباس لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يسير أهل المشرق والمغرب تبعا له فقال أبى فهمنى أمر عبد الله إلى أن تزوج بآمنة وكانت من أجمل نساء قريش وأتمها خلقا فلما مات عبد الله وولدت آمنة رسول الله ص أتيتته ورأيت النور بين عينيه يزهر فحملته وتفرست فى وجهه فوجدت منه ريح المسك وصرت كأنى قطعة مسك من شدة ريحي فحدثتني آمنة وقالت لى إنه لما أخذنى الطلق واشتد بى الأمر سمعت جلبة وكلاما لا يشبه كلام الآدميين ورأيت علما من سندس على قضيب من ياقوتة قد ضرب بين السماء والأرض ورأيت نورا يسطع من رأسه حتى بلغ السماء ورأيت قصور الشامات كأنها شعلة نار ورأيت حولى من القطة أمرا عظيما قد نشرت أجنحتها حولى ورأيت شعيرة الأسدية قد مرت وهى تقول آمنة ما لقيت الكهان والأصنام من ولدك ورأيت رجلا شابا من أتم الناس طولاً وأشدهم بياضا وأحسنهم ثيابا ما ظننته إلا عبد المطلب قد دنا منى فأخذ المولود فتفل فى فيه واستنطقه فنطق فلم أفهم ما قال إلا أنه قال فى أمان الله وحفظه وكلائته قد حشوت قلبك إيمانا وعلمنا وحلما ويقينا وعقلا وشجاعة أنت خير البشر طوبى لمن اتبعك وويل لمن تخلف عنك ثم أخرج صرة من حريرة بيضاء ففتحها فإذا فيها خاتم فضرب على كتفه ثم قال أمرنى ربى أن أنفخ فيك من روح القدس فنفخ فيه وألبسه قميصا وقال هذا أمانك من آفات الدنيا فهذا ما رأيت يا عباس قال يعنى العباس وأنا يومئذ أقرأ فكشفت عن ثوبه فإذا خاتم النبوة بين كتفيه فلم أزل أكتم شأنه وأنسيت الحديث فلم أذكره إلى يوم إسلامى حتى ذكرنى رسول الله ص

قال الصادق ع كان إبليس لعنه الله يخترق السماوات السبع فلما ولد عيسى ع حجب عن ثلاث سماوات وكان يخترق أربع سماوات فلما ولد رسول الله ص حجب عن السبع كلها ورميت الشياطين بالنجوم وقالت قريش هذا قيام الساعة التى كنا نسمع أهل الكتب يذكرونه

ص: ٦٦

وقال عمرو بن أمية وكان من أعلم أهل الجاهلية انظروا هذه النجوم التى يهتدى بها ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف فإن كان رمى بها فهو هلاك كل شىء وإن كانت ثبتت ورمى بغيرها فهو أمر حدث وأصبحت الأصنام

كلها صبيحة ولد النبي ص ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه وارتجس في تلك الليلة إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نيران فارس ولم تخدم قبل ذلك بألف عام ورأى الموبدان في تلك المنام إبلا صعبا تقود خيلا عرابا حتى عبرت دجلة وانسربت في بلادهم وانفصم طاق الملك كسرى من وسطه وانخرقت عليه دجلة العوراء وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا والملك مخرسا لا يتكلم يومه ذلك فانتزع علم الكهنة وبطل سحر السحرة ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها وعظمت قريش في العرب وسموا آل الله عز وجل .

قال أبو عبد الله ع إنما سمو آل الله لأنهم في بيت الله الحرام

وقالت آمنة إن ابني والله سقط فاتقى الأرض بيده ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها ثم خرج مني نور أضاء له كل شيء وسمعت في الضوء قائلا يقول إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمدا وأتى به عبد المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمه فأخذه ووضع في حجره ثم قال

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأركان قد سار في المهد على الغلمان

ثم عوده بأركان الكعبة وقال فيه أشعارا قال وصاح إبليس لعنه الله في أبالسته فاجتمعوا إليه وقالوا ما الذي أفزعك يا سيدنا فقال لهم ويلكم لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى ابن مريم ع فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث فافترقوا ثم اجتمعوا إليه فقالوا ما وجدنا شيئا فقال إبليس لعنه الله أنا لهذا الأمر ثم انغمس في الدنيا فجعلها حتى انتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوظا بالملائكة فذهب ليدخل فصاحوا به فرجع ثم صار مثل الصر وهو العصفور قد دخل من قبل حراء فقال له جبرئيل ما وراك لعنك الله فقال له حرف أسألك عنه يا جبرئيل ما هذا الحدث الذي حدث منذ

ص: ٦٧

الليلة في الأرض فقال ولد محمد ص فقال له هل لى فيه نصيب قال لا قال ففي أمته قال نعم قال رضيت

قال أبو عبد الله ع نزل جبرئيل على النبي ص فقال يا محمد إن الله جل جلاله يقرئك السلام ويقول إنى قد حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك فقال النبي ص يا جبرئيل بين لى ذلك فقال أما الصلب الذى أنزلك فعبد الله بن عبد المطلب وأما البطن الذى حملك فآمنة بنت وهب وأما الحجر الذى كفلك فأبوطالب بن عبد المطلب وفاطمة بنت أسد

قال الصادق ع سئل النبي أين كنت وآدم في الجنة قال كنت في صلبه وهبط بي إلى الأرض في صلبه وركبت السفينة في صلب أبي نوح وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم لم يلتق لى أبوان على سفاح قط لم يزل الله عز وجل ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة هاديا مهديا حتى أخذ الله بالنبوة عهدى

وبالإسلام ميثاقى وبين كل شىء من صفتى وأثبت فى التوراة والإنجيل ذكرى ورقى بى إلى سمائه وشق لى
اسما من أسمائه أمتى الحمادون فذوالعرش محمود وأنا محمد

قال ليث بن سعد قلت لكعب وهو عند معاوية كيف تجدون صفة مولد النبى ص وهل تجدون لعترته فضلا
فالتفت كعب إلى معاوية لينظر كيف هواه فأجرى الله على لسانه فقال هات يا أبا إسحاق ما عندك قال كعب
إنى قد قرأت اثنين وسبعين كتابا كلها أنزل من السماء وقرأت صحف دانيال كلها ووجدت فى كلها ذكر مولده
ومولد عترته وأن اسمه لمعروف وأنه لم يولد نبى قط ونزلت عليه الملائكة ما خلا عيسى وأحمد ع وما ضرب
على آدمية حجب الجنة غير مريم وآمنة أم أحمد ع وما وكلت الملائكة بأنثى حملت غير مريم أم المسيح
وآمنة أم أحمد ع وكان من علامة حملها أنه لما كانت الليلة التى حملت آمنة به ص نادى مناد فى السماوات
السبع أبشروا فقد حمل الليلة بأحمد وفى الأرضين كذلك حتى فى البحار وما بقى يومئذ فى الأرض دابة
تدب ولا طائر يطير إلا علم بمولده ولقد بنى فى الجنة ليلة مولده سبعون ألف قصر من ياقوتة حمراء وسبعون
ألف قصر من لؤلؤ رطب فقيل هذه قصور الولادة ونجدت الجنان وقيل لها اهتزي وتزيني فإن نبى أولياك قد
ولد فضحكت الجنة يومئذ فهى ضاحكة إلى يوم القيامة وبلغنى أن

ص: ٦٨

حوتا من حيتان البحر يقال له طمسوسا وهوسيد الحيتان له سبعمائة ألف ذنب يمشى على ظهر سبع مائة ألف
نون الواحد أكبر من الدنيا لكل نون سبع مائة ألف قرن من زمرد أخضر لا يشعر بهن اضطرب فرحا بمولده
ولولا أن الله عز وجل ثبته لجعل عاليها سافلها ولقد بلغنى أن يومئذ ما بقى جبل إلا نادى صاحبه بالبشارة
ويقول لا إله إلا الله ولقد خضعت الجبال كلها لأبى قبيس كرامة لمحمد ص ولقد وقدت الأشجار أربعين يوما
بأنواع الأنوار وثمارها فرحا بمولده ص ولقد ضرب بين السماء والأرض سبعون عمودا من أنواع الأنوار لا
يشبه كل واحد صاحبه ولقد بشر آدم بمولده فزيد فى حسنه سبعين ضعفا وكان قد وجد مرارات الموت وكان
قد مسه ذلك فسرى ذلك عنه ولقد بلغنى أن الكوثر اضطرب فى الجنة واهتز فرمى بسبعمائة ألف قصر من
قصور الدر والياقوت نثارا لمولد محمد ص ولقد ذم إبليس وكبل وألقى فى الحصن أربعين يوما ولقد غرق
عرشه أربعين يوما ولقد تنكصت الأصنام كلها وصاحت وولولت ولقد سمعوا صوتا من الكعبة يا آل قريش
جاءكم البشير جاءكم النذير معه عز الأبد والريح الأكبر وهو خاتم الأنبياء. ونجد فى الكتب أن عترته خير
الناس بعده وأنه لا يزال الناس فى أمان من العذاب ما دام من عترته فى دار الدنيا خلق يمشى. قال معاوية يا
أبا إسحاق ومن عترته قال كعب ولد فاطمة فعبس معاوية وجهه وعض على شفتيه وأخذ يعبث بلحيته قال
وإنا نجد صفة الفرخين الشهيدين وهما فرخا فاطمة يقتلها شر البرية قال فمن يقتلها قال رجل من قريش
فقام معاوية فقال قوموا إن شئتم فقمنا

قال الصادق ع قالت آمنة بنت وهب بن عبد مناف ع لما قربت ولادة رسول الله ص رأيت جناح طائر أبيض
قد مسح على فؤادى وكان قد تداخلنى رعب فذهب الرعب عني وأوتيت بشربة بيضاء ظننتها لبنا وكنت
عطشى فنوولتها فشربتها فأصابنى نور عال ثم رأيت نسوة كالتخل طولا تحدثنى فعجبت وجعلت أقول فى

نفسى من أين علمن هؤلاء بموضعى ثم اشتد الأمر وأنا أسمع الأبيض الوجيه فى كل وقت حتى رأيت كالدجاج الأبيض قد ملأ ما بين السماء والأرض وقائل يقول خذوه من أعز الناس ثم رأيت رجالا وقوفا فى الهواء بأيديهم أباريق ثم

ص: ٦٩

كشف عز وجل لى عن بصرى ساعتى تلك فرأيت مشارق الأرض ومغاريها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبة علما فى المشرق وعلما فى المغرب وعلما على ظهر الكعبة ثم خرج رسول الله ص فخر ساجدا ورفع إصبعة إلى السماء كالمترزع المبتهل ورأيت سحابة بيضاء تنزل من السماء حتى غشيتها فسمعت مناديا ينادى طوفوا بمحمد ص شرق الأرض وغربها والبحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ثم انجلت عنه الغمامة فإذا أنا به فى ثوب أبيض أشد بياضا من اللبن وتحتة حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب وقائل يقول قبض محمد ص على مفاتيح النصرة ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة ثم أقبلت سحابة أخرى أنور من الأولى حتى غشيتها فغيب عن وجهى أطول من المرة الأولى وسمعت مناديا يقول طوفوا بمحمد ص الشرق والغرب وأعرضوه على روحانى الجن والإنس والطير والسباع وأعطوه صفاء آدم ورقة نوح وخلة إبراهيم ولسان إسماعيل وكمال يوسف وبشرى يعقوب وصوت داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى ثم انكشف عنه فإذا أنا به وببده حريرة خضراء قد طويت طيا شديدا وقد قبض عليها وقائل يقول قد قبض محمد على الدنيا كلها فلم يبق شىء إلا دخل فى قبضته ثم إن ثلاثة نفر كأن الشمس تطلع من وجوههم فى يد أحدهم إبريق فضة ورائحته كرائحة المسك وفى يد الثانى طست من زمردة خضراء لها أربعة جوانب من كل جانب لؤلؤة بيضاء وقائل يقول هذه الدنيا فاقبض عليها يا حبيب الله فقبض على وسطها فقال قائل قبض على الكعبة ورأيت فى يد الثالث حريرة بيضاء مطوية فنشرها فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين فيه ثم حمل ابنى فغسل بذلك الماء من الإبريق سبع مرات وختم بين كتفيه بالخاتم ولفف فى الحريرة وأدخل بين أجنحتهم ساعة وكان الفاعل ما فعل به رضوان ع ثم انصرف وجعل يلتفت إليه ويقول أبشر يا عز الدنيا والآخرة وولد ص طاهرا مطهرا ومات أبوه وأمه وهو صغير السن

وروى عن عبد المطلب أنه قال كنت تلك الليلة فى الكعبة أقم من البيت شيئا فلما انتصف الليل فإذا أنا ببيت الله قد اشتمل بجوانبه الأربعة وخر ساجدا فى مقام إبراهيم ع ثم استوى البيت قائما أسمع منه تكبيرا عجيبا ينادى الله أكبر رب محمد المصطفى الآن قد طهرنى ربى من أنجاس المشركين وأرجاس المشركين الجاهلية ثم انتفضت الأصنام كما ينتفض الثوب فكأنى أنظر إلى الصنم الأعظم يميل وقد انكشف

ص: ٧٠

فلما رأيت البيت وفعله والأصنام وفعلها لم أدر ما أقول وجعلت أحسر عن عيني فأقول إنى لنائم وأقول كلا إنى ليقظان ثم انطلقت إلى بطحاء مكة وخرجت من باب بنى شيبه فإذا أنا بالصفاء وأنادى من كل جانب يا سيد قريش ما لك كالخائف الوجل أ مطلوب أنت فما أحير جوابا إنما همتى آمنة حتى أنظر إلى ابنها محمد

ص وإذا أنا بطير الأرض حاشرة إليها وإذا جبال مكة مشرفة عليها وإذا سحابة بيضاء بإزاء حجرتها فلما رأيت ذلك دنوت من الباب على نفسها فإذا ليس هناك أثر النفاس والولادة فدققت الباب فأجابتنى بخفى صوتها فقلت عجلي افتحي الباب ففتحت الباب مبادرة فأول شيء وقعت عيني عليه من وجهها موضع نور محمد ص فلم أره فقلت أنا نائم أويظان قالت بل يقظان ما لك كالخائف أ مطلوب أنت قلت لا ولكننى منذ ليلتى فى كل دعر وخوف وما لى لا أرى النور الذى كنت أراه بين عينيكم ساطعا قالت قد وضعته قلت ومن أين وضعته وليس بك أثر النفاس قالت بلى والله وضعته أتم الوضع وأهونه وهذه الطير التى تراها بإزاء حجرتى تنازعنى عند ما وضعته أن أدفعه إليها فتحمله إلى أعشاشها وهذه السحاب تسألنى كذلك قلت فهاتيه أنظر إليه قالت حيل بينك وبينه أن تراه من يومك هذا قلت ولم ذاك قالت لأنه أتانى آت ساعة ولدته كأنه قصب فضة كالنخلة الباسقة فقال لى انظرى يا آمنة لا تخرجى هذا الغلام إلى خلق الله من ولد آدم حتى يأتى عليه منذ يوم ولديته ثلاثة أيام فسللت سيفى وقلت لتخرجنه أولأقتلنك وإلا بدأت بنفسى فقتلتها فلما نظرت أنه الحقيقة قالت شأنك وإياه قلت وأين هو قالت هوفى ذلك البيت مدرج فى ثوب صوف أبيض تحته حريرة خضراء فلما هممت أن أدلج البيت بدر إلى من داخل البيت رجل فقال لى إلى أين قلت أنظر إلى ابنى محمد ص قال لى ارجع وراك فلا سبيل لأحد من بنى آدم إلى رؤيته أوتنقى زيارة الملائكة قال عبد المطلب فارتعدت وألقيت السيف من يدى وخرجت مبادرا أخبر قريشا بذلك فأخذ الله عز وجل على لسانى فلم أنطق بهذه الكلمة سبعة أيام ولياليها

وكانت ولادته يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول فى عام الفيل. وقيل يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول فى عام الفيل والأول أظهر وأصح.

ص: ٧١

قال رسول الله ص خلق الله عز وجل نطفتى بيضاء مكنونة فنقلها من صلب إلى صلب حتى نقلت النطفة إلى صلب عبد المطلب فجعل نصفين فصير نصفها فى عبد الله ونصفها فى أبى طالب فأنا من عبد الله وعلى من أبى طالب وذلك قول الله عز وجل وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا

سلام على من قدس الأرض إذ نوى بها منه جسم طيب طاهر الطهر سلام على الأنجاب ما ذر شارق إلى القبة البيضاء سلام على القمر

مجلس فى ذكر وفاة سيدنا ومولانا ص

اعلم أن النبى ص قبض بالمدينة مسموما يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من هجرته وهوابن ثلاث وستين سنة وقيل كان وفاته فى شهر ربيع الأول والأول هوالمعتمد عليه وهذا شاذ فلما قبض ص اختلف أهل بيته ومن حضرهم من الصحابة فى الموضع الذى يدفن فيه فقال بعضهم يدفن بالبقيع وقال آخرون فى صحن المسجد

فقال أمير المؤمنين ع إن الله عز وجل لم يقبض نبيه ص إلا في أظهر البقاع فينبغي أن يدفن في البقعة التي قبض فيها فاتفقت الجماعة على قوله ع ودفن ص في حجرته

وروى أن رجلين دخلا على علي بن الحسين ع من قريش فقال أ لا أحدثكما عن رسول الله ص فقالا بلى حدثنا عن أبي القاسم ص قال سمعت أبي يقول لما كان قبل وفاة النبي ص بثلاثة أيام هبط جبرئيل ع فقال يا أحمد إن الله عز وجل أرسلني إليك إكراما وتفضيلا لك وخاصة يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجددك يا محمد قال النبي محمد ص أجدني مغموما وأجدني يا جبرئيل مكروبا فلما كان اليوم الثالث هبط جبرئيل وملك الموت ومعهما ملك يقال له إسماعيل في الهواء على سبعين ألف ملك فسبقهم جبرئيل فقال يا أحمد إن الله تعالى أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا لك وخاصة يسألك عما هو به أعلم منك فقال كيف تجددك

ص: ٧٢

يا محمد قال أجدني يا جبرئيل مغموما وأجدني يا جبرئيل مكروبا فاستأذن ملك الموت فقال جبرئيل يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك لم يستأذن على أحد قبلك ولا يستأذن على أحد بعدك قال ائذن له فأذن له جبرئيل ع فأقبل حتى وقف بين يديه فقال يا أحمد إن الله تعالى أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما تأمرني إن أمرتني بقبض نفسي قبضتها وإن كرهت تركتها فقال النبي ص أ تفعل ذلك يا ملك الموت قال نعم بذلك أمرت أن أطيعك فيما تأمرني فقال له جبرئيل يا أحمد إن الله عز وجل قد اشتاق إلى لقاءك قال الشيخ الإمام السيد يعني قد أراد كونك في الجنة فقال رسول الله ص امض لما أمرت به فقال جبرئيل هذا آخر وطني للأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا فلما توفي رسول الله ص وعلا روحه الطيبة جاءت التعزية إذ جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم ورحمة الله كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله تقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال أمير المؤمنين ع هل تدرون من هذا هذا الخضر ع

قال ابن عباس لما مرض رسول الله ص وعنده أصحابه قام إليه عمار بن ياسر قال له فداك أبي وأمي يا رسول الله من يغسلك منا إذا كان ذلك منك قال ذاك علي بن أبي طالب إنه لا يهمل بعضهم أعضائي إلا أعانته الملائكة على ذلك قال له فداك أبي وأمي يا رسول الله فمن يصلي عليك منا إذا كان ذلك منك قال مه رحمك الله ثم قال لعلي ع يا ابن أبي طالب إذا رأيت روحى قد فارقت جسدى فاغسلنى وأنق غسلى وكفنى فى طمرى هذين أوفى بياض مصر وبرد يمانى فلا تغال فى كفنى واحملونى حتى تضعونى على شفير قبرى فأول من يصلى على الجبار جل جلاله من فوق عرشه قال ابن الفارسي يعني يوجد الله الصلاة على النبي ص من فوق عرشه كما قال تعالى إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ لَا أَنَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقَ عَرْشِهِ لِأَنَّ الْفَوْقَ وَالتَّحْتَ مِنْ أَسْمَاءِ الْمُضَافِ ثُمَّ جِبْرِئِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ فِي جُنُودِ الْمَلَائِكَةِ لَا يَحْصِي عَدْدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ثُمَّ الْحَافُونَ بِالْعَرْشِ ثُمَّ سُكَّانُ أَهْلِ سَمَاءِ سَمَاءٍ ثُمَّ جَلَّ أَهْلُ

يبتى ونسائي الأقربون فالأقربون يؤمون إيماء ويسلمون تسليما ولا تؤذونى بصوت نائحة ولا برنة

ثم قال يا بلال هلم على بالناس فاجتمع الناس فخرج رسول الله ص معتصبا بعمامته متوكيا على قوسه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال معاشر أصحابي أى نبى كنت لكم أ لم أجاهد بين أظهركم أ لم تكسر رباعيتي أ لم يعفر جبينى أ لم تسل الدماء على حر وجهي حتى خضبت لحيتى أ لم أكابد الشدة والجهد مع جهال قومي أ لم أربط حجر المجاعة على بطنى قالوا بلى يا رسول الله لقد ابتليت وكنت لله صابرا وعن منكر بلاء الله ناهيا فجزاك الله عنا أفضل الجزاء قال وأنتم فجزاكم الله خير الجزاء ثم قال إن ربى عز وجل حكم وأقسم ألا يجوزه ظلم ظالم فناشدتكم الله أى رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتصص والقصاص فى دار الدنيا أحب إلى من القصاص فى دار الآخرة على رءوس الملائكة والأنبياء فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له سودة بن قيس فقال له فداك أبى وأمى يا رسول الله إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء ويبدك القضيب الممشوق فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطنى فلا أدري عمدا أخطأ فقال معاذ الله أن أكون تعمدت ثم قال يا بلال قم إلى منزل فاطمة فأتنى بالقضيب الممشوق فخرج بلال وهو ينادى فى سكك المدينة معاشر الناس من الذى يعطى القصاص من نفسه قبل يوم القيامة فطرق بلال الباب على فاطمة وهو يقول يا فاطمة قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق فصاحت ع فقالت يا بلال وما يصنع والذى بالقضيب وليس هذا يوم القضيب فقال بلال يا فاطمة أ ما علمت أن والدك قد صعد المنبر وهو يودع أهل الدين والدنيا فصاحت فاطمة ع وهى تقول وا غماه لغمك يا أبتاه من للفقراء والمساكين وابن السبيل حبيب والله حبيب القلوب ثم ناولت بلالا القضيب فخرج حتى ناوله رسول الله ص فقال رسول الله ص أين الشيخ فقال الشيخ ها أنا ذا يا رسول الله بأبى أنت وأمى قال تعال فاقتصص حتى ترضى قال الشيخ فاكشف لى عن بطنك فكشف ص عن بطنه فقال الشيخ بأبى أنت وأمى يا رسول الله أ تأذن لى أن أضع فمى على بطنك فأذن له فقال أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم القيامة فقال رسول الله ص يا سودة بن قيس أ تعفوا أم تقتصص قال بل أعفويا رسول الله فقال رسول الله ص اللهم اعف عن سودة بن قيس كما عفا

عن نبيك محمد ثم قام رسول الله ص فدخل بيت أم سلمة وهو يقول رب سلم أمة محمد من النار ويسر عليهم الحساب وقالت أم سلمة يا رسول الله ما لى أراك مغموما متغير اللون قال نعتت إلى نفسى هذه الساعة سلام لك منى فى الدنيا فلا تسمعين بعد هذا صوت محمد أبدا فقالت أم سلمة وا حزناه حزنا لا تدرکه الندامة عليك يا محمد ثم قال ص ادع لى حبيبة نفسى وقره عيني فاطمة ثم أغمى عليه فجاءت فاطمة وهى تقول نفسى لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء يا أبتاه أ لا تكلمنى كلمة فإنى أنظر إليك وأراك تفارق الدنيا وأرى عساكر الموت تغشاك شديدا فقال لها بنية إنى مفارقتك فسلام عليك منى قالت يا أبتاه فأين الملتقى يوم القيامة قال عند الحساب قالت فإن لم ألقك عند الحساب قال عند الشفاعة لأمتى قالت فإن لم ألقك عند

الشفاعة لأمتك قال عند الصراط جبرئيل عن يميني وميكائيل عن يساري والملائكة من خلفي وقدامي ينادون رب سلم أمة محمد من النار ويسر عليهم الحساب فقالت فاطمة ع فأين والدتي خديجة قال في قصر له أبواب إلى الجنة ثم أغمى على رسول الله ص فدخل بلال وهو يقول الصلاة رحمك الله فخرج رسول الله ص وصلى بالناس وخفف الصلاة ثم قال ادعوا لي على بن أبي طالب وأسامة بن زيد فوضع ع إحدى يديه على عاتق علي ع والأخرى على أسامة ثم قال انطلقا بي إلى فاطمة فجاء به حتى وضع رأسه في حجرها فإذا الحسن والحسين ع يبكيان ويضطربان وهما يقولان أنفسنا لنفسك الفداء ووجوهنا لوجهك الوقاء فقال رسول الله ص من هذان يا علي قال هذان ابناك الحسن والحسين فعانقتهما وقبلهما وكان الحسن ع يبكي أشد بكاء فقال له كف يا حسن فقد شققت على رسول الله ص فنزل ملك الموت ع فقال السلام عليك يا رسول الله قال وعليك السلام يا ملك الموت لي إليك حاجة قال وما حاجتك يا رسول الله قال حاجتي أن لا تقبض روحي حتى يجيء جبرئيل ع فيسلم علي وأسلم عليه فخرج ملك الموت وهو يقول يا محمداه فاستقبله جبرئيل في الهواء فقال يا ملك الموت قبضت روح محمد قال لا يا جبرئيل يسألني أن لا أقبض روحه حتى يلقاك فيسلم عليك وتسلم عليه قال جبرئيل يا ملك الموت أ ما ترى أبواب السماء مفتحة لروح محمد ص أ ما ترى حور العين قد تزين لروح محمد ثم نزل جبرئيل ع فقال السلام عليك يا أبا القاسم فقال وعليك السلام يا جبرئيل ادن مني حبيبي جبرئيل

ص: ٧٥

فدنا منه فنزل ملك الموت فقال له جبرئيل يا ملك الموت احفظ وصية الله في روح محمد وكان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت أخذ بروحه ص كلما كشف الثوب عن وجه رسول الله ص نظر إلى جبرئيل فقال عند الشدائد لا تخذلني فقال يا محمد إنك ميت وإنهم ميتون كل نفس ذائقة الموت

فروى عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ص قال في ذلك المرض ادعوا لي حبيبي فجعل يدعى له رجل بعد رجل فيعرض عنه فقيل لفاطمة امضى إلى علي ما نرى رسول الله ص يريد غير علي فبعثت فاطمة إلى علي ع فلما دخل فتح رسول الله ص عينيه وتهلل وجهه ثم قال إلى علي ع يدنيه حتى أخذ بيده وأجلسه عند رأسه ثم أغمى عليه ص فجاء الحسن والحسين ع يصيحان يبكيان حتى وقعا على رسول الله فأراد علي أن ينحيهما عنه فأفاق رسول الله ص ثم قال يا علي دعني أشمهما ويشماني وأتزود منهما ويتزودان مني أما أنهما سيظلمان بعدى ويقتلان ظلما فلعنة الله على من يظلمهما يقول ذلك ثلاثا ثم مد يده إلى علي ع فجذبه إليه حتى أدخلها تحت ثوبه الذي كان عليه ووضع فاه على فيه وجعل يناجيه مناجاة طويلة حتى خرجت روحه الطيبة ص فانسل علي ع من تحت ثيابه وقال عظم الله أجوركم في نبيكم فقد قبضه الله فارتفعت الأصوات بالضجة والبكاء فليل لأمر المؤمنين ع ما الذي ناجاك به رسول الله ص حين أدخلت تحت ثيابه فقال علمني ألف باب كل باب يفتح ألف باب

وكان سن رسول الله ص يومئذ ثلاثا وستين سنة ومدة نبوته ورسالته ثلاث وعشرون سنة ثلاث عشرة سنة بمكة وعشرة بالمدينة. قال الشاعر

سلام على من قدس الأرض إذ ثوى بها منه جسم طيب طاهر النشروسلام على الأنجاب ما ذر شارق إلى القبة
البيضاء سلام على القبر

وقالت فاطمة بعد وفاة أبيها ص

حقيق على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا صبت على مصائب لوأنها صبت على الأيام صرن
لياليا

ص: ٧٦

فصل فى ذكر وصف النبى ص

روى أن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين ع وهو فى مسجد الكوفة محتبيا بحمائل سيفه فقال يا أمير المؤمنين
صف لى صفة رسول الله ص حتى كأنى أنظر إليه قال نعم كان أبيض اللون مشرب حمرة أدعج العينين سبط
الشعر دقيق المسربة سهل الخد سرتة تجرى كالقصب لم يكن فى بطنه ولا صدره شعر غيره كان شثن الكف
والقدم إذا مشى كأنما ينحدر فى صيب وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر وإذا التفت التفت جميعا لم يكن
بالقصير ولا بالطويل عرقه فى وجهه اللؤلؤ وريح عرقه أطيب من ريح المسك الأذفر لم أر مثله قبله ولا بعده
صلوات الله عليه وآله

مجلس فى ذكر مولد أمير المؤمنين على ع

وروى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وصى رسول الله ص
وخليفته الإمام العادل والسيد المرشد والصدىق الأكبر سيد الوصيين وإمام الموحدين كنيته أبو الحسن ولد بمكة
فى البيت الحرام يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة وأمه فاطمة بنت
أسد بن هاشم بن عبد مناف وهو أول هاشمى فى الإسلام من هاشميين

قال يزيد بن قعنب كنت جالسا مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ
أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ع وكانت حاملا به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق فقالت رب إنى
مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإنى مصدقة بكلام جدى إبراهيم الخليل ع وأنه بنى البيت
العتيق فبحق الذى بنى هذا البيت وبحق المولود الذى فى بطنى لما يسرت على ولادتى قال يزيد بن قعنب
فأرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره ودخلت فاطمة فيه

ص: ٧٧

وغابت عن أبصارنا والتزق الحائط فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح فعلمنا أن فى ذلك أمر من الله عز
وجل ثم خرجت بعد الرابع ويدها أمير المؤمنين ع ثم قالت إنى فضلت على من تقدمنى من النساء لأن آسية
بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سرا فى موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطرارا وأن مريم بنت عمران

هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً وإنى دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأوراقها فلما أردت أن أخرج هتف بى هاتف يا فاطمة سميه علياً فهو على والله العلى الأعلى يقول إنى شققت اسمه من اسمى وأدبته بأدبى ووقفته على غوامض علمى وهو الذى يكسر الأصنام فى بيتى وهو الذى يؤذن فوق ظهر بيتى ويقدسنى ويمجدنى فطوبى لمن أحبه وأطاعه وويل لمن أبغضه وعصاه

قال جابر بن عبد الله الأنصارى سألت رسول الله ص عن ميلاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع فقال آه آه لقد سألتنى عن خير مولود ولد بعدى على سنة المسيح ع إن الله تبارك وتعالى خلقنى وعلياً من نور واحد قبل أن يخلق الخلق بخمسائة ألف عام فكنا نسيح الله ونقدسه فلما خلق الله تعالى آدم قذف بنا فى صلبه واستقررت أنا فى جنبه الأيمن وعلى فى الأيسر ثم نقلنا من صلبه فى الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الطيبة فلم نزل كذلك حتى أطلعنى الله تعالى من ظهر طاهر وهو عبد الله بن عبد المطلب فاستودعنى خير رحم وهى آمنة ثم أطلع الله تبارك وتعالى علياً من ظهر طاهر وهو أبوطالب واستودعه خير رحم وهى فاطمة بنت أسد ثم قال يا جابر ومن قبل أن يقع على فى بطن أمه كان فى زمانه رجل عابد راهب يقال له المثرم بن رعيب بن الشيقانم وكان مذكوراً فى العبادة قد عبد الله مائة وتسعين سنة ولم يسأل حاجة فسأل ربه أن يريه ولياً له فبعث الله تبارك وتعالى بأبى طالب إليه فلما أن بصر به المثرم قام إليه فقبل رأسه وأجلسه بين يديه فقال من أنت يرحمك الله قال رجل من تهامة فقال من أى تهامة قال من مكة قال ممن قال من عبد مناف قال من أى عبد مناف قال من بنى هاشم فوثب إليه الراهب فقبل رأسه ثانياً وقال الحمد لله الذى أعطانى مسألتى فلم يمتنى حتى أرانى وليه ثم قال له أبشر يا هذا فإن العلى الأعلى قد ألهمنى إلهاماً فيه بشارتك قال أبوطالب وما هو قال ولد يخرج من صلبك هوولى الله تبارك وتعالى وهو إمام المتقين ووصى رسول الله فإن أدركت

ص: ٧٨

ذلك الولد فأقرئه منى السلام وقل له إن المثرم يقرئك السلام وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأنك وصيه حقاً بمحمد تتم النبوة وبك تتم الوصية قال فبكى أبوطالب وقال له ما اسم هذا المولود قال اسمه على فقال أبوطالب إنى لا أعلم حقيقة ما تقول إلا ببرهان بين ودلالة واضحة قال المثرم فما تريد أن أسأل الله لك أن يعطيك فى مكانك ما يكون دلالة لك قال أبوطالب أريد طعاماً من الجنة فى وقتى هذا فدعا الراهب بذلك فما استتم دعاه حتى أتى بطبق عليه من فواكه الجنة رطبة وعنبه ورمان فتناول أبوطالب منه رمانة ونهض فرحاً من ساعته حتى رجع إلى منزله فأكلها فتحولت ماءً فى صلبه فجامع فاطمة بنت أسد فحملت بعلى وارتجت الأرض وزلزلت بهم أياماً حتى لقيت قريش من ذلك شدة وفزعوا وقالوا قوموا بالهتكم إلى ذروة أبى قبيس حتى نسألهم أن يسكنوا ما نزل بكم وحل بساحتكم فلما اجتمعوا على ذروة جبل أبى قبيس فجعل يرتج ارتجاجاً حتى تدكدكت بهم الصخور وتناثرت وتساقطت الآلهة على وجهها فلما بصرو بذلك قالوا لا طاقة لنا بما حل بنا فصعد أبوطالب الجبل وهو غير مكترث بما هم فيه فقال يا أيها الناس إن الله تبارك وتعالى قد أحدث فى هذه الليلة حادثة وخلق فيها خلقاً إن لم تطيعوه ولم تقروا بولايته وتشهدوا بإمامته لم يسكن ما بكم ولا يكون لكم بتهامة مسكناً فقالوا يا أبا طالب إنا نقول

بمقاتلتك فبكى أبوطالب ورفع إلى الله تعالى يديه وقال إلهي وسيدى أسألك بالمحمدية المحمودية وبالعلوية العالية وبالفاطمية البيضاء إلا تفضلت على تهامة بالرأفة والرحمة فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لقد كانت العرب تكتب هذه الكلمات فتدعوها عند شداؤها فى الجاهلية وهى لا تعلمها ولا تعرف حقيقتها فلما كانت الليلة التى ولد فيها أمير المؤمنين ع أشرقت السماء بضياؤها وتضاعف نور نجومها وأبصرت من ذلك قرىش عجباً فهاج بعضها فى بعض وقالوا قد حدث فى السماء حادثة وخرج أبوطالب يتخلل سكك مكة وأسواقها ويقول يا أيها الناس تمت حجة الله وأقبل الناس يسألونه عن علة ما يرونه من إشراق السماء وتضاعف نور النجوم فقال لهم أبشروا فقد ظهر فى هذه الليلة ولى من أولياء الله يكمل الله فيه خصال الخير ويختم به الوصيين

ص: ٧٩

وهو إمام المتقين وناصر الدين وقامع المشركين وغيظ المنافقين وزين العابدين ووصى رسول رب العالمين إمام هدى ونجم علا ومصباح دجى ومبيد الشرك والشبهات وهونفس اليقين ورأس الدين فلم يزل يكرر هذه الكلمات والألفاظ إلى أن أصبح فلما أصبح غاب عن قومه أربعين صباحاً قال جابر فقلت يا رسول الله إلى أين غاب قال إنه مضى بطلب المثرم وقد مات فى جبل اللكام فاكتم يا جابر فإنه من أسرار الله المكنونة وعلومه المخزونة وإن المثرم كان وصف لأبى طالب كهفاً فى جبل اللكام وقال له إنك تجدنى هناك حياً أوميتاً فلما مضى أبوطالب إلى ذلك الكهف ودخل إليه وجد المثرم ميتاً جسداً ملفوفاً فى مدرعة مستجراً بها إلى قبلته فإذا هناك حيتان إحداهما بيضاء والأخرى سوداء وهما يدفعان عنه الأذى فلما بصراً بأبى طالب غربتاً فى الكهف ودخل أبوطالب إليه فقال السلام عليك يا ولى الله ورحمة الله وبركاته فأحيا الله تعالى بقدرته المثرم فقام قائماً يمسح وجهه ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن علياً ولى الله والإمام بعد نبي الله فقال أبوطالب أبشر فإن علياً قد اطلع إلى الأرض فقال ما كانت علامة الليلة التى طلع فيها قال أبوطالب لما مضى من الليل الثلث أخذت فاطمة فيها ما يأخذ النساء عند الولادة فقلت لها ما لك يا سيدة النساء قالت إنى أجد وهجا فقرأت عليها الاسم الذى فيه النجاة فسكنت فقلت لها إنى أنهض فآتيك بنسوة من صواحبك تعينك على أمرك فى هذه الليلة قالت رأيك يا أبا طالب فلما قمت لذلك إذ أنا بهاتف يهتف من زاوية البيت وهو يقول أمسك يا أبا طالب فإن ولى الله لا يمس يد نجسة وإذا أنا بأربع نسوة دخلن عليها وعليهن ثياب كهيئة الحرير الأبيض وإذا رائحتهن أطيب من المسك الأذفر فقلن لها السلام عليك يا ولى الله فأجابتهن ثم جلسن بين يديها ومعهن جونة من فضة فآسنها حتى ولد أمير المؤمنين ع فلما ولد انتهت إليه فإذا هو كالشمس الطالعة قد سجد على الأرض وهو يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأشهد أن علياً وصى رسول الله بمحمد يختم الله النبوة وبى يتم الوصية وأنا أمير المؤمنين فأخذته واحدة منهن من الأرض ووضعتة فى حجرها فلما نظر على فى وجهها ناداها بلسان ذلق ذرب السلام عليك

يا أماء فقالت وعليك السلام يا بنى فقال ما خبر والدى فقالت فى نعم الله يتقلب وفى صحبته يتنعم فلما سمعت ذلك لم أتمالك أن قلت

ص: ٨٠

يا بنى أ لست بأبيك قال بلى ولكنى وإياك من صلب آدم وهذه أُمى حواء فلما سمعت ذلك غطيت رأسى بردائى وألقيت نفسى بنفسى فى زاوية البيت حياءً منها ثم دنت الأخرى ومعها جونة فأخذت عليا فلما نظر إلى وجهها قال السلام عليك يا أختى قالت وعليك السلام يا أختى قال فما خبر عمى قالت بخير وهويقرأ عليك السلام فقلت يا بنى أى أخت هذه وأى عم هذا قال هذه مريم بنت عمران وعمى عيسى ع وطيبته بطيب كان فى الجونة فأخذته أخرى منهن فأدرجته فى ثوب كان معها قال أبوطالب فقلت لو طهرناه لكان أخف عليه وذلك أن العرب كانت تطهر أولادها فقالت يا أبا طالب إنه ولد طاهرا مطهرا لا يذيقه حر الحديد فى الدنيا إلا على يدى رجل يبغضه الله ورسوله وملائكته والسموات والأرض والجبال والبحار وتشتاق إليه النار فقلت من هذا الرجل فقلن ابن ملجم المرادى لعنه الله وهو قاتله فى الكوفة سنة ثلاثين من وفاة محمد ص قال ثم غبن النسوة فلم أرهن فقلت فى نفسى لو عرفت المرأتين الآخريتين فألهم الله عليا فقال يا أبى أما المرأة الأولى فكانت حواء وأما الذى أحضنتنى فهى مريم بنت عمران التى أحصنت فرجها وأما التى أدرجتنى فى الثوب فهى آسية بنت مزاحم وأما صاحبة الجونة فهى أم موسى بن عمران فألحق بالمرثم الآن وبشره وخبره بما رأيت فإنه فى كهف كذا موضع كذا فخرجت حتى أتيتك وإنه وصف حيتين فقلت أتيتك أبشرك بما عاينته وشاهدت من ابنى على فبكى المثرم ثم سجد شكرا لله ثم تمطى فقال غطنى بمدرعتى فغطيته فإذا أنا به ميت كما كان فأقمت ثلاثا أكلم فلا أجاب فاستوحشت لذلك وخرجت الحيتان فقالتا لى السلام عليك يا أبا طالب فأجبتهما ثم قالتا لى الحق بولى الله فإنك أحق بصيانتته وحفظه من غيرك فقلت لهما من أئتما قالتا نحن عمله الصالح خلقنا الله من خيرات عمله فنحن نذب عنه الأذى إلى أن تقوم الساعة فإذا قامت القيامة كان أحدنا قائده والآخر سائقه ودليله إلى الجنة ثم انصرف أبوطالب رضى الله عنه إلى مكة قال جابر فقلت يا رسول الله أكثر الناس يقولون إن أبا طالب مات كافرا

ص: ٨١

قال يا جابر ربك أعلم بالغيب إنه لما كانت الليلة التى أسرى بى فيها إلى السماء انتهيت إلى العرش فرأيت أربعة أنوار فقلت إلهى ما هذه الأنوار فقال يا محمد هذا عبد المطلب وهذا عمك أبوطالب وهذا أبوك عبد الله وهذا أخوك طالب فقلت إلهى وسيدى فيما ذا نالوا هذه الدرجة قال بكتمانهم الإيمان وإظهارهم الكفر وصبرهم على ذلك حتى ماتوا عليه سلام الله عليهم أجمعين

وروى أن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ع كانت حاضرة فى الليلة التى ولدت فيها آمنة بنت وهب أم رسول الله ص ورأت مثل الذى رآته فلما كان الصبح انصرف أبوطالب من الطواف فاستقبلته ثم قالت له لقد

رأيت الليلة عجباً قال لها ما رأيت قالت ولدت آمنة بنت وهب مولوداً أضاءت له الدنيا بين السماء والأرض نورا حتى مددت عيني فرأيت سعفات هجر فقال لها أبوطالب انتظري سبتاً تأتين بمثله فولدت أمير المؤمنين بعد ثلاثين سنة وهكذا روى أن السبت ثلاثون سنة

وروى أن محمد بن الفضيل الدروقي عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت علي بن الحسين ع يقول إن فاطمة بنت أسد رضی الله عنها ضربها الطلق وهي في الطواف فدخلت الكعبة فولدت أمير المؤمنين ع فيها

قال عمر بن عثمان ذكرت هذا الحديث لسلمة بن الفضل فقال حدثني محمد بن إسحاق عن عمه وموسى بن بشار أن علي بن أبي طالب ع ولد في الكعبة وفي ذلك يقول السيد الحميري في شعر له

ولدته في حرم الإله أمه والبيت حيث فناؤه والمسجد بيضاء طاهرة الثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولدفى ليلة غابت نحوس نجومها وبدت مع القمر المنير الأسعد ما لف في خرق القوابل مثله إلا ابن آمنة النبي محمد

ص: ٨٢

مجلس في ذكر إسلام أمير المؤمنين ع

اعلم أن أول من أسلم علي بن أبي طالب ع وقد طعن قوم في هذا وقالوا إن علي بن أبي طالب كان صغيراً في بدو الأمر فهذا المحال والخطأ الكبير ولا خلاف أنه أول من صلى من الرجال مع رسول الله ص ولم يشكوا أن الدعوة لزمته ولم تقع الدعوة إلا على مستحق مع ما ثبت من الخبر عن الرجال الثقات في عقدة عقله من حين ولدته أمه قبل أن يسلم إلى أن أسلم

روى عن مجاهد عن أبي عمر وأبي سعيد الخدري قالاً كنا جلوساً عند رسول الله ص إذ دخل سلمان الفارسي وأبوذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين وأبو الطفيل عامر بن واثلة فجثوا بين يديه والحزن ظاهر في وجوههم فقالوا فديناك بالآباء والأمهات يا رسول الله إنا نسمع من قوم في أخيك وابن عمك ما يحزننا وإنا نستأذنك في الرد عليهم فقال رسول الله ص وما عساهم يقولون في أخى وابن عمى علي بن أبي طالب فقالوا يقولون أى فضل لعلى في سبقه إلى الإسلام وإنما أدركه الإسلام طفلاً ونحو هذا القول فقال ص أ فهذا يحزنكم قالوا إى والله فقال وبالله أسألكم هل علمتم من الكتب السالفة أن إبراهيم ع هرب به أبوه من الملك الطاغى فوضعت به أمه بين أثلاث بشاطئ نهر يتدفق بين غروب الشمس وإقبال الليل فلما وضعته واستقر على وجه الأرض قام من تحتها يمسح وجهه ورأسه ويكثر من شهادة أن لا إله إلا الله ثم أخذ ثوباً فامتسح به وأمه تراه فذعرت منه ذعراً شديداً ثم مضى يهرول بين يديها ماداً عينيه إلى السماء فكان منه ما قال الله عز وجل وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى إلى

قوله إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ وعلمتم أن موسى بن عمران ع كان فرعون في طلبه ينقر بطون النساء الحوامل ويذبح الأطفال ليقتل موسى فلما ولدته أمه أمرت أن تأخذه من تحتها وتقذفه في التابوت وتلقى بالتابوت

ص: ٨٣

في اليم فبقيت حيرانة حتى كلمها موسى وقال لها يا أم اقدفيني في التابوت وألقى التابوت في اليم فقالت وهي ذعرة من كلامه يا بني إني أخاف عليك من الغرق فقال لها لا تحزني إن الله رادني إليك فبقيت حيرانة حتى كلمها موسى وقال لها يا أم اقدفيني في التابوت وألقى التابوت في اليم ففعلت ما أمرت به فبقي في التابوت واليم إلى أن قذفه في الساحل ورده إلى أمه برمته لا يطعم طعاما ولا يشرب شرابا معصوما

وروى أن المدة كانت سبعين يوما وروى سبعة أشهر

وقال الله تعالى في حال طفولته وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ الْآيَةَ وهذا عيسى ابن مريم ع قال الله عز وجل فيه فناداها مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا إِلَى قَوْلِهِ إِنْسِيًّا فَكلم أمه وقت مولده وقال حين أشارت إليه قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَتَكلم ع في وقت ولادته وأعطى كتاب النبوة وأوصى بالصلاة والزكاة في ثلاثة أيام من مولده وكلمهم في اليوم الثاني من مولده وقد علمتم جميعا أن الله عز وجل خلقني وعليا نورا واحدا وإنا كنا في صلب آدم نسيح الله تعالى ثم نقلنا إلى أصلاب الرجال وأرحام النساء يسمع تسبيحنا في الظهور والبطون في كل عهد وعصر إلى عبد المطلب وأن نورنا كان يظهر في وجوه آبائنا وأمهاتنا حتى تبين أسماؤنا مخطوطة بالنور على جباههم ثم افترق نورنا فصار نصفه في عبد الله ونصفه في أبي طالب عمي وكان يسمع تسبيحنا من ظهورهما وكان أبي وعمي إذا جلسا في ملاء من قريش وقد تبين نوري من صلب أبي ونور على من صلب أبيه إلى أن خرجنا من أصلاب أبوينا وبطون أمهاتنا ولقد هبط حبيبي جبرئيل في وقت ولادة علي فقال لي يا حبيب الله الله يقرأ عليك السلام ويهتلك بولادة أخيك على ويقول هذا أوان ظهور نبوتك وإعلان وحيك وكشف رسالتك إذ أيدتك بأخيك ووزيرك وصنوك وخليفتك ومن شددت به أزرك وأعليت به ذكرك فقامت مبادرا وجدت فاطمة بنت أسد أم علي وقد جاءها المخاض وهوبين النساء والقوابل حولها وقال حبيبي جبرئيل يا محمد اسجف بينها وبينك سجفا فإذا وضعت بعلي فتلقاه ففعلت ما أمرت به ثم قال لي امدد يدك يا محمد فإنه صاحبك اليمين فمددت يدي نحو أمه فإذا بعلي مائلا على يدي واضعا يده

ص: ٨٤

اليمنى في أذنه اليمنى وهو يؤذن ويقيم بالحنفية ويشهد بوحداية الله عز وجل وبرسالتني ثم قال لي يا رسول الله اقرأ قلت اقرأ فوالذي نفس محمد بيده لقد ابتداء بالصحف التي أنزلها الله عز وجل على آدم فقام بها شيث فتلاها من أول حرف فيها إلى آخر حرف فيها حتى لوحضر بها شيث لأقر له أنه أحفظ له منه ثم قرأ توراة موسى حتى لوحضره موسى لأقر بأنه أحفظ لها منه ثم قرأ زبور داود حتى لوحضره داود لأقر بأنه أحفظ لها

منه ثم قرأ إنجيل عيسى حتى لوحضره عيسى لأقر بأنه أحفظ لها منه ثم قرأ القرآن الذي أنزله الله على من أوله إلى آخره فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة من غير أن أسمع منه آية ثم خاطبني وخاطبته بما يخاطب الأنبياء والأوصياء ثم عاد إلى حال طفوليته فلم تحزنون وما ذا عليكم من قول أهل الشك والشك بالله تعالى هل تعلمون أني أفضل النبيين وأن وصيي أفضل الوصيين وأن أبي آدم ع لما رأى اسمي واسم علي وابنتي فاطمة والحسن والحسين وأسماء أولادهم مكتوبا على ساق العرش بالنور قال إلهي وسيدى هل خلقت خلقا هو أكرم عليك مني فقال يا آدم لولا هذه الأسماء لما خلقت سماء مبنية ولا أرضا مدحية ولا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا خلقتك يا آدم فلما عصى آدم ربه سأله بحقنا أن يقبل توبته ويغفر خطيئته فأجابته وكنا الكلمات التي تلقاه آدم من ربه عز وجل فتاب عليه وغفر له فقال له يا آدم أبشر فإن هذه الأسماء من ذريتك وولدك فحمد آدم ربه عز وجل واقتخر على الملائكة بنا وإن هذا من فضلنا وفضل الله علينا وقام سلمان ومن معه وهم يقولون نحن الفائزون فقال لهم رسول الله ص أنتم الفائزون ولكم خلقت الجنة ولأعدائنا وأعدائكم خلقت النار

قال سعيد بن جبير قال رسول الله ص لأبي طالب اخطب على خديجة بنت خويلد قال إن ذهبت فردوني كانت الفضيحة ولكن انطلق يا حمزة فأنت صهر القوم فإن ردوك كان أجمل فمروا بعلي بن أبي طالب فقالوا انطلق حتى نزوج محمدا قال آخذ بردى ونعلى فتبعهم على فلما دخلوا قالوا تكلم فقال النبي ص الحمد لله الحى الذى لا يموت قالوا وما هذا من الكلام فلم يدع شيئا أراده وأرادوه إلا تكلم به فقال لهم تكلموا قالوا تكلمت بما أردت وأردنا ولكن من يضمن المهر فقال على ع أبى يضمن لكم المهر فلما بلغ الخبر أبا طالب جعل يقبل عليا ويقول بأبى أنت وأمى فهذا قبل الإسلام فهل يمدح الكامل من العقلاء إلا بنحو هذا المذهب

قال حبة

ص: ٨٥

بن جويرية العرنى سمعت عليا ع على المنبر يقول اللهم إني لا أعلم أحدا أسلم قبلى من هذه الأمة غير نبيها صليت قبل أن يصلى أحد سبعا

وقال حبة العرنى عن علي ع قال بعث النبي ص يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء

وقال أمير المؤمنين ع عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين إن أول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر قلت يا رسول الله ما هذا قال أمرت به

قال أبو رافع صلى النبي ص غداة الإثنين وصلت الخديجة آخر نهار يوم الإثنين وصلى على يوم الثلاثاء

قال علي ع فكنت أصلى سبع سنين قبل الناس

قال أمير المؤمنين قال رسول الله ع احملنى لنطرح الأصنام من الكعبة فلم أطق حمله فحملنى فلوشئت أتناول السماء فعلت

قال عيسى بن سودة بن الجعد حدثنى محمد بن المكندر وربيعة بن أبى عبد الرحمن وأبى حازم المدنى والكلبى قالوا على ع أول من أسلم قال الكلبي وهوابن تسع سنين وقال ابن إسحاق كان أول ذكر آمن برسول الله ص وصلى معه وصدقه بما جاء به من عند الله على بن أبى طالب ع وهويومئذ ابن عشر سنين وكذلك قال مجاهد وقال جابر بعث النبى ص يوم الإثنين وصلى على ع يوم الثلاثاء. وقيل أسلم على وهوابن أربع عشرة سنة وقيل ابن إحدى عشرة سنة وقيل اثنتا عشرة سنة وهاجر إلى المدينة وهوابن أربع وعشرين سنة .

قال أبوأيوب الأنصارى قال رسول الله ص لقد صلت الملائكة على وعلى على سبع سنين وذلك أنه لم يصل معى رجل غيره

وقال ابن عباس فى قوله عز وجل والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ قال نزلت فى على ع. وروى محمد بن إسحاق بإسناده عن عفيف قال عفيف كنت امرأ تاجرا وكان عباس بن عبد المطلب لى صديقا وكان يختلف إلى اليمن يشتري العطر أيام الموسم فقدمت أيام الحج فى الجاهلية إلى مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب قال فلما

ص: ٨٦

طلعت الشمس وحلقت إلى السماء وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل فقام مستقبلا فلم يلبث أن جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث أن جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب وركع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجدا فسجدا معه فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فقلت يا عباس أمر عظيم قال أمر عظيم تدرى من هذا فقلت لا فقال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخى يزعم أن ربه أرسله وأمر بهذا وأن كنوز كسرى وقىصر ستفتح عليه أ تدرى من هذا الغلام فقلت لا قال هذا على بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن أخى أ تدرى من هذه المرأة إلى خلفهما قلت لا قال خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخى وايم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحدا على هذا الدين غير هؤلاء. قال عفيف بعد ما أسلم ورسخ الإسلام فى قلبه يا ليتنى كنت رابعا. قال محمد بن إسحاق وكان مما أنعم الله به على على بن أبى طالب ع أنه كان فى حجر النبى ص قبل الإسلام فحدثنى عبد الله بن أبى نجيع عن مجاهد بن خير أن الحجاج قال كان من نعمة الله تعالى على على بن أبى طالب وما صنع الله له وأراد به من الخير أن قرىشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبوطالب ذا عيال كثير فقال رسول الله ص للعباس عمه وكان من أسن بنى هاشم يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا نخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلا وتأخذ من بنيه رجلا فنكفهما عنه قال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال أبوطالب لهما إن تركتما لى عقيلًا فاصنعا ما شئتما

فأخذ رسول الله ص عليا فضمه إليه وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه فلم يزل على بن أبي طالب مع رسول الله ع حتى بعثه نبيا واتبعه على فآمن به وصدقه ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم واستغنى عنه

قال الصادق ع أول جماعة كانت أن رسول الله ص كان يصلى وأمير المؤمنين معه إذ مر أبو طالب به وجعفر معه قال يا بني صل جناح ابن عمك فلما أحسه رسول الله ص تقدمهما وانصرف أبو طالب مسرورا وهو يقول

إن عليا وجعفرا ثقتي عند ملم الزمان والكرب

ص: ٨٧

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخى لأمى من بنيه وأبى والله لا أخذل النبى ولا يخذله من بنى ذو حاسب

وقال خزيمة بن ثابت

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفا عن هاشم ثم منها عن أبى حسن أول من صلى لقبلكم وأعرف الناس بالآيات والسنن وآخر الناس عهدا بالنبى ومن جبريل عون له فى الغسل والكفن من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس فى القوم ما فيه من الحسن ما ذا الذى ردكم عنه فنعلمه ها إن بيعتكم من أغبن الغبن

عن أبى الحسن على بن عبد الله بن أبى يوسف المدائنى قال كتب معاوية إلى أمير المؤمنين ع يا أبا الحسن إن لى فضائل كثيرة كان أبى سيدا فى الجاهلية وصرت ملكا فى الإسلام وأنا صهر رسول الله ص وخال المؤمنين وكاتب الوحى فلما قرأ أمير المؤمنين ع كتابه قال أ بالفضائل يفخر على ابن آكلة الأكباد يا غلام اكتب وأملى عليه

محمد النبى أخى وصهرى وحمزة سيد الشهداء عمى وجعفر الذى يضحى ويمسى يطير مع الملائكة ابن أمى وبنت محمد سكنى وعرسى منوط لحمها بدمى ولحمى وسبطا أحمد ابناى منها فمن منكم له سهم كسهمى سبقتكم إلى الإسلام طرا غلاما ما بلغت أوان حلمى وأوجب لى ولاية عليكم رسول الله يوم غدیر خم وما إن زلت أضربهم بسيفى إلى أن ذل للإسلام قومی فویل ثم ویل ثم ویل لمن یلقى الإله غدا بظلم

فلما قرأها معاوية قال مزقه يا غلام لا يقرأها أهل الشام فيميلون نحو ابن أبى طالب

ص: ٨٨

مجلس فى ذكر الإمامة وإمامة على ابن أبى طالب وأولاده صلوات الله عليهم أجمعين

اعلم أن الإمامة واجبة بدلالة أن الناس متى كانوا غير معصومين ويجوز منهم الخطأ والنسيان وترك الواجب إذا كان لهم رئيس مطاع منبسط اليد يردع المعاند ويؤدب الجانى فيأخذ على يد السفیه والجاهل وينتصف للمظلوم من الظالم كانوا إلى وقوع الصلاح وقلة الفساد أقرب ومتى خلوا من رئيس على ما وصفناه وقع الفساد وقل الصلاح ووقع الهرج والمرج وفسدت المعاش بهذا جرت العادات وحكم الاعتبار من خالف فى

ذلك لا يحسن مكالمته لكونه مركزا في أوائل العقول ويجب أن يكون الإمام معصوما لأن الناس إنما احتاجوا إلى رئيس لكونهم غير معصومين فلواحتاج الرئيس إلى رئيس آخر أدى إلى التسلسل وإن احتاج إلى رعية لكان احتاج الشيء إلى نفسه وذلك باطل. ويجب أن يكون أفضل رعيته في الظاهر والباطن لكونه أكثر ثوبا عند الله يدل على ذلك عصمته وعلى الظاهر قبح تقديم المفضول على الفاضل فيما هو أفضل منه كقبح تقديم المبتدئ في الفقه على أبي حنيفة والشافعي. ويجب أن يكون عالما بجميع الشرع لكونه حاكما في جميع ذلك لأنه يقبح من حكماء الملوك أن تولى الوزارة والنظر في أمر مملكته من لا يحسنها أو يحسن بعضها. ويجب أن يكون أشجع الناس إذا كان متعبدا بالجهاد لأنه لو لم يكن كذلك لانهزم وانهزم بانهمامه المسلمون فيكون به بوار الإسلام. ويجب أن يكون أعقل الناس والمراد بالأعقل أجودهم رأيا وأعلمهم بالسياسة. ويجب أن يكون على صورة غير منفرة ولا مشينة. ويجب أن يكون منصوفا عليه أو يكون له معجز لأنه قد ثبت أنه معصوم والعصمة لا تدرك حسا ولا مشاهدة فيجب أن ينص عليه إما بالمعجز أو بإخبار النبي ص فإذا ثبت ذلك يجب أن يكون الإمام أمير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين ثم علي

ص: ٨٩

بن الحسين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم علي بن موسى الرضا ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم الحجة القائم صلوات الله عليهم أجمعين لأن من شرط هذه الشروط قال الأئمة هؤلاء ومن خالف هذه الشروط تجوز الإمامة لغيرهم فمن قال بهذه الشروط وقال الإمام غير هؤلاء الذين ذكرناهم فقد خالف الإجماع مع

أنه قد ثبت عن النبي ص كقوله أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وكقوله من كنت مولاه فهذا علي مولاه

قال ذلك يوم الثامن عشر من ذي الحجة بعد مرجعه من حجة الوداع والآن فنذكر ما جرى بغدير خم

روى عن أبي جعفر الباقر ع قال حج رسول الله ص من المدينة وقد بلغ جميع الشرائع قومه ما خلا الحج والولاية فأتاه جبرئيل ع فقال له يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك إني لم أقبض نبيا من أنبيائي ورسلي إلا بعد إكمال ديني وتكثير حجتى وقد بقى عليك من ذلك فريضتان مما يحتاج إليه أن تبلغهما قومك فريضة الحج وفريضة الولاية والخليفة من بعدك فإني لم أخل أرضي من حجة ولم أخلها أبدا وإن الله يأمرك أن تبلغ قومك الحج تحج ويحج معك كل من استطاع السبيل من أهل الحضر وأهل الأطراف والأعراب وتعلمهم من حجهم مثل ما علمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وتوقفهم من ذلك على مثال الذى أوقفتهم عليه من جميع ما بلغتهم من الشرائع فنادى رسول الله ص فى الناس ألا إن رسول الله يريد الحج وأن يعلمكم من ذلك مثل الذى علمكم من شرائع دينكم ويوقفكم من ذلك على ما أوقفكم عليه وخرج رسول الله ص وخرج معه الناس وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله فحج بهم فبلغ من حج مع رسول الله ص من أهل المدينة والأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أويزيدون على نحو عدد أصحاب

موسى ع السبعين الألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون ع فاتصلت التلبية ما بين مكة والمدينة فلما وقف الموقف أتاه جبرئيل ع فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك إنه قد دنا أجلك ومدتك وإنى أستقدمك على ما لا بد منه ولا محيص عنه فاعهد عهدك وتقدم وصيتك واعمد إلى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك والسلاح والتابوت وجميع ما عندك من آيات الأنبياء فسلمها إلى وصيك وخليفتك من بعدك حجتى البالغة على خلقى على بن أبى طالب فأقمه للناس وخذ عهده وميثاقه وبيعته

ص: ٩٠

وذكرهم ما أخذت عليهم من بيعتى وميثاقى الذى واثقتهم به وعهدى الذى عهدت إليهم من ولاية ولىي ومولاهم ومولى كل مؤمن ومؤمنة على بن أبى طالب فإنى لم أقبض نبيا من أنبيائى إلا بعد إكمال دينى وإتمام نعمتى بولاية أوليائى ومعاداة أعدائى وذلك تمام كمال توحيدى ودينى وإتمام نعمتى على خلقى باتباع ولىي وطاعته وإنى لا أترك أرضى بغير قيم ليكون حجة على خلقى ف اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً على ولىي ومولى كل مؤمن ومؤمنة على عبدى ووصى نبىي والخليفة من بعده وحجتى البالغة على خلقى مقرون طاعته مع طاعة محمد نبىي ومقرون طاعة محمد بطاعتى من أطاعه فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى جعلته علما بينى وبين خلقى فمن عرفه كان مؤمنا ومن أنكره كان كافرا ومن أشرك ببيعته كان مشركا ومن لقينى بولايته دخل الجنة ومن لقينى بعداوته دخل النار فأقم يا محمد علما علما وخذ عليهم البيعة وخذ عهدى وميثاقى بالذى واثقتهم عليه فإنى قابضك إلى ومستقدمك فخشى رسول الله ص قومه وأهل النفاق والشقاق أن يتفرقوا ويرجعوا جاهلية لما عرف من عداوتهم وما يبطنون عليه أنفسهم لعلى ع من البغضاء وسأل جبرئيل ع أن يسأل ربه العصمة من الناس وانتظر أن يأتيه جبرئيل بالعصمة من الناس من الله عز وجل فأخبر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف فأتاه جبرئيل ع فى مسجد الخيف فأمره أن يعهد عهده ويقيم علما للناس ولم يأت به العصمة من الله تعالى بالذى أراد حتى أتى كراع العميم بين مكة والمدينة فأتاه جبرئيل وأمره بالذى أمر به من قبل ولم يأت به بالعصمة فقال يا جبرئيل إنى لأخشى قومى أن يكذبونى ولا يقبلوا قولى فى على فرحل فلما بلغ غدير خم قبل الجحفة بثلاثة أميال أتاه جبرئيل ع على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والانتهاز والعصمة من الناس فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فى على وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فكان أولهم بلغ قرب الجحفة فأمره أن يرد من تقدم منهم وحبس من تأخر منهم فى ذلك المكان ليقم علما للناس ويبلغهم ما أنزل الله عز وجل فى على ع وأخبر أن الله تعالى قد عصمه من الناس فأمر رسول الله ص عند ما جاءته العصمة مناديا فنادى فى الناس بالصلاة جامعة وتنحى عن يمين الطريق إلى جنب مسجد الغدير أمره بذلك جبرئيل ع

ص: ٩١

عن الله تعالى وفى الموضع سلامات

فأمر رسول الله ص أن يقيم ما تحتهن وينصب له أحجار كهيئة المنبر ليشرف على الناس فتراجع الناس واحتبس أواخرهم في ذلك المكان لا يزالون وقام رسول الله ص فوق تلك الأحجار وقال ص الحمد لله الذى علا بتوحيده ودنا فى تفريده وجل فى سلطانه وعظم فى أركانه وأحاط بكل شىء وهو فى مكانه يعنى أن الشىء فى مكانه وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه حميدا لم يزل محمودا لا يزال ومجيذا لا يزول ومبدئا معيدا وكل أمر إليه يعود بارئ المسموكات وداحى المدحوات قدوس سبوح رب الملائكة والروح متفضل على جميع من يراه متطول على جميع من ذراه يلحظ كل نفس والعيون لا تراه كريم حلیم ذواناة قد وسع كل شىء رحمته ومن على جميع خلقه بنعمته لا يعجل بانتقامه ولا يبادر بما استحقوا من عذابه قد فهم السرائر وعلم الضمائر ولم تخف عليه المكنونات وما اشتبهت عليه الخفيات له الإحاطة بكل شىء والغلبة لكل شىء والقوة فى كل شىء والقدرة على كل شىء لا مثله شىء وهو منشئ الشىء حين لا شىء وحين لا حى قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم جل عن أن تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير لا يلحق وصفه أحد بمعاينة ولا يحد كيف وهو من سر ولا علانية إلا بما دل على نفسه أشهد له بأنه الله الذى أبلى الدهر قدسه والذى يفنى الأبد نوره والذى ينفذ أمره بلا مشورة ولا معه شريك فى تقدير ولا تفاوت فى تدبير صور ما ابتدع بلا مثال وخلق ما خلق بلا معونة من أحد ولا تكلف ولا احتيال أنشأها فكانت وبرأها فبانت وهو الله الذى لا إله إلا هو الممتن الصنع الحسن الصنعة العدل الذى لا يجور الأكرم الذى ترجع إليه الأمور أشهد أنه الله الذى تواضع كل شىء لعظمته وذل كل شىء لعزته واستسلم كل شىء لقدرته وخضع كل شىء لهيبته ملك الأملاك ومسخر الشمس والقمر فى الأفلاك كل يجرى لأجل مسمى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يطلبه حثيثا قاصم كل جبار عنيد وكل شيطان مرید لم يكن له ضد ولا معه ند أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد إلهها واحدا وربا ماجدا يشاء فيمضى ويريد فيقضى ويعلم فيحصى ويميت ويحيى ويفقر ويغنى ويضحك ويبكى ويدبر فيقضى ويمنع ويعطى له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل مستجيب الدعاء جزيل العطاء محصى الأنفاس رب الجنة

ص: ٩٢

والناس الذى لا يشكل عليه لغة ولا يضجره المستصرخون ولا يبرمه إلحاح الملحنيين عليه العاصم للصالحين والموفق للمتقين مولى رب العالمين الذى استحق من كل خلق أن يشكره ويحمده على كل حال أحمده وأشكره على السراء والضراء والشدة والرخاء وأؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله فاسمعوا وأطيعوا لأمره وبادروا إلى مرضاته وسلموا لما قضاه رغبة فى طاعته وخوفا من عقوبته لأنه الله الذى لا يؤمن مكره ولا يخاف جوده أقر له على نفسى بالعبودية وأشهد له بالربوبية وأودى ما أوحى إلى به خوفا وحذرا من أن تحل بى قارعة لا يدفعها عنى أحد وإن عظمت منته وصفت خلته لأنه لا إله إلا هو قد أعلمنى إن لم أبلغ ما أنزل إلى فما بلغت رسالته فقد تضمن لى العصمة وهو الله الكافى الكريم وأوحى إلى بسم الله الرحمن الرحيم يا أيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْآيَةَ مَعَاشِرَ النَّاسِ مَا قَصَرْتُ عَنْ تَبْلِيغِ مَا أُنْزِلُهُ وَأَنَا مُبِينٌ سَبَبُ هَذِهِ الْآيَةِ إِنَّ جَبْرِئِيلَ عَهِطَ إِلَى مَرَارَاتٍ ثَلَاثًا يَأْمُرْنِي عَنِ السَّلَامِ رَبِّي وَهُوَ السَّلَامُ أَنْ أَقُومَ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ وَأَعْلَمَ كُلَّ

أبيض وأحمر وأسود أن على بن أبي طالب أخى ووصى وخليفتى والإمام من بعدى الذى محله منى محل هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى وليكم بعد الله ورسوله وقد أنزل الله تبارك وتعالى على بذلك آية إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون وعلى بن أبي طالب الذى أقام الصلاة وآتى الزكاة وهوراعع يريد الله عز وجل فى كل حال وسألت جبرئيل ع أن يستعفى لى من تبليغ ذلك إليكم أيها الناس لعلمى بقله المتقين وكثرة المنافقين وإدغال الآثمين وختل المستهزين الذين وصفهم الله فى كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لكثرة أذاهم غير مرة حتى سمونى أذنا وزعموا أنه لكثرة ملازمته إياى وإقبالى عليه حتى أنزل الله فى ذلك الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن فقال قل أذن الأذن من يصدق بكل ما يسمع على الذى ترعمون إنه أذن خير لكم إلى آخر الآية ولوشئت أن أسمى القائلين بأسمائهم لسميت وأومات إليهم بأعيانهم ولوشئت أن أدل عليهم لدلت ولكنى فى أمرهم قد تكرمت وكل ذلك لا يرضى الله منى إلا أن أبلغ ما أنزل إلى فقال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فى على وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس الآية

ص: ٩٣

فاعلموا معاشر الناس وافهموه واعلموا أن الله قد نصبه لكم وليا وإماما مفترضة طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين بإحسان وعلى البادئ والحاضر والأعجمى والعربى والحر والمملوك والصغير والكبير وعلى الأبيض والأسود وعلى كل موحد ماض حكمه جايز قوله نافذ أمره ملعون من خالفه مرحوم من صدقه قد غفر الله لمن سمع له وأطاع له معاشر الناس إنه آخر مقام أقومه فى هذا المشهد فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربكم فإن الله عز وجل هو مولاكم وإلهكم ثم من دونه رسولكم محمد وليكم القائم المخاطب ثم من بعدى على وليكم وإمامكم بأمر الله من ربكم ثم الأئمة الذين من صلبه إلى يوم يلقون الله ورسوله لا حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حرمه الله عرفنى الحلال والحرام وأنا أقضيت مما علمنى ربي من كتابه وحلاله وحرامه إليه معاشر الناس ما من علم إلا وقد أحصاه الله فى وكل علم علمت فقد أحصيته فى إمام المتقين ما من علم إلا علمته عليا وهو الإمام المبين معاشر الناس لا تضلوا عنه ولا تفروا منه ولا تستنكفوا من ولايته فهو الذى يهدى إلى الحق ويعمل به ويزهق الباطل وينهى عنه ولا يأخذه فى الله لومة لائم أول من آمن بالله ورسوله والذى فدا رسول الله بنفسه والذى كان مع رسول الله ولا أحد يعبد الله مع رسوله من الرجال غيره معاشر الناس فضلوه فقد فضله الله واقبلوه فقد نصبه الله معاشر الناس إنه إمام من الله ولن يتوب الله على أحد أنكر ولايته ولن يغفر الله له حتما على الله أن يفعل ذلك بمن خالف أمره فيه وأن يعذبه عذابا نكرا أبد الآبدين ودهر الدهرين فاحذروا أن تخالفونى فتصلوا نارا وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين أيها الناس هى والله بشرى الأولين من النبيين والمرسلين فجميع المرسلين إليهم من العالم من أهل السماوات والأرضين فمن شك فى ذلك فهو كافر كفر الجاهلية الأولى ومن شك فى قولى هذا فقد شك فى الكل منه والشاك فى ذلك فله النار معاشر الناس حبانى الله بهذه الفضيلة بمنه على وإحسان منه إلى ولا إله إلا هو وله الحمد منى أيد الآبدين ودهر الدهرين على كل حال معاشر الناس فضلوا عليا فإنه أفضل الناس بعدى من ذكر وأنتى بنا أنزل الله

الرزق وبقي الخلق ملعون ملعون مغضوب مغضوب من رد قولي هذا عن جبرئيل ع عن الله تعالى فلتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله أن تخالفوا إن الله خبير بما تعملون معاشر الناس تدبروا القرآن وافهموا آياته ومحكماته ولا تتبعوا متشابهه فوالله لهومبين لكم نورا واحدا ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده ومصعده إلى وشائل بعضه ومعلمكم إن من كنت مولاه فهذا علي مولاه وهو علي بن أبي طالب أخى ووصي ومولاته من الله تعالى أنزلها على معاشر الناس إن عليا والطيبين من ولدى هم الثقل الأصغر والقرآن الثقل الأكبر وكل واحد منهم مبين عن صاحبه موافق له لن يتفرقا حتى يردا على الحوض بأمر الله فى خلقه وبحكمه فى أرضه ألا وقد أدت ألا وقد بلغت ألا وقد أسمعت ألا وقد أوضحت إن الله عز وجل قال وأنا قلته عن الله تعالى ألا إنه ليس أمير المؤمنين غير أخى هذا ولا تحل إمرة المؤمنين بعدى لأحد غيره ثم ضرب بيده إلى عضد على فرفعه فكان أمير المؤمنين منذ أول ما صعد رسول الله ص قد شال عليا حتى صارت رجليه مع ركة رسول الله ص ثم قال معاشر الناس هذا علي أخى ووصي والراعى بعدى وخليفتى على أمتى وعلى تفسير كتاب الله عز وجل والداعى إليه والعامل بما يرضيه والمحارب لأعدائه والموالى على طاعته والناهى عن معصيته خليفة رسول الله وأمير المؤمنين والإمام الهادى بأمر الله أقول ما يبذل القول لديه بأمر ربى أقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه والعن من أنكره واغضب على من جحدته اللهم إنك أنت أنزلت الإمامة لعلى وليك عند تبين ذلك بتفضيلك إياه بما أكملت لعبادك من دينهم وأنعمت عليهم بنعمتك ورضيت لهم الإسلام دينا فقلت ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين اللهم إنى أشهدك أنى قد بلغت معاشر الناس إنما أكمل الله عز وجل دينكم بإمامته فمن لم يأت به وبمن كان من ولدى من صلبه إلى يوم القيامة والعرض على الله تعالى فأولئك حبطت أعمالهم وفى

النار هم خالدون لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون معاشر الناس هذا أنصركم لى وأحق الناس بى والله عز وجل وأنا عنه راضيان وما أنزلت آية رضى إلا فيه وما خاطب الله الذين آمنوا إلا بدأ به ولا نزلت آية مدح فى القرآن إلا فيه ولا شهد الله بالجنة فى هل أتى على الإنسان إلا له ولا أنزلها فى سواه ولا مدح بها غيره معاشر الناس هذا ناصر دين الله والمجادل عن رسول الله وهوالتقى النقى الهادى المهتدى نبيكم خير نبي ووصيكم خير وصى معاشر الناس ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من صلب علي معاشر الناس إن إبليس أخرج آدم من الجنة بالحسد فلا تحسدوه فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم فإن آدم ع أهبط إلى الأرض بخطيئة واحدة وهو صفة الله تعالى فكيف أنتم وإن زللتم وأنتم عباد الله ما يبغض عليا إلا شقى ولا يتوالى عليا إلا تقى ولا يؤمن به إلا مؤمن مخلص وفى على أنزل الله سورة العصر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ

معاشر الناس قد أشهدت الله وبلغتكم الرسالة وما على الرسول إلا البلاغ المبين معاشر الناس اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون معاشر الناس آمنوا بالله وبرسوله وبالنور الذى أنزل معه من قبل أن نطمس

وجوها ففردتها أديارها معاشر الناس النور من الله عز وجل فى ثم مسلوک فى على ثم فى النسل منه إلى القائم المهدي الذى يأخذ بحق الله وبحق كل مؤمن لأن الله جل وعز قد جعلنا حجة على المقصرين والغادرين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين عن جميع العالمين معاشر الناس إني رسول قد خلت من قبله الرسل أ فإن مت أوقلت انقلبتم على أعقابكم وإن تنقلبوا فلن تضروا الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين الصابرين ألا إن عليا الموصوف بالصبر والشكر ثم من بعدى ولدى من صلبه معاشر الناس لا تمنوا على الله بإسلامكم فيسخط الله عليكم فيصيبكم بعذاب من عنده إن ربك لبالمرصاد

ص: ٩٦

معاشر الناس سيكون من بعدى أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون معاشر الناس إن الله وأنا بريثان منهم معاشر الناس إنهم وأنصارهم وأشياهم وأتباعهم فى الدرك الأسفل من النار ولبئس مئوى المتكبرين معاشر الناس إني أدعها إمامة ووراثة فى عقبى إلى يوم القيامة وقد بلغت ما بلغت حجة على كل حاضر وغائب وعلى كل أحد ممن شهد أولم يشهد ولم يولد فليبلغ الشاهد الغائب والوالد الولد إلى يوم القيامة وسيجعلونها ملكا واغتصبا سنفرغ لكم أيها النعلان ويرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران معاشر الناس إن الله عز وجل لم يكن يذركم على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب معاشر الناس إنه ما من قرية إلا والله مهلكها بتكذيبها وكذلك يهلك القرى وهي ظالمة كما ذكر الله عز وجل وهذا إمامكم ووليكم وهو مواعد والله يصدق وعده معاشر الناس قد ضل قبلكم أكثر الأولين والله فقد أهلك الأولين وهو مهلك الآخرين إلى آخر الآية معاشر الناس إن الله قد أمرنى ونهانى وقد أمرت عليا ونهيته وعليه الأمر والنهى من ربه عز وجل فاسمعوا لأمره وانتهوا لنهيته وصبروا إلى مراده ولا تتفرق بكم السبل عن سبيله أنا صراط الله المستقيم الذى أمركم باتباعه ثم على من بعدى ثم ولدى من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون ثم قرأ ص الحمد لله إلى آخرها وقال فى نزلت وفيهم نزلت ولهم عمت وإياهم خصت وعت ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ألا إن أعداءهم أهل الشقاق العادون وإخوان الشياطين الذى يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ألا إن أولياءهم الذين ذكرهم الله فى كتابه المؤمنون فقال لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَى آخر الآية ألا إن أولياءهم الذين وصفهم الله جل وعز ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ألا إن أولياءهم الذين آمنوا ولم يرتابوا إن أولياءهم الذين يدخلون الجنة آمنين وتلقاهم الملائكة بالتسليم أن طبتم فادخلوها خالدين ألا إن أولياءهم الذين قال الله عز وجل يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ... بغيرِ

ص: ٩٧

حِسَابٍ

ألا إن أعداءهم يصلون سعيرا ألا إن أعداءهم الذين يسمعون لجهنم شهيقا وهي تفور ولها زفير كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا الْآيَةُ ألا إن أعداءهم الذين قال الله عز وجل كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ

نَزِيرٌ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُم الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ معاشِر الناس عدونا من ذمه الله ولعنه وولينا من مدحه الله وأحبه معاشِر الناس أَلَا وَإِنِّي مُنْذِرٌ وَعَلَى هَادٍ معاشِر الناس إِنِّي نَبِيٌّ وَعَلَى وَصِيٍّ أَلَا إِنَّ خَاتَمَ الْأُئِمَّةِ مَنَا الْقَائِمَ الْمَهْدِيَّ أَلَا إِنَّهُ الظَّاهِرُ عَلَى الدِّينِ أَلَا إِنَّهُ الْمُنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ أَلَا إِنَّهُ فَاتِحُ الْحَصُونِ وَهَادِمُهَا أَلَا إِنَّهُ فَاتِحُ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الشُّرَكِ أَلَا إِنَّهُ مُدْرِكُ كُلِّ ثَارٍ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلَا إِنَّهُ النَّاصِرُ لِلدِّينِ اللَّهِ أَلَا إِنَّهُ الْغَرَفُ مِنْ بَحْرِ عَمِيقٍ أَلَا إِنَّهُ يَسْمُ كُلِّ ذِي فَضْلٍ بِفَضْلِهِ وَكُلِّ ذِي جَهْلٍ بِجَهْلِهِ أَلَا إِنَّهُ خَيْرَةُ اللَّهِ وَمُخْتَارُهُ أَلَا إِنَّهُ وَارِثُ كُلِّ عِلْمٍ وَالْمَحِيطُ بِكُلِّ فَهْمٍ أَلَا إِنَّهُ الْمَخْبِرُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى وَالْمُشَبِّهُ لِأَمْرِ إِيْمَانِهِ أَلَا إِنَّهُ الرَّشِيدُ أَلَا إِنَّهُ الْمَفْضُوزُ إِلَيْهِ أَلَا إِنَّهُ الْبَاقِي حُجَّةٌ وَلَا حُجَّةَ بَعْدَهُ وَلَا حَقَّ مَعَهُ إِلَّا مَعَهُ وَلَا نُورَ إِلَّا عِنْدَهُ أَلَا إِنَّهُ لَا غَالِبَ لَهُ وَلَا مَنْصُورَ عَلَيْهِ أَلَا إِنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَحُكْمِهِ فِي خَلْقِهِ وَأَمِينُهُ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ معاشِر الناس قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ فَهْمَتَكُمْ وَهَذَا عَلَى يَفْهَمِكُمْ بَعْدِي أَلَا وَإِنْ عِنْدَ انْقِضَاءِ خُطْبَتِي أَدْعُوكُمْ إِلَى مُصَافَقَتِي عَلَى بَيْعَتِهِ وَالْإِقْرَارَ بِهِ ثُمَّ مُصَافَقَتِهِ بَعْدَ يَدِي أَلَا وَإِنِّي قَدْ بَايَعْتُ اللَّهَ وَعَلَى قَدْ بَايَعَنِي وَأَنَا آخِذُكُمْ بِالْبَيْعَةِ لَهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ نَكَّثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ الْآيَةُ معاشِر الناس إِنْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ الْآيَةَ معاشِر الناس حَجُّوا الْبَيْتَ فَمَا وَرَدَهُ أَهْلُ بَيْتٍ إِلَّا نَمَوْا وَانْسَالُوا وَلَا تَخْلَفُوا عَنْهُ إِلَّا اهْتَزَوْا وَافْتَرَقُوا معاشِر الناس مَا وَقَفَ بِالْمَوْقِفِ مُؤْمِنٌ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلَى وَقْتِهِ ذَلِكَ فَإِذَا انْقَضَتْ حُجَّتُهُ اسْتَوْفَ عَمَلُهُ معاشِر الناس الْحُجَّاجُ مُعَانُونَ وَنَفَقَاتُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ وَاللَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ معاشِر الناس حَجُّوا بِكَمَالِ الدِّينِ وَالنَّفَقَةِ وَلَا تَنْصَرَفُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ إِلَّا بِتَوْبَةٍ وَإِقْلَاعٍ

ص: ٩٨

معاشِر الناس أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ كَمَا أَمَرَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنْ طَالَ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَقَصِّرْتُمْ أَوْ نَسِيتُمْ فَعَلَى وَلِيِّكُمْ وَمُبِينٍ لَكُمْ الَّذِي نَصَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ أَوْ مِنْ خَلْفِهِ اللَّهُ مَنِيٌّ وَمَنْ يَخْبِرُكُمْ بِمَا تَسْأَلُونَ وَيُبَيِّنُ لَكُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَلَا إِنْ الْحَرَامَ وَالْحَلَالَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ أَحْصِيَهُمَا وَأَعْرِفَهُمَا فَأَمْرٌ بِالْحَلَالِ وَأَنْهَى عَنِ الْحَرَامِ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أُتْخَذَ الْبَيْعَةُ عَلَيْكُمْ وَالصَّفَقَةُ لَكُمْ بِقَبُولِ مَا جِئْتُ بِهِ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأُئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ الَّذِينَ هُمْ مَنِيٌّ وَمَنْهُ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ فِيهِمْ خَاتَمُهَا الْمَهْدِيُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَقْضِي بِالْحَقِّ معاشِر الناس وَكُلُّ حَلَالٍ دَلَّلْتُكُمْ عَلَيْهِ وَأَوْحَرَامٍ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَإِنِّي لَمْ أَرْجِعْ عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ أَبْدَلْ أَلَا فَادْكُرُوا ذَلِكَ وَاحْفَظُوا وَتَوَاصَوْا بِهِ وَلَا تَبْدُلُوهُ أَلَا وَإِنِّي أَجِدُّ الْقَوْلَ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ أَلَا وَإِنْ رَأْسُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ تَنْتَهَوْا إِلَى قَوْلِي وَتَبْلُغُوهُ مِنْ لَمْ يَحْضُرْ وَتَأْمُرُوهُ بِقَبُولِهِ وَتَنْهَوُهُ عَنْ مُخَالَفَتِهِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنِيٌّ معاشِر الناس الْقُرْآنَ يَعْرِفُكُمْ أَنْ الْأُئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدَهُ وَعَرَفْتُمْ أَنْهُمْ مَنِيٌّ وَمَنْهُ حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ وَلَنْ تَضَلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا معاشِر الناس التَّقْوَى التَّقْوَى وَاحْذَرُوا السَّاعَةَ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ اذْكُرُوا الْمَمَاتَ وَالْحَسَابَ وَالْمَوَازِينَ وَالْمَحَاسِبَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ فَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ أَفْلَحَ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَيْسَ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِنْ نَصِيبٍ معاشِر الناس إِنَّكُمْ أَكْثَرُ مَنْ أَنْ تَصَافِقُونِي بِكُفٍّ وَاحِدٍ وَأَمَرَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ آخِذٌ مِنْ أَلَسْتُمْ بِالْإِقْرَارِ بِمَا عَقَدَ لَعَلِّي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْأُئِمَّةِ مَنِيٌّ وَمَنْهُ عَلَى مَا أَعْلَمْتُكُمْ إِنْ ذَرَيْتِي عَنْ صَلْبِهِ فَقُولُوا بِأَجْمَعِكُمْ إِنَّا سَامِعُونَ مُطِيعُونَ رَاضُونَ مُنْقَادُونَ لِمَا بَلَغْتَهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّي وَأَمْرٍ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ وَلَدَهُ مِنْ

صلبه من الأئمة على ذلك قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وأبداننا على ذلك نحيا ونموت ونبعث ألا نغير ولا نبدل ولا نشك ولا نرتاب ولا نرجع عن عهد ولا ميثاق ونعطي الله ونعطيك ونعطي عليا أمير المؤمنين وولده الأئمة الذين لهم ذكر من صلبه من الحسن والحسين الذين قد عرفتكم مكانهما منى ومحلها عندى ومنزلتهما من ربى عز وجل فقد أديت ذلك إليكم وأنهما لسيدا شباب أهل الجنة وأنهما الإمامان بعد أبيهما على وأنا أبوهما

ص: ٩٩

قبله فقولوا أعطينا الله بذلك وأنت وعليا والحسن والحسين والأئمة الذين ذكرت عهدا وميثاقا مأخوذاً لأمير المؤمنين من قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا ومصافقة أيدينا من أدركهما بيده وإلا فقد أقر بهما بلسانه لا ينبغي بدلا ولا يرى الله عز وجل منهما حولا أبداً وأشهدنا الله وكفى بالله شهيدا وأنت علينا به شهيد وكل من أطاع ممن ظهر واستتر وملائكة الله وجنوده وعبيده والله أكبر من كل شهيد معاصر الناس ما تقولون فإن الله يعلم كل صوت وخافية كل نفس فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ومن تابع فإنما يبائع الله يد الله فوق أيديهم معاصر الناس فاتقوا الله وتابعوا عليا أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة كلمة باقية يهلك الله من غدر ويرحم من وفى ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما معاصر الناس قولوا الذى قلت لكم وسلموا على بإمرة المؤمنين وقولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير قولوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله معاصر الناس إن فضائل على بن أبى طالب عند الله عز وجل وقد أنزلها فى القرآن أكثر من أن أحصياها فى مقام واحد فمن أنبأكم بها فصدقوه معاصر الناس من يطع الله ورسوله وعليا والأئمة الذين ذكرتهم فقد فاز فوزا مبينا معاصر الناس السابقون السابقون إلى مبايعته وموالاته والسلام عليه بإمرة المؤمنين أولئك الفائزون فى جنات النعيم معاصر الناس قولوا ما يرضى الله عنكم من القول فإن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فلن يضر الله شيئا اللهم اغفر للمؤمنين وأعطب الكافرين والحمد لله رب العالمين فناداه القوم نعم سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا وتداكوا على رسول الله ص وعلى على بأيديهم فكان أول من صافق رسول الله ص الأول والثانى وباقى المهاجرين والأنصار وباقى الناس على قدر منازلهم إلى أن صليت العشاء والعتمة فى وقت واحد ووصلوا البيعة والمصافقة ثلاثا ورسول الله ص يقول كلما بايع قوم الحمد لله الذى فضلنا على جميع الناس

ص: ١٠٠

قال عبد الرحمن بن سمرة قلت يا رسول الله أرشدنى إلى النجاة قال يا ابن سمرة إذا اختلفت الأهواء وتفرقت الآراء فعليك بعلى بن أبى طالب فإنه إمام أمتى وخليفتى عليهم من بعدى وهو الفاروق الذى يميز بين الحق والباطل من سأله أجابه ومن استرشده أرشده ومن طلب الحق من عنده وجده ومن التمس الهدى وجده لديه ومن لجأ إليه أمنه ومن استمسك به نجاه ومن اقتدى به هداة يا ابن سمرة سلم من سلم له ووالاه وهلك من رد عليه وعاداه يا ابن سمرة إن عليا منى روحه من روحى وطينته من طينتى وهو أخى وأنا أخوه وهوزوج

ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وإن منه إمامي أمتي وسيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائم أمتي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما

قال ابن عباس قال رسول الله ص معاشر الناس من أحسن من الله قيلا وأصدق منه حديثا معاشر الناس إن ربكم جل جلاله أمرني أن أقيم عليا علما وإماما وخليفة ووصيا وأن أتخذه أخا ووزيرا معاشر الناس إن عليا باب الهدى بعدى والداعى إلى ربي وهو صالح المؤمنين ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين معاشر الناس إن عليا منى وولده ولدى وهو زوج حبيبتي أمره أمرى ونهيه نهىي معاشر الناس عليكم بطاعته واجتناب معصيته فإن طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي معاشر الناس إن عليا صديق هذه الأمة وفاروقها ومحدثها إنه هارونها ويوشعها وآصفها وشمعونها إنه باب حطتها وسفينتها نجاتها إنه طالوتها وذوقرنيها معاشر الناس إنه محنة الورى والحجة العظمى والآية الكبرى وإمام أهل الدنيا والعروة الوثقى معاشر الناس إن عليا مع الحق والحق معه وعلى لسانه معاشر الناس إن عليا قسيم النار لا يدخل النار ولى له ولا ينجونها عدوله

ص: ١٠١

إنه قسيم الجنة لا يدخلها عدوله ولا يزحزح عنها ولى له معاشر الناس أصحابي قد نصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

قال ابن عباس قال رسول الله ص ولاية على بن أبى طالب ولاية الله وحبه عبادة الله واتباعه فريضة الله وأوليائه أولياء الله وأعداؤه أعداء الله وحربه حرب الله وسلمه سلم الله عز وجل

قال أمير المؤمنين وأنا حجة الله وأنا خليفته وأنا صراط الله وأنا باب الله وأنا خازن علم الله وأنا المؤمن على سر الله وأنا إمام البرية بعد خير الخليقة محمد نبى الرحمة ع

وقال أيضا ع دخلت على رسول الله ص وهو فى مسجد قبا وعنده نفر من أصحابه فلما بصر بى تهلل وجهه وتبسم حتى نظرت إلى بياض أسنانه تبرق ثم قال إلى يا على إلى يا على فما زال يدنينى حتى ألصق فخذة بفخذى ثم أقبل على أصحابه فقال معاشر أصحابي إن عليا منى وأنا من على روحه من روحى وطينته من طينتى وهو أخى ووصى وخليفتى على أمتى فى حياتى وبعد موتى من أطاعه أطاعنى ومن وافقه وافقنى ومن خالفه خالفنى

قال ابن عباس قال رسول الله ص من سره أن يحيا حياتى ويموت ميتتى ويدخل جنة عدن منزلى قسبا غرسه ربي عز وجل ثم قال له كن فكان فليتول على بن أبى طالب وليا ثم بالأوصياء من ولده فإنهم عترتى خلقوا من طينتى إلى الله أشكوا أعداءهم من أمتى المنكرين لفضلهم القاطعين فيهم صلتى وإيم الله ليقتلن بعدى ابني الحسين لا أنا لهم الله شفاعتى

قالت عائشة كنت عند رسول الله ص فأقبل على بن أبي طالب فقال هذا سيد العرب فقلت يا رسول الله أ لست سيد العرب قال أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب فقلت وما السيد فقال من افترض طاعته كما افترض طاعتي

قال رسول الله ص يا على أنت منى بمنزلة هبة الله من آدم وبمنزلة سام من نوح وبمنزلة إسحاق من إبراهيم وبمنزلة هارون من موسى وبمنزلة شمعون من عيسى إلا أنه لا نبي بعدى يا على أنت وصي وخليفتي فمن جحد وصيتك وخلافتك فليس

ص: ١٠٢

منى ولست منه وأنا خصمه يوم القيامة يا على أنت أفضل أمتي فضلا وأقدمهم سلما وأكثرهم علما وأوفرهم حلما وأشجعهم قلبا وأنجاهم كفا يا على أنت الإمام بعدى والأمير وأنت صاحب بعدى والوزير وما لك فى أمتي من نظير يا على أنت قسيم الجنة والنار بمحبتك يعرف الأبرار من الفجار ويتميز بين الأشرار والأخيار وبين المؤمنين والكفار

وقال رسول الله ص الأئمة من بعدى اثنا عشر أولهم أنت يا على وآخرهم القائم الذى يفتح الله تعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها

وقال أبو جعفر إن رهطا من اليهود أسلموا منهم عبد الله بن سلام وأسد وثلبة وابن يامين وابن سوريا فأتوا النبى ص فقالوا يا نبى الله إن موسى ع أوصى إلى يوشع بن نون فمن وصيك يا رسول الله ومن ولينا بعدك فنزلت هذه الآية إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ثم قال رسول الله ص قوموا فقاموا فأتوا المسجد فإذا سائل خارج فقال يا سائل أ ما أعطاك أحد شيئا قال نعم هذا الخاتم ثم قال من أعطاكه قال أعطانيه ذلك الرجل الذى يصلى قال على أى حال أعطاك قال كان راکعا فكبر النبى ص وكبر أهل المسجد فقال النبى ص على بن أبى طالب وليكم بعدى قالوا رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا وبعلى بن أبى طالب وليا فأنزل الله تعالى وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ

وقال رسول الله ص يوم غدیر خم أفضل أعياد أمتي هو اليوم الذى أمرنى الله تعالى ذكره فيه بنصب أخى على بن أبى طالب علما لأمتي يهتدون به من بعدى وهو اليوم الذى أكمل الله فيه الدين وأتم على أمتي فيه النعمة ورضى لهم الإسلام ديننا ثم قال ص معاشر الناس إن عليا منى وأنا من على خلق من طينتي وهو إمام الخلق بعدى يبين لهم ما اختلفوا فيه من سنتي وهو أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين ويعسوب الدين وخير الوصيين وزوج سيدة نساء العالمين وأبوالأئمة المهديين معاشر الناس من أحب عليا فقد أحبته ومن أبغض عليا فقد أبغضته ومن

ص: ١٠٣

وصل عليا وصلته ومن قطع عليا قطعته ومن جفا عليا جفوته ومن والى عليا واليته ومن عادى عليا عاديته
معاشر الناس أنا مدينة الحكمة وعلى بابها ولن يؤتى المدينة إلا من قبل الباب وكذب من زعم أنه يحبني
ويغض عليا معاشر الناس والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية ما نصبت عليا علما لأمتي في
الأرض حتى نوه الله باسمه في سماواته وأوجب ولايته على ملائكته

وقال أبوسعيد الخدرى لما كان يوم غدیر خم أمر رسول الله ص مناديا فنادى الصلاة جامعة وأخذ بيد على ع
وقال اللهم من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقال حسان بن ثابت يا رسول
الله أقول فى على شعرا فقال رسول الله ص افعل فقال

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم وأكرم بالنبي مناديا يقول فمن مولاكم ووليكم فقالوا ولم يبدوا هناك تعاديا إلهك
مولانا وأنت ولينا ولا تجدن منا لك الدهر عاصيا فقال له قم يا على فإننى رضيتك من بعدى إماما وهاديا فمن
كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق مواليا هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذى عادا عليا معاديا

قال الشيخ الأديب على بن أحمد الفنجكردى

لا تتكرن غدیر خم إنه كالشمس فى إشراقها بل أظهر ما كان مرفوعا بإسناد إلى خير البرايا أحمد لا ينكر فيه
إمامة حيدر وجماله وجلاله حتى القيامة يذكرأولى الأنام بأن يوالى المرتضى من يأخذ الأحكام منه ويأثر

وقال الشيخ الأديب أيضا

حسبنا ربنا الذى فتح البصرة بالأمس والحديث طويل وعلى إمامنا وإمام لسوانا أتى به التنزيل يوم قال النبى
من كنت مولاه فهذا مولاه خطب جليل

ص: ١٠٤

وقال قيس بن سعد بن عبادة

يوم الغدير سوى العيدين لى عيد يوم يسر به السادات والصيذنال الإمامة فيه المرتضى وله فيها من الله تشريف
وتمجيد يقول أحمد خير المرسلين ضحى فى مجمع حضرته البيض والسود فالحمد لله حمدا لا انقضاء له له
الصنائع والألطف والجود

وكان قصة غدیر خم يوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة

مجلس فى ذكر فضائل أمير المؤمنين على بن أبى طالب ص

قال ابن عباس رضى الله عنه وعلى بن الحسين ع نزلت فى على ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات
الله والله روف بالعباد

وقال ابن عباس ما أنزل الله فى القرآن يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا وعلى أميرها وشريفها. وقال ابن عباس صالح المؤمنين هو الله على يقول الله والله حسبه والملائكة بعد ذلك ظهيرا. وقال ابن عباس قول الله تعالى اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ قال على وقال ابن عباس والذي جاء بالصدق محمد ص وصدق به على بن أبى طالب .

وقال على ع إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ أَنَا

وقال ابن عباس افتخر العباس بن عبد المطلب فقال أنا عم محمد وأنا صاحب سقاية الحاج فأنا أفضل من على بن أبى طالب. وقال شيبة بن عثمان بن طلحة أنا أفضّل منكم أنا أجاهد فى سبيل الله تعالى فأنا أفضل فسمعهما على وهما يذكران ذلك فقال على أنا أفضل منكم أنا أجاهد فى سبيل الله تعالى فأنا أفضل فسمعهم أجمعهم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله إلى قوله إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ .

وعن أبى جعفر ع قريب من ذلك

ص: ١٠٥

وقال ابن عباس وتعيها أذن واعية على بن أبى طالب .

قال رسول الله ص إنى سألت ربي أن يجعلها أذنك يا على اللهم اجعلها أذنا واعية أذن على ففعل

وقال ابن عباس إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ قال كان على يخشى الله ويراقبه ويعمل بفرائضه ويجاهد فى سبيله وكان إذا صف فى القتال كأنه بنيان مروض يقول الله إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ يتبع فى جميع أمره مرضاة الله ورسوله وما قتل المشركين قبله أحد

وقال الباقر ع وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ قال على بن أبى طالب ع عنده علم الكتاب الأول والآخر

وقال الباقر ع ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين قال المؤذن على ع

وقال ابن عباس طوبى لهم وحسن مآب شجرة فى الجنة فى دار على ما فى الجنة دار إلا وفيها غصن من أغصانها ما خلق الله من شىء إلا وهوت تحت طوبى تحتها مجمع أهل الجنة يذكرون نعمة الله عليهم لما تحت طوبى من كثر المسك أكثر مما تحت شجر الدنيا من الرمل

وقال الصادق ع ثلثة من الأولين ابن آدم المقتول ومؤمن آل فرعون وصاحب ياسين وقليل من الآخرين على بن أبى طالب ع

وقال الباقر ع قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى قال على اتبعه

وقال أيضا قال رسول الله ص لعلى مبتدئا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ هُم أَنْتَ وشيعتك وميعادى وميعادكم الحوض إذا حشر الناس حيث أنت وشيعتك شباعا مرويين غرا محجلين

وقال الصادق ع قوله تعالى وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا قال الوالد محمد وعلى

وقال ابن عباس فى قوله تعالى الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً قال نزلت فى على ع وكان عنده أربعة دراهم فتصدق بواحد ليلا وبواحد نهارا وبواحد سرا وبواحد علانية

ص: ١٠٦

وقال رسول الله ص وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ قال سألت الله أن يجعلها لعلى ففعل

وقال زيد بن على وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ قال بولاية على

وقال الباقر ع ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ قال كرهوا عليا وكان أمر الله بولايته يوم بدر ويوم حنين وبطن النخلة ويوم التروية ويوم عرفة نزلت فيه خمس عشرة آية فى الحجة التى صدعها رسول الله ص عن المسجد الحرام وبالجحفة وبخم

قال ابن عباس قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ قال فالفضل من الله النبى ص وبرحمته على ع. وقال شريك بن عبد الله فى قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً قال فى ولاية على. وقال ابن عباس فى قوله تعالى أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ قال هم أمراء السرايا وعلى أولهم

وقال رسول الله ص من قرأ قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما ختم القرآن ألا ومن أحب عليا بقلبه أعطاه ثواب ثلث هذه الآية ومن أحبه بقلبه ويده أعطاه ثواب ثلثى هذه الآية ومن أحبه بقلبه ويده ولسانه أعطاه الله ثواب الآية كلها

وقال الباقر ع مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُتِبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ الْحَسَنَةُ ولاية على وحبه والسيئة عداوة على وبغضه ولا يرفع معهما عمل

وقال رسول الله إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا هُوَ عَلَى فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ قال هو على وتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا قال بنى أمية قوما ظلمة

وقال ابن مسعود وكفى الله المؤمنين القتال بعلى وكان الله قويا عزيزا

قال ابن عباس إن النبى ص أمر عليا أن ينام على فراشه فانطلق النبى ص

ص: ١٠٧

برد أخضر لرسول الله ص فقال بعضهم شدوا عليه فقالوا الرجل نائم ولو كان يريد أن يهرب لفعل فلما أصبح قام على فأخذه فقالوا أين صاحبك فقال ما أدري فأُنزل الله تعالى في علي حين نام على الفراش ومن الناس من يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ

وقال بريدة الأسلمي كنا إذا سافرنا مع النبي ص كان علي ع صاحب متاعه يضمه إليه فإذا نزلنا تعاهد متاعه فإن رأى شيئاً برمه وإن كانت نعلا خصفها فنزلنا منزلاً فأقبل علي ع يخصف نعل رسول الله ص ودخل الأول فسلم فقال له رسول الله ص اذهب فسلم علي أمير المؤمنين فقال يا رسول الله وأنت حي قال وأنا حي قال ومن ذلك قال خاصف النعل ثم جاء الثاني فقال له مثل ذلك قال بريدة وكنت أنا فيمن دخل معهم فأمرني أن أسلم علي علي فسلمت عليه كما سلموا

وقال أبو مسعدة رأيت علياً ع خرج من القصر فدنوت فسلمت عليه فوضع يده في يدي ثم مشى حتى أتى دار فرات فاشترى منه قميصاً سنبلانيا بثلاثة دراهم وأربعة فلبسه وكان كفه كف يده

وقال الباقر ع ابتاع علي قميصاً سنبلانيا بأربعة دراهم فجاء إلى الخياط فمد كم القميص وأمره أن يقطع ما جاز الأصابع

قال الأصمغ بن نباته في خبر طويل أتى أمير المؤمنين ع ومعه قنبر البزازين فساوم رجلاً بثوبين فقال بعني ثوبين فقال الرجل يا أمير المؤمنين عندي حاجتك فلما عرفه انصرف حتى أتى غلاماً فقال بعني ثوبين فماكسه الغلام حتى اتفقا على سبعة دراهم ثوباً بأربعة دراهم وثوباً بثلاثة دراهم وقال للغلام قنبر اختر الثوبين فاختر الذي بأربعة ولبس هو الذي بثلاثة وقال الحمد الذي رزقني ما أوارى به عورتى وأتجمل به في خلقه ثم أتى المسجد فكوم كومة من حصي فاستلقى عليها فجاء أب الغلام فقال إن ابني لم يعرفك وهذان الدرهمان ربهما فخذهما فقال ع ما كنت لأفعل فقد ماكسته وماكسني واتفقنا على رضا

وروى أن أمير المؤمنين عليه أفضل السلام أتى سوق الكرابيس فإذا هو برجل وسيم فقال يا هذا عندك ثوبان بخمسة دراهم فوثب الرجل فقال يا أمير المؤمنين عندي حاجتك فلما عرفه مضى عنه فوقف على غلام فقال يا غلام

ص: ١٠٨

عندك ثوبان بخمسة دراهم قال نعم عندي ثوبان فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين فقال يا قنبر خذ الذي بثلاثة دراهم فقال أنت أولى به تصعد المنبر وتخطب الناس قال وأنت شباب ولك شره الشباب وأنا أستحيي من ربي أن أتفضل عليك سمعت رسول الله ص يقول ألبسوه مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون فلما لبس القميص مد يده في ردفه فإذا هو يفضل عن أصابعه فقال اقطع هذا الفضل فقطعه فقال الغلام هلم أكفه قال دعه كما هو فإن الأمر أسرع من ذلك

وقال رسول الله ص أسرى بى ربي فأوحى إلى فى على بثلاث إنه إمام المتقين وسيد المؤمنين وقائد الغر المحجلين

سأل رجل أمير المؤمنين ع فقال له أسألك عن ثلاث هن فيك أسألك عن قصر خلقك وعن كبر بطنك وعن صلح رأسك فقال أمير المؤمنين ع إن الله تعالى لم يخلقنى طويلا ولم يخلقنى قصيرا ولكن خلقنى معتدلا أضرب القصير فأقده وأضرب الطويل فأقطعه وأما كبر بطنى فإن رسول الله ص علمنى بابا من العلم يفتح ذلك الباب ألف باب فازدحم العلم فى بطنى فانتفخ عنه عضوى فأما صلح رأسى فمن إدمان لبس البياض ومجالدة الأقران

وقال رسول الله ص ما فى القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة فقام إليه العباس بن عبد المطلب فقال من هم يا رسول الله فقال أما أنا فعلى البراق وجهها كوجه الإنسان وخدها كخد الفرس وعرقها من لؤلؤ مسموط وأذناها من زبرجدتان خضراوان وعيناها مثل كوكب الزهرة يتوقدان مثل النجمين المضيئين لها شعاع مثل شعاع الشمس ينحدر من نحرها الجمان منظومة الخلق طويلة اليدين والرجلين لها نفس كنفس آدميين تسمع الكلام وتفهمه وهى فوق الحمار ودون البغل قال العباس ومن يا رسول الله قال وأخى صالح على ناقة الله تعالى التى عقرها قومه قال العباس ومن يا رسول الله قال وعمى حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء على ناقتي العضباء قال العباس ومن يا رسول الله قال وأخى على على ناقة من نوق الجنة زمامها من لؤلؤ رطب عليها محمل من ياقوت أحمر قضبانه من الدر الأبيض على رأسه تاج

ص: ١٠٩

من نور عليه حلتان خضراوان بيده لواء الحمد وهوينادى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول الخلائق ما هذا إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو حامل عرش فينادى مناد من بطنان العرش ليس هذا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا حامل عرش هذا على بن أبى طالب وصى رسول رب العالمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين

وقال رسول الله ص أعطاني الله تعالى خمسا وأعطى عليا خمسا أعطاني جوامع الكلم وأعطى عليا جوامع العلم وجعلني نبيا وجعله وصيا وأعطاني الكوثر وأعطاه السلسبيل وأعطاني الوحي وأعطاه الإلهام وأسرى بى إلى السماء وفتح له أبواب السماوات والحجب

وقال عامر الشعبي تكلم أمير المؤمنين ع بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالا فقأن عيون البلاغة وأيتمن جواهر الحكمة وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهن ثلاث منها فى المناجاة وثلاث منها فى الحكمة وثلاث منها فى الأدب أما اللاتى فى المناجاة فقال إلهى وكفى بى عزا أن أكون لك عبدا وكفى بى فخرا أن تكون لى ربا أنت كما أحب فاجعلنى كما تحب واللاتى فى الحكمة فقال قيمة كل امرئ ما يحسنه وما هلك امرؤ عرف قدره المرء مخبوء تحت لسانه وأما اللاتى فى الأدب فقال فامنن على من شئت تكن أميره واحتج إلى من شئت تكن أسيره واستغن عن من شئت تكن نظيره

وقال رسول الله ص أتاني جبرئيل وهو فرح مستبشر فقلت حبيبي جبرئيل مع ما أنت فيه من الفرح ما منزلة أخى وابن عمى على بن أبى طالب عند ربه فقال والذى بعثك فى النبوة وأصفاك بالرسالة ما هبطت فى وقتى هذا إلا لهذا يا محمد الله العلى الأعلى يقرأ عليكما السلام وقال محمد نبى رحمتى وعلى مقيم حجتى لا أعذب من والاه وإن عصانى ولا أرحم من عاداه وإن أطاعنى ثم قال رسول الله ص إذا كان يوم القيامة يأتينى جبرئيل ومعه لواء الحمد وهو سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر وأنا على كرسى من كراسى الرضوان فوق منبر من منابر القدس فأخذه وأدفعه إلى على بن أبى طالب فوثب الثانى فقال يا رسول الله وكيف يطبق على حمل اللواء وقد ذكرت أنه سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر فقال النبى ص إذا كان يوم القيامة يعطى الله عليا من القوة مثل قوة جبرئيل ومن النور مثل نور آدم

ص: ١١٠

ومن الحلم مثل حلم رضوان ومن الجمال مثل جمال يوسف ومن الصوت ما يدانى صوت داود ولولا أن داود يكون خطيبا فى الجنان لأعطى مثل صوته وإن عليا أول من يشرب من السلسيل والزنجبيل لا يجوز على قدم على الصراط إلا وثبت مكانها قدم أخرى وإن لعلى وشيعته من الله مكانا يغبطه الأولون والآخرون

قال رسول الله ص مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله على أخور رسول الله قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفى عام

قال رسول الله ص على فى السماء كالشمس بالنهار فى الأرض وفى سماء الدنيا كالقمر بالليل فى الأرض أعطى الله عليا من الفضل جزءا لوقسم على أهل الأرض لوسعهم وأعطاه من الفهم جزءا لوقسم على أهل الأرض لوسعهم تشبهت لينة بلين لوط وخلقه بخلق يحيى وزهده بزهد أيوب وسخاؤه بسخاء إبراهيم وبهجته ببهجة سليمان بن داود وقوته بقوة داود له اسم مكتوب على كل حجاب فى الجنة بشرنى به ربه وكانت له البشارة عندى على محمد عند الخلق مزكى عند الملائكة وخاصتى وخالصتى وطاهرتى ومصباحى ورفيقى آنسنى به ربه فسألت ربه أن لا يقبضه قبلى وسألته أن يقبضه شهيدا أدخلت الجنة فرأيت حور على أكثر من ورق الشجر وقصور على كعدد البشر وعلى منى أنا من على من تولى عليا فقد تولانى حب على نعمة واتباعه فضيلة دان به الملائكة وحف به الجن الصالحون لم يمش على الأرض ماش بعدى إلا كان هو أكرم منه عزا وفخرا ومنهاجا لم يك قط عجولا ولا مسترسلا لفساد ولا متعقدا حملته الأرض فأكرمته لم يخرج من بطن أنثى بعدى أحد كان أكرم على الله خروجاً منه ولم ينزل منزلا إلا كان ميمونا أنزل الله عليه الحكمة ورواه بالفهم تجالسه الملائكة ولا يراها ولو أوحى إلى أحد بعدى لأوحى إليه فزين الله به المحافل وأكرم به العساكر وأخصب به البلاد وأعز به الأجناد ومنله كمثل بيت الله الحرام يزار ولا يزور ومثله كمثل القمر إذا طلع أضاء والظلمة ومثله كمثل الشمس إذا طلعت أتابت وصفه الله فى كتابه ومدحه بآياته ووصف فيه آثاره وأعلى منازلها فهو الكريم حيا والشهيد ميتا

قال رسول الله ص خلق الله عز وجل مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي أنا أكرمهم على الله ولا فخر
وخلق الله عز وجل مائة ألف وصي وأربعة وعشرين

ص: ١١١

ألف وصي فعلى أكرمهم على الله وأفضلهم

وروى أنه كان النبي ص نزل عليه الوحي ليلا لم يصبح حتى يخبر به عليا وإذا نزل الوحي عليه نهارا لم
يمس حتى يخبر به عليا

قال أبو سعيد الخدرى سألت رسول الله ص عن قول الله تعالى قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ قَالَ ذَلِكَ
وصي أخى سليمان بن داود ع فقلت يا رسول الله قوله عز وجل قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ
عِلْمُ الْكِتَابِ قَالَ ذَلِكَ وصي وأخى على بن أبى طالب

وقال رسول الله ص إن حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فإذا دقت الحلقة على الصفحة
طننت وقالت يا على

وقال الأصبع بن نباته قال أمير المؤمنين ع ذات يوم على منبر الكوفة أنا خير الوصيين ووصى سيد النبيين أنا
إمام المسلمين وقائد المتقين ومولى المؤمنين وزوج سيدة نساء العالمين أنا المتختم باليمين والمعترف للجبين أنا
الذى هاجرت الهجرتين وبايعت البيعتين أنا صاحب بدر وحنين أنا الضارب بالسيفين والحامل على فرسين أنا
وارث علم الأولين وحجة الله على العالمين بعد الأنبياء ومحمد بن عبد الله خاتم النبيين أهل موالاتي
مرحومون وأهل عداوتي ملعونون ولقد كان حبيبي رسول الله ص كثيرا ما يقول لى حبك تقوى وإيمان
وبغضك كفر ونفاق وأنا بيت الحكمة وأنت مفتاحه وكذب من زعم أنه يحبني ويبغضك

وقال عروة بن الزبير كنا جلوسا فى مجلس فى مسجد رسول الله ص فتذاكرنا أحوال أعمار أهل بدر وبيعة
الرضوان فقال أبو الدرداء يا قوم أ لا أخبركم بأقل القوم مالا وأكثرهم ورعا وأشدهم اجتهادا فى العبادة قالوا
من هو قال على بن أبى طالب قال فوالله إن كان فى جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه بوجهه ثم انتدب له
رجل من الأنصار فقال له يا عويم لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها فقال أبو الدرداء يا قوم
إنى قائل ما رأيته وليقل كل قوم منكم ما رأوا شهدت على بن أبى طالب ع بسويحات بنى النجار وقد اعتزل
عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمغيلات النخل فافتقدته وبعد على مكانه فقلت لحق بمنزله فإذا أنا
بصوت حزين ونغمة سحر شجى وهو يقول إلهى كم من موبقة حملتها عنى فقابلتها

ص: ١١٢

بنعمتك وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك إلهى إن طال فى عصيانك عمرى عظم فى الصحف ذنبى
فما أنا مؤمل غير غفرانك ولا أنا براج غير رضوانك فشغلنى الصوت واقتفيت الأثر فإذا هو على بن أبى

طالب ع بعينه فاستترت له لأسمع كلامه وأخملت الحركة فرفع ركعات فى جوف الليل الغابر ثم فرع إلى الدعاء والتضرع والبكاء والبث والشكوى فكان مما ناجى به الله أن قال إلهى أفكر فى عفوك فتهون على خطيئتي ثم أذكر العظم من أخذك فتعظم على بليتي ثم قال آه إن أنا قرأت فى الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيا فتقول خذوه فيا له من مأخوذ لا ينجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته يرحمه الملاء إذا أذن فيه بالنداء ثم قال آه من نار تتضج الأكياد والكلى آه من نار نزاعة للشوى آه من غمرة من ملتهبات اللظى قال ثم أنعم فى البكاء فلم أسمع له حسا ولا حركة فقلت غلب عليه النوم لطول السهر أوقفه لصلاة الفجر قال أبو الدرداء فأتيته فإذا هو كالخشب الملقاة فحركته فلم يتحرك وزويته فلم ينزوفقلت إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله على بن أبى طالب فأتيته منزله مبادرا أنعاه إليهم فقالت فاطمة ع يا أبا الدرداء ما كان من شأنه وقصته فأخبرتها الخبر فقالت هى والله يا أبا الدرداء الغشبية التى تأخذه من خشية الله ثم أتوه بماء فضحوه على وجهه فأفاق ونظر إلى وأنا أبكى فقال مم بكأؤك يا أبا الدرداء فقلت مما أراه تنزله بنفسك فقال يا أبا الدرداء فكيف ولورأيتنى ودعى بى إلى الحساب وأيقن أهل الجرائم بالعذاب واحتوشتنى ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ فوقفت بين يدى الملك الجبار قد أسلمتنى الأحياء ورحمنى أهل الدنيا لكنك أشد رحمة لى بين يدى من لا تخفى عليه خافية فقال أبو الدرداء فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله ص

وروى جابر بن عبد الله قال لما قدم على ع على رسول الله ص بفتح خبير فقال له رسول الله ص لولا أن تقول فيك طوائف من أمتى ما قالت النصرارى فى المسيح عيسى ابن مريم ع لقلت فيك قولاً لا تمر بملا إلا أخذوا التراب من تحت رجلبك ومن فاضل طهورك يستشفون به ولكن حسبك أن تكون منى وأنا منك ترثنى وأرثك وأنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى وأنت تبرىئ ذمتى وتقاتل سنتى وأنت غدا على الحوض خليفتى وأنت أول من يكسى

ص: ١١٣

وأنت أول داخل الجنة من أمتى وأن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولى أشفع لهم ويكونوا غدا فى الجنة جيرانى وأن حربك حربى وسلمك سلمى وأن سرى وعلايتك علانيتى وأن سريرة صدرى كسريرتى وأن ولدك ولدى وأنت تنجز عدايتى وأن الحق معك وعلى لسانك وقلبك وبين عينيك الإيمان مخالط بلحمك ودمك كما خالط بلحمى ودمى وأنه لن يرد على الحوض مبغض لك ولن يغيب عنه محب لك حتى يرد على الحوض معك قال فخر على ساجدا ثم قال الحمد لله الذى أنعم على بالإسلام وعلمنى القرآن وحببنى إلى خير البرية خاتم النبیین وسيد المرسلين إحساناً منه وفضلاً على قال فقال النبى ص لولا أنت لم يعرف المؤمنون بعدى

قال أبوسعيد الخدرى قال رسول الله ص إذا سألتكم الله عز وجل فاسألوه لى الوسيلة فسألت النبى ص عن الوسيلة فقال هى درجتى فى الجنة وهى ألف مرقاة ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد شهراً وهى ما بين مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد ومارقاة ياقوت إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضة فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبیین فهى درجة النبیین كالقمر بين الكواكب فلا يبقى يومئذ نبى ولا شهيد ولا صديق

إلا قال طوبى لمن كان هذه الدرجة درجته فيأتى النداء من قبل الله عز وجل يسمع النبيين وجميع الخلق هذه درجة محمد وأقبل أنا يومئذ متزراً بريطة من نور على تاج الملك وإكليل الكرامة وعلى بن أبي طالب أمامي ويده لوائى وهولاء الحمد مكتوب عليه لا إله إلا الله المفلحون هم الفائزون بالله وإذا مررنا بالنبيين قالوا هذان ملكان مقربان لم نعرفهما ولم نرهما وإذا مررنا بالملائكة قالوا هذان نبيان مرسلان حتى أعلوا الدرجة وعلى يتبعنى حتى إذا صرت فى أعلى درجة منها وعلى أسفل منى بدرجة فلا يبقى يومئذ نبي ولا صديق ولا شهيد إلا قال طوبى لهذين العبدین ما أكرمهما على الله فيأتى النداء من قبل الله جل جلاله يسمع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين هذا حبيبي محمد وهذا وليي على طوبى لمن أحبه وويل لمن أبغضه وكذب عليه ثم قال النبي ص فلا يبقى يومئذ أحد أحبك يا على إلا استروح إلى هذا الكلام وبيض وجهه وفرح قلبه ولا يبقى أحد ممن عاداك أو نصب لك حرباً أو جحد لك حقاً إلا اسود وجهه واضطربت قدماه فبينما أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا إلى أما أحدهما فرضوان خازن الجنة وأما الآخر فماالك

ص: ١١٤

خازن النار فيدنورضوان فيقول السلام عليك يا أحمد فأقول عليك السلام أيها الملك من أنت فما أحسن وجهك وأطيب ريحك فيقول أنا رضوان خازن الجنة وهذه مفاتيح الجنة بعث بها إليك رب العزة فخذا يا أحمد فأقول قد قبلت ذلك من ربى فله الحمد على ما فضلنى به أدفعها إلى أخى على بن أبى طالب ثم يرجع رضوان فيدنومالك فيقول السلام عليك يا أحمد فأقول عليك السلام أيها الملك من أنت فما أقبح وجهك وأنكر رؤيتك فيقول أنا مالك خازن النار وهذه مقاليد النار بعث بها إليك رب العزة فخذا يا أحمد فأقول قد قبلت ذلك من ربى فله الحمد على ما فضلنى أدفعها إلى أخى على بن أبى طالب ثم يرجع مالك فيقبل على ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار حتى يقف على عجرة جهنم وقد تطاير شررها وعلا زفيرها واشتد حرها وعلى آخذ بزمامها فتقول له جهنم جزنى يا على فقد أطفأ نورك لهبى فيقول لها على قرى يا جهنم خذى هذا واتركى هذا خذى هذا عدوى واتركى هذا ولىى فلجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلى من غلام أحدكم لصاحبه فإن شاء يذهبها يمنة وإن شاء يسرة ولجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلى فيما يأمرها به من جميع الخلائق

قال رسول الله ص إن الله تبارك وتعالى جعل لأخى على بن أبى طالب فضائل لا يحصى عددها غيره فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرا بها غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين ومن كتب فضيلة من فضائل على لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى لتلك الكتابة رسم أو أثر ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التى اكتسبها بالاستماع ومن نظر إلى كتابة فضائله غفر الله له الذنوب التى اكتسبها بالنظر ثم قال رسول الله ص النظر إلى على بن أبى طالب عبادة وذكره عبادة ولا يقبل إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه

قال حبيب بن الجهم لما رحل بنا على بن أبى طالب ع إلى بلاد صفين نزل بقرية يقال لها صندودا ثم أمرنا فعبنا عنها ثم عرج بنا فى أرض بلقع فقام إليه مالك بن الحارث الأشرى وقال يا أمير المؤمنين أ تنزل الناس

على غير ماء فقال يا مالك إن الله عز وجل سيسقينا في هذا المكان ماء أعذب من الزبد الزلال وأبرد من الثلج وأصفى من الياقوت فتعجبنا ولا عجب من قول أمير المؤمنين ثم أقبل يجرد رداءه ويده سيفه حتى وقف على أرض بلقع فقال يا مالك احتفر أنت وأصحابك

ص: ١١٥

فقال مالك فاحتفرنا فإذا نحن بصخرة سوداء عظيمة فيها حلقة تبرق كاللجين فقال لنا ارموها فرمناها بأجمعنا ونحن مائة رجل فلم نستطع أن نزيلها عن موضعها فدنا أمير المؤمنين ع رافعا يده إلى السماء يدعو وهو يقول طاب طاب مريا عالم طيئوما بوته شتميا كوئا حانوئا ثوديثا برجونا آمين آمين رب العالمين رب موسى وهارون ثم اجتذبتها فرماها عن العين أربعين ذراعا فقال مالك بن الحارث الأشتر فظهر لنا ماء أعذب من الشهد وأبرد من الثلج وأصفى من الياقوت فشربنا وسقينا دوابنا ثم رد الصخرة وأمرنا أن نحثو عليها التراب ثم ارتحل وسرنا غير بعيد فلما سرنا غير بعيد قال من منكم يعرف موضع العين قلنا كلنا يا أمير المؤمنين فرجعنا فطلبنا العين فخفى مكانها علينا أشد خفاء فظننا أن أمير المؤمنين قد رهقه العطش فأومأنا بأطرافنا فإذا نحن بصومعة راهب فدنونا منها فإذا نحن براهب قد سقطت حاجباه على عينيه من الكبر فقلنا يا راهب أ عندك ماء تسقى منه صاحبنا قال عندي ماء قد استعذبت منذ يومين فأنزل إلينا ماء مرا خشنا فقلنا هذا وقد استعذبت منذ يومين فكيف ولو شربت من الماء الذي سقانا منه صاحبنا وحدثنا بالأمر فقال صاحبكم هذا نبي قلنا لا ولكنه وصى نبي فنزل إلينا بعد وحشتنا وقال انطلقوا بي إلى صاحبكم فانطلقنا به فلما بصر به أمير المؤمنين ع قال شمعون قال الراهب نعم شمعون هذا سميتي به أمى ما اطلع عليه أحد إلا الله تعالى ثم أنت فكيف عرفته فأتم حتى أتمه لك قال وما تشاء يا شمعون قال هذه العين واسمها قال هذه راحوما وهى من الجنة شرب منها ثلاثمائة وثلاثة عشر وصيا وأنا آخر الوصيين شربت منه قال الراهب هكذا وجدت في جميع كتب الإنجيل وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنك وصى محمد ص ثم رحل أمير المؤمنين والراهب يقدمه حتى نزل صفيين ونزل معه العابد والتقى الصفا فكان أول من أصابته الشهادة الراهب فنزل أمير المؤمنين وعيناه تهملان وهو يقول المرء مع من أحب الراهب معنا يوم القيامة وهو رفيقى فى الجنة

قال أبوسخيلة أتيت أبا ذر رضى الله عنه فقلت يا أبا ذر قد رأيت اختلاطا فيما ذا تأمرنى قال عليك بهاتين الخصلتين كتاب الله والشيخ على بن أبى طالب فإنى سمعت رسول الله ص يقول هذا أول من آمن بى وأول من يضافحنى يوم القيامة

ص: ١١٦

وهوالصديق الأكبر وهوالفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل

وقال رسول الله ص رأيت ليلة أسرى بى مكتوبا على قائمة من قوائم العرش أنا الله لا إله إلا أنا وحدى خلقت جنة عدن بيدي محمد صفوتى من خلقى أيدته بعلى ونصرته بعلى

وقال أمير المؤمنين ع دعاني رسول الله ص فوجهني إلى اليمن لأصلح بينهم فقلت يا رسول الله إنهم قوم كثيرون ولهم سن وأنا شاب حدث فقال يا علي إذا صرت بأعلا عقبة أفيق فناد بأعلا صوتك يا شجر يا مدر يا ثرى محمد رسول الله يقرئكم السلام قال فذهبت فلما صرت بأعلا العقبة أشرفت على اليمن فإذا هم بأسرهم مقبلون نحوى مشرعون رماحهم مصوبون أسنتهم متنكبون قسيهم شاهرون سلاحهم فناديت بأعلا صوتي يا شجر يا مدر يا ثرى محمد رسول الله يقرئكم السلام قال فلم تبق شجرة ولا مدرة ولا ثرى إلا ارتج بصوت واحد وعلى محمد رسول الله وعليك السلام فاضطربت قوائم القوم وارتعدت ركبهم ووقع السلاح من أيديهم وأقبلوا إلى مسرعين فأصلحت بينهم وانصرفت

وقال أبو يزيد النحوى سألت الخليل بن أحمد العروضى فقلت لم هجر الناس عليا ع وقرباه من رسول الله ص قرباه وموضعه من المسلمين موضعه وغناؤه في الإسلام غناؤه فقال بهر والله نوره أنوارهم وغلبهم على صفوكل منهل والناس إلى أشكالهم أميل أ ما سمعت الأول حيث يقول

وكل شكل لشكله ألف أ ما ترى الفيل يألف الفيلا

قال وأنشد الرياشي في معناه عن العباس بن الأحنف

وقائل كيف تهجرنا فقلت قولا فيه إنصاف لم يك من شكلي فهاجرته والناس أشكال وآلاف

قال أمير المؤمنين ع ما نزل من القرآن آية إلا وقد علمت أين نزلت وفيمن نزلت وفي أى شيء نزلت فى سهل نزلت أم فى جبل قيل فما نزل فيك فقال لولا أنكم سألتمنى لما أخبرتكم نزلت فى الآية إنما أنت مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ فرسول الله ص المنذر وأنا الهادى إلى ما جاء به

وقال أبو جعفر الباقر ع والله إن كان على لياكل أكل العبد ويجلس جلسة

ص: ١١٧

العبد وإن كان ليشتري القميصين السنبلايين فيخير غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر فإذا جاز أصابعه قطعه وإذا جاز كعبه حذفه ولقد ولى خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة ولا لبنه على لبنه ولا أقطع قطيعا ولا أورث بيضا ولا حمرا وإن كان يطعم الناس خبز البر واللحم وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضى إلا أخذ بأشدهما على بدنه ولقد أعتق ألف مملوك من كد يده تربت فيه يداه وعرق فيه وجهه وما أطاق عمله من الناس أحد وإن كان ليصلى فى اليوم والليل ألف ركعة وإن كان أقرب الناس شبيها به على بن الحسين ع وما أطاق عمله بعده أحد من الناس

وسمع رجل من التابعين أنس بن مالك يقول نزلت هذه الآية فى على بن أبى طالب ع أمَّنْهُ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ ساجداً وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قال الرجل فأتيت عليا ع لأنظر إلى عبادته فأشهد بالله لقد أتيته وقت المغرب فوجدته يصلى بأصحابه المغرب فلما فرغ منها جلس فى التعقيب إلى أن قام إلى

عشاء الآخرة ثم دخل منزله فدخلت معه فوجدته طول الليل يصلى يقرأ القرآن إلى أن طلع الفجر ثم جدد وضوءه وخرج إلى المسجد وصلى بالناس صلاة الفجر ثم جلس فى التعقيب إلى أن طلع الشمس ثم قصده الناس فجعل يختصم إليه الرجل والرجلان وإذا فرغا قاما وجاء آخران إلى أن قام إلى صلاة الظهر قال فجدد لصلاة الظهر وضوءا ثم صلى بأصحابه الظهر ثم قعد فى التعقيب إلى أن صلى بهم العصر ثم أتاه الناس فجعل يقوم رجلان ويقعد آخران يقضى بينهم ويفتيهم إلى أن غابت الشمس فخرجت وأنا أقول أشهد بالله أن هذه الآية نزلت فيه

وقال الأصمغ بن نباتة كان أمير المؤمنين ع إذا أتى بالمال أدخله بيت مال المسلمين ثم جمع المستحقين ثم ضرب يده فى المال فنثره يمنا ويسرة وهوى قول يا صفراء يا بيضاء لا تغرينى غرى غيرى هذا جنائى وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

ثم لا يخرج حتى يفرق ما فى بيت مال المسلمين ويؤتى كل ذى حق حقه ثم يأمر أن يكنس ويرش ثم يصلى فيه ركعتين ثم يطلق الدنيا ثلاثا يقول بعد التسليم يا دنيا لا تتعرضى لى ولا تشوقى ولا تغرينى فقد طلقتك ثلاثا لا رجعة لى إليك

ص: ١١٨

وقال زيد بن أرقم كان لنفر من أصحاب رسول الله ص أبواب شائعة فى المسجد فقال يوما سدوا هذه الأبواب إلا باب على فتكلم فى ذلك الناس قال فقام رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنى أمرت بسد هذه الأبواب غير باب على فقال فيه قائلكم إنى والله ما سددت شيئا ولا فتحتة ولكنى أمرت بشىء فاتبعته

وقال الأصمغ بن نباتة لما جلس أمير المؤمنين ع فى الخلافة وبايعه الناس وخرج إلى المسجد متعمما بعمامة رسول الله ص لابسا بردة رسول الله متنعلا نعل رسول الله متقلدا بسيف رسول الله ص فصعد المنبر فجلس عليه متمكنا ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثم قال يا معاشر الناس سلونى قبل أن تفقدونى هذا سفت العلم هذا لعاب رسول الله ص هذا ما زنى رسول الله زقا سلونى فإن عندى علم الأولين والآخرين أما والله لو ثنيت لى وسادة وجلست عليها لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم حتى ينطق التوراة فيقول صدق على ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فى وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول صدق على ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله فى وأنتم تتلون القرآن ليلا ونهارا فهل فيكم أحد يعلم ما أنزل الله فيه ولولا آية فى كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة وهى هذه الآية يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ثم قال سلونى قبل أن تفقدونى فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتمونى عن آية آية فى ليل أنزلت أوفى نهار مكيبها ومدنيها سفريها وحضرها ناسخها ومنسوخها محكمها ومتشابهها وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم

وقال رسول الله ص لعلى بن أبى طالب إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا على على نجيب من نور وعلى رأسك تاج قد أضاء نوره وكاد يخطف أبصار أهل الموقف فيأتى النداء من عند الله جل جلاله أين خليفة محمد رسول الله فتقول ها أنا ذا فينادى مناد بأعلى صوته يا على أدخل من أحبك الجنة ومن عاداك النار وأنت قسيم الجنة وأنت قسيم النار

قال أبوهريرة غزا النبي ص غزاة فلما رجع إلى المدينة وكان على ع تخلف على أهله فقسم المغنم فدفع إلى على بن أبى طالب ع سهمين فقال الناس يا رسول الله دفعت سهمين إلى على بن أبى طالب ع وهو بالمدينة متخلف فقال معاشر الناس ناشدtkم بالله وبرسوله أ لم تروا إلى الفارس الذى حمل على المشركين من يمين

ص: ١١٩

العسكر فهزمهم ثم رجع إلى فقال يا محمد إن لى معك سهمما وقد جعلته لعلى بن أبى طالب وهو جبرئيل ع معاشر الناس ناشدtkم بالله وبرسوله هل رأيتم الفارس الذى حمل على المشركين من يسار العسكر ثم رجع فكلمنى وقال إن لى معك سهمما وقد جعلته لعلى بن أبى طالب وهو ميكائيل ع فوالله ما دفعت إلى على إلا سهم جبرئيل وميكائيل ع فكبر الناس بأجمعهم

وروى أن الماء طغى فى الفرات وزاد حتى أشفق أهل الكوفة من الغرق ففزعوا إلى أمير المؤمنين ع فركب بغلة رسول الله ص وخرج الناس معه حتى أتى شاطئ الفرات فنزل ع وأسبغ الوضوء منفردا بنفسه والناس يرونه ثم دعا الله عز وجل بدعوات سمعها أكثرهم ثم تقدم إلى الفرات متوكيا على قضيب بيده حتى ضرب به صفحة الماء وقال انقص بإذن الله ومشيتيه ففاض الماء حتى بدت الحيتان فنطق كثير منها بالسلام عليه بإمرة المؤمنين ولم تنطق منها أصناف من السمك وهى الجرى والمارماهى والزماير فتعجب الناس لذلك وسألوه عن علة نطق ما نطق وصموت ما صمت فقال أنطق الله لى ما طهر من السمك وأصمت عنى ما حرمه ونجسه وبعده

وهذا خبر مستفيض شهرته بالنقل والرواية بين الخاص والعام

وروى أن أمير المؤمنين ع كان ذات يوم يخطب على منبر الكوفة إذ ظهر ثعبان من جانب المنبر فجعل يرقى حتى دنا من أمير المؤمنين ع فارتاع الناس لذلك وهموا بقصده ودفعه عن أمير المؤمنين فأومى إليهم بالكف عنه فلما صار إلى المرقاة التى عليها أمير المؤمنين قائم انحنى إلى الثعبان وتناول الثعبان إليه حتى التقم أذنه وسكت الناس وتحيروا فنق نقيقا سمعه كثير منهم ثم إنه زال عن مكانه وأمير المؤمنين ع يحرك شفتيه والثعبان كالمصغى إليه ثم انسأب وكان الأرض ابتلعتة وعاد أمير المؤمنين إلى خطبته فتممها فلما فرغ منها ونزل اجتمع الناس إليه يسألونه عن الثعبان والأعجوبة فيه فقال لهم ليس ذلك كما ظننتم إنما هو حاكم من حكام الجن التبتت عليه قضية فصار إلى يستفتينى عنها فأفهمته إياها ودعا لى بخير وانصرف

وقال رسول الله ص أنا مدينة الحكمة وهى الجنة وأنت يا على بابها وكيف يهتدى المهتدون إلى الجنة ولا يهتدى إليها إلا من بابها

ص: ١٢٠

وقال أبو سعيد الخدرى أتت فاطمة ص النبى ص فذكرت عنده ضعف الحال فقال لها أ ما تدرين ما منزلة على عندى كفانى أمرى وهوابن اثنتى عشرة سنة وضرب بين يدى بالسيف وهوابن ست عشرة سنة وقتل الأبطال وهوابن تسع عشرة سنة وفرج همومى وهوابن عشرين سنة ورفع باب خير وهوابن اثنتى وعشرين سنة وكان لا يرفعه خمسون رجلا قال فأشرق لون فاطمة ع ولم تقودماها حتى أتت عليها ع فأخبرته فقال كيف لوحدثك بفضل الله على

وروى أنه ذكر على ع عند ابن عباس بعد وفاته فقال وا أسفاه على أبى الحسن مضى والله ما غير ولا بدل ولا قصر ولا جمع ولا منع ولا أثر إلا الله والله لقد كانت الدنيا أهون عليه من شسع نعله ليث فى الوغا بحر فى المجالس حكيم فى الحكماء هيهات قد مضى إلى الدرجات العلا

وقال الحسن بن يحيى الدهان كنت ببغداد عند قاضى بغداد واسمه سماعة إذ دخل رجل من كبار أهل بغداد فقال له أصلح الله القاضى فإنى حججت فى السنين الماضية فمررت بالكوفة فدخلت فى مرجعى إلى مسجدها فبينما أنا واقف فى المسجد أريد الصلاة إذ أمامى امرأة أعرابية بدوية مرخية الذوائب عليها شملة وهى تنادى وتقول يا مشهورا فى السماوات ويا مشهورا فى الأرضين ويا مشهورا فى الآخرة ويا مشهورا فى الدنيا جهدت الجبابة والملوك على إطفاء نورك وإخماد ذكرك فأبى الله لذكرك إلا علوا ولنورك إلا ضياء وتاماما ولوكره المشركون فقلت يا أمة الله ومن هذا الذى تصفينه بهذه الصفة قالت ذاك أمير المؤمنين قال فقلت لها أى أمير المؤمنين هو قالت على بن أبى طالب الذى لا يجوز التوحيد إلا به وبولايته قال فالتفت إليها فلم أر أحدا

وقال الأعمش بعث إلى أبوجعفر الدوانقى فى جوف الليل أن أجب قال فقمت متفكرا فيما بينى وبين نفسى وقلت ما بعث إلى أمير المؤمنين هذه الساعة إلا ليسألنى عن فضائل أمير المؤمنين على ع إن أخبرته قتلنى قال فكتبت وصيتى ولبست كفى ودخلت عليه فقال ادن فدنوت وعنده عمروبن عبيد فلما رأيته طابت نفسى شيئا ثم قال ادن فدنوت حتى كادت تمس ركبتى ركبتيه قال فوجد منى رائحة الحنوط فقال والله لتصدقنى أو لأصلبىك قلت ما حاجتك يا أمير المؤمنين قال ما شأنك متحنطا قلت أتانى رسولك فى جوف الليل أن أجب فقلت عسى أن يكون

ص: ١٢١

أمير المؤمنين بعث إلى فى هذه الساعة ليسألنى عن فضائل على ع فلعلى أخبرته قتلنى فكتبت وصيتى ولبست كفى قال وكان متكيا فاستوى قاعدا فقال لا حول ولا قوة إلا بالله سألتك بالله يا سليمان كم حديثا ترويه فى فضائل على قال قلت يسيرا يا أمير المؤمنين قال كم قلت عشرة آلاف حديث وما زاد قال يا

سليمان والله لأحدثك بحديث فى فضائل على تنسى كل حديث سمعته قال قلت حدثنا يا أمير المؤمنين قال نعم كنت هاربا من بنى أمية وكنت أتردد فى البلدان فأتقرب إلى الناس بفضائل على وكانوا يطعمونى ويزودونى حتى وردت بلاد الشام وإنى لفى كساء خلق ما على غيره فسمعت الإقامة وأنا جائع فدخلت المسجد لأصلى وفى نفسى أن أكلم الناس فى عشاء يعشونى فلما سلم الإمام دخل صبيان فالتفت إليهما وقال مرحبا بكما وبمن سماكما على اسمهما فكان إلى جنبى شاب فقلت يا شاب ما الصبيان من الشيخ قال هوجدهما وليس بالمدينة أحد يحب عليا غير هذا الشيخ فلذلك سمي أحدهما الحسن والآخر الحسين فقلت فرحا فقلت للشيخ هل فى حديث أقر به عينيك فقال إن أقررت عينى أقررت عينيك قال فقلت أخبرنى والذى عن أبيه عن جده قال كنا قعودا عند رسول الله ص إذ جاءت فاطمة ع تبكى فقال لها رسول الله ما يبكيك يا فاطمة قالت يا أبة خرج الحسن والحسين فما أدرى أين باتا فقال لها النبى ص يا فاطمة لا تبكين والله الذى خلقهما هو ألطف بهما منك ورفع النبى ص يده إلى السماء فقال اللهم إن كانا أخذنا برا أو بحرا فاحفظهما وسلمهما فنزل جبرئيل ع من السماء فقال يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لا تحزن ولا تغتم لهما فإنهما فاضلان فى الدنيا فاضلان فى الآخرة وأبوهما أفضل منهما هما نائمان فى حظيرة بنى النجار وقد وكل الله بهما ملكا قال فقام النبى ص فرحا ومعه أصحابه حتى أتوا حظيرة بنى النجار فإذا هم بالحسن معانقا للحسين ع وإذا الملك الموكل بهما قد افترش أحد جناحيه تحتهم وغطاهما بالآخرة قال فمكث النبى ص يقبلهما حتى انتبها فلما استيقظا حمل النبى الحسن وحمل جبرئيل الحسين ع فخرج من الحظيرة وهو يقول والله لأشرفكما كما شرفكما الله عز وجل فقال له أبو بكر ناولنى أحد الصبيين أخفف عنك فقال يا أبا بكر نعم الحملان ونعم الراكبان وأبوهما خير منهما فخرج حتى أتى باب المسجد فقال يا بلال هلم على بالناس فنادى منادى

ص: ١٢٢

رسول الله ص فى المدينة فاجتمع الناس عند رسول الله ص فى المسجد فقام على قدميه فقال يا معاشر الناس أ لا أدلكم على خير الناس جدا وجدة قالوا بلى يا رسول الله قال الحسن والحسين فإن جدهما محمد وجدتهما خديجة بنت خويلد يا معشر الناس أ لا أدلكم على خير الناس أما وأبا فقالوا بلى يا رسول الله قال الحسن والحسين فإن أباهما يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وأمهما فاطمة بنت رسول الله يا معشر الناس أ لا أدلكم على خير الناس عما وعمه قالوا بلى يا رسول الله قال الحسن والحسين فإن عمهما جعفر الطيار فى الجنة مع الملائكة وعمتهما أم هانئ بنت أبى طالب يا معشر الناس أ لا أدلكم على خير خير الناس خالا وخالة قالوا بلى يا رسول الله قال الحسن والحسين فإن خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله ثم قال بيده هكذا يحشرنا ثم قال اللهم إنك تعلم أن الحسن فى الجنة والحسين فى الجنة وجديهما فى الجنة وأباهما فى الجنة وعمهما وعمتهما فى الجنة وخالهما وخالتهما فى الجنة اللهم إنك تعلم أن من يحبهما فى الجنة ومن يبغضهما فى النار قال فلما قلت ذلك للشيخ قال من أين أنت يا فتى قلت من أهل الكوفة قال أ عربى أم مولى قال قلت بل عربى قال فأنت تحدث بهذا الحديث وأنت فى هذا الكساء فكسانى خلعتي وحملنى على بغلته فبعثها بمائة دينار فقال يا شاب أقررت عينى فوالله لأقرن عينك ولأرشدك إلى

شاب يقر عينك اليوم قال قلت أرشدني قال لى إخوان أحدهما إمام والآخر مؤذن أما الإمام فإنه يحب عليا ع مذ خرج من بطن أمه وأما المؤذن فإنه يبغض عليا ع منذ خرج من بطن أمه قال قلت فأرشدني فأخذ بيدي حتى أتى باب الإمام فإذا أنا برجل قد خرج إلى فقال أما البغلة والكسوة فأعرفهما والله ما كان فلان يحملك ويكسوك إلا أنك تحب الله ورسوله فحدثني بحديث فى فضائل على ع قال فقلت أخبرني أبى عن أبيه عن جده قال كنا قعودا عند رسول الله ص إذ جاءت فاطمة ع تبكى بكاء شديدا فقال لها رسول الله ما يبكيك يا فاطمة قالت يا أبة عيرتنى نساء قريش وقلن إن أباك زوجك من معدم لا مال له فقال لها النبى ص لا تبكين فوالله ما زوجتك حتى زوجك الله من فوق عرشه وأشهد بذلك

ص: ١٢٣

جبرئيل وميكائيل وإن الله عز وجل اطلع على أهل الدنيا فاختر من الخلائق أباك فاختره نبيا ثم اطلع الثانية فاختر من الخلائق عليا فزوجك إياه واتخذة وصيا فعلى أشجع الناس قلبا وأحلم الناس حلما وأسمح الناس كفا وأقدم الناس سلما وأعلم الناس علما والحسن والحسين ابناه وهما سيذا شباب أهل الجنة واسمهما فى التوراة شبر وشبير لكرامتهما على الله عز وجل يا فاطمة لا تبكين فوالله إنه إذا كان يوم القيامة يكسى أبوك حلتين وعلى حلتين ولواء الحمد بيدى فأناوله عليا لكرامته على الله عز وجل يشفع على ذلك اليوم يا فاطمة لا تبكين إذا كان يوم القيامة نادى مناد فى أهوال ذلك اليوم يا محمد نعم الجد جدك إبراهيم خليل الرحمن ونعم الأخ أخوك على بن أبى طالب يا فاطمة على يعيننى على مفاتيح الجنة وشيعته هم الفائزون يوم القيامة غدا فى الجنة فلما قلت ذلك قال يا بنى ممن أنت قلت من أهل الكوفة قال أ عربى أنت أم مولى قلت بل عربى قال فكسانى ثلاثين ثوبا وأعطانى عشرة آلاف درهم ثم قال يا شاب قد أقررت عيني ولى إليك حاجة قلت قضيت إن شاء الله تعالى قال فإذا كان غدا فأت مسجد الفلانى كيما ترى أخى المبغض لعلى ع قال فطالت على تلك الليلة فلما أصبحت أتيت المسجد الذى وصف لى فقممت فى الصف فإذا إلى جانبى شاب متعمم فذهب ليركع فسقطت عمامته من رأسه فنظرت فى رأسه ووجهه فإذا رأس خنزير ووجهه وجه خنزير فوالله ما علمت ما تكلمت فى صلاتى حتى سلم الإمام فقلت ويحك ما الذى أرى بك فبكى وقال لى انظر إلى هذه الدار فنظرت فقال لى ادخل فدخلت فقال لى كنت مؤذنا لآل فلان كلما أصبحت لعنت عليا ألف مرة بين الأذان والإقامة فى كل جمعة لعنته أربعة آلاف مرة فخرجت من منزلى فأتيت دارى فاتكأت على هذا الدكان الذى ترى فرأيت فى منامى كأنى بالجنة وفيها رسول الله ص وعلى فرحين ورأيت كأن النبى ص عن يمينه الحسن وعن يساره الحسين ومعه كأس فقال يا حسن اسقنى فسقاه ثم قال اسق الجماعة فشربوا ثم رأيت كأنه قال اسق المتكى على هذا الدكان فقال له الحسن يا جد أ تأمرنى أن أسقى هذا وهويلعن والذى فى كل يوم ألف مرة بين الأذان والإقامة وقد لعنه فى هذا اليوم أربعة آلاف مرة فأتانى النبى ص فقال لى ما لك عليك لعنة الله تلعن عليا وعلى منى فرأيت أنه كأنه ثقل فى وجهى وضربنى برجله

ص: ١٢٤

وقال قم غير الله ما بك من نعمة فانتبهت من نومى فإذا رأسى رأس الخنزير ووجهى وجه الخنزير ثم قال لى أبوجعفر هذان الحديثان فى يدك قلت لا فقال يا سليمان حب على إيمان وبغضه نفاق والله لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق قال قلت الأمان يا أمير المؤمنين قال لك الأمان قلت فما تقول فى قاتل الحسين بن على بن أبى طالب ع قال إلى النار وفى النار قلت فكذلك من قتل ولد رسول الله ص إلى النار وفى النار قال الملك عقيم اخرج يا سليمان فلا تحدث بما سمعت

وروى أن أمير المؤمنين ع دخل مكة فى بعض حوائجه فوجد أعرابيا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول يا صاحب البيت البيت بيتك والضيف ضيفك ولكل ضيف من مضيف قرأى منك الليلة المغفرة فقال أمير المؤمنين ع لأصحابه أ ما تسمعون كلام الأعرابى قالوا نعم قال الله أكرم من أن يرد ضيفه قال فلما كان الليلة الثانية وجده متعلقا بذلك الركن وهو يقول يا عزيزا فى عزك ولا أعز منك فى عزك أعزنى بعز عزك فى عز لا يعلم أحد كيف هو أتوجه إليك وأتوسل إليك بمحمد وآل محمد عليك أعطنى ما لا يعطينى أحد غيرك واصرف عنى ما لا يصرفه أحد غيرك قال فقال أمير المؤمنين ع لأصحابه هذا والله الاسم الأكبر بالسريانية أخبرنى به حبيبى رسول الله ص سأله الجنة فأعطاه وسأله صرف النار وقد صرفها عنه فلما كان الليلة الثالثة وجده وهو متعلق بذلك الركن وهو يقول يا من لا يحويه مكان ولا يخلومنه مكان بلا كيفية كان ارزق الأعرابى أربعة آلاف درهم قال فتقدم إليه أمير المؤمنين ع فقال يا أعرابى سألت ربك القرى فقراك وسألت ربك الجنة فأعطاك وسألت أن يصرف عنك النار وقد صرفها وفى هذه الليلة تسأله أربعة آلاف درهم قال الأعرابى من أنت قال أنا على بن أبى طالب قال الأعرابى أنت والله بغيتى وبك أنزلت حاجتى قال سل يا أعرابى قال ألف درهم للصدوق وألف درهم أقضى به دينى وألف درهم أشتري به دارا وألف درهم أتعيش منه قال أنصفت يا أعرابى فإذا خرجت من مكة فسل عن دارى بمدينة الرسول ص فأقام الأعرابى أسبوعا بمكة وخرج فى طلب أمير المؤمنين على ع إلى مدينة الرسول ص ونادى من يدلنى على دار أمير المؤمنين ع فقال الحسين بن على ع من بين الصبيان أنا أدلك على دار أمير المؤمنين على ع وأنا ابنه الحسين بن على فقال الأعرابى من أبوك قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب قال من

ص: ١٢٥

أمك قال فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين قال من جدك قال رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال من جدتك قال خديجة بنت خويلد قال من أخوك قال أبو محمد الحسن بن على قال قد أخذت الدنيا بطرفيها امش إلى أمير المؤمنين وقل له الأعرابى صاحب الضمان بمكة على الباب قال فدخل الحسين بن على على أبيه وقال له الأعرابى بالباب يزعم أنه صاحب الضمان بمكة قال فقال يا فاطمة عندك شيء يأكله الأعرابى قالت اللهم لا قال فلبس أمير المؤمنين ع فخرج وقال ادع لى يا أبا عبد الله سلمان الفارسى فدخل إليه سلمان الفارسى فقال يا أبا عبد الله أعرض الحديقة التى غرسها رسول الله ص لى على التجار قال فدخل سلمان السوق وعرض الحديقة فباعها بائنتى عشرة ألف درهم وأحضر الأعرابى فأعطاه أربعة آلاف درهم وأربعين درهما نفقة ووقع الخبر إلى سؤال المدينة فاجتمعوا ومضى رجل من الأنصار إلى فاطمة ع فأخبرها

بذلك فقالت أجزرك على الله فى ممشاك فجلس على ع والدرهم مصبوبة بين يديه حتى اجتمع إليه أصحابه فقبض قبضة وجعل يعطى رجلا رجلا حتى لم يبق درهم واحد فلما أتى المنزل قالت له فاطمة ع يا ابن عم بعت الحائط الذى غرسه لك والذى قال نعم بخير منه عاجلا وآجلا قالت فأين الثمن قال دفعته إلى أعين استحيت أن أبذلها بذل المسألة قبل أن تسألنى قالت فاطمة أنا جائعة وابنائى جائعان ولا شك أنك مثلنا فى الجوع لم يكن لنا منه درهم وأخذت بطرف ثوب على ع فقال على يا فاطمة خلىنى فقالت لا والله أويحكم بينى وبينك أبى فهبط جبرئيل على رسول الله ص فقال يا محمد الله يقرئك السلام ويقول أقرئ عليا منى السلام وقل لفاطمة ليس لك أن تضربى على يديه فلما دخل رسول الله ص منزل على وجد فاطمة ملازمة لعلى ع فقال لها يا بنية ما لك ملازمة لعلى قالت يا أبة باع الحائط الذى غرسته له باثنى عشر ألف درهم لم يجبس لنا منه درهما نشرى به طعاما فقال يا بنية جبرئيل يقرئنى من ربه السلام ويقول أقرئ عليا من ربه السلام وأمرنى أن أقول ليس لك أن لا تضربى على يديه فقالت فاطمة فإنى أستغفر الله ولا أعود أبدا قالت فاطمة ع فخرج أبى ص فى ناحية وزوجى على ع فى ناحية فما لبث أن أتى أبى ص ومعه سبعة دراهم سود هجرية فقال يا فاطمة أين على فقلت له خرج فقال رسول الله ص هاك هذه الدراهم فإذا جاء ابن عمى فقولى له يبتاع

ص: ١٢٦

لكم بها طعاما فما لبث إلا يسيرا حتى جاء على ع فقال رجع ابن عمى فإنى أجد رائحة طيبة قالت نعم وقد دفع إلى شيئا يبتاع لنا به طعاما قال على ع هاتيه فدفعته إليه سبعة دراهم سودا هجرية فقال بسم الله والحمد لله كثيرا طيبا وهذا من رزق الله عز وجل ثم قال يا حسن قم معى فأتيا السوق فإذا هما برجل واقف وهو يقول من يقرض الملى الوفى قال يا بنى تعطيه قال إى والله يا أبة فأعطاه على ع الدراهم فقال الحسن يا أبتاه أعطيته الدراهم كلها قال نعم يا بنى إن الذى يعطى القليل قادر على أن يعطى الكثير قال فمضى على بباب رجل يستقرض منه شيئا فلقبه أعرابى ومعه ناقة فقال يا على اشتري منى هذه الناقة قال ليس معى ثمنها قال فإنى أنظرك به إلى القبض قال بكم يا أعرابى قال بمائة درهم قال خذها يا حسن فأخذها فمضى على ع فلقبه أعرابى آخر المثال واحد والثياب مختلفة قال يا على تبيع الناقة قال على ع وما تصنع بها قال أغزوعليها أول غزوة يغزوها ابن عمك قال إن قبلتها فهى لك بلا ثمن قال معى ثمنها وبالثمن أشتريها فبكم اشتريتها قال بمائة درهم قال الأعرابى فلك سبعون ومائة درهم فقال على ع يا حسن خذ السبعين والمائة وسلم المائة للأعرابى الذى باعنا الناقة والسبعين لنا نبتاع بها شيئا فأخذ الحسن ع الدراهم وسلم الناقة قال على ع فمضيت أطلب الأعرابى الذى ابتعت منه الناقة لأعطيه ثمنها فرأيت رسول الله ص جالسا فى مكان لم أره فيه قبل ذلك ولا بعده على قارعة الطريق فلما نظر إلى النبى ص تبسم ضاحكا حتى بدت نواجذه قال على ع أضحك الله سنك وبشرى بيومك قال يا على أ تطلب الأعرابى الذى باعك الناقة لتوفيه الثمن فقلت إى والله فداك أبى وأمى فقال يا أبا الحسن باعك الناقة جبرئيل والذى اشتراها منك ميكائيل والناقة من نوق الجنة والدراهم من رب العالمين عز وجل فأنفقها فى خير ولا تخف إقتارا

وروى أن جبرئيل نزل على النبي ص فقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويقول خلقت السماوات السبع وما فيهن والأرضين السبع ومن عليهن وما خلقت موضعا أعظم من الركن والمقام ولوأن عبدا دعاني هناك منذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاحدا لولاية علي لكيبته في سقر

قال عبد الله بن عمر إن رسول الله ص دفع الراية يوم خيبر إلى رجل من

ص: ١٢٧

أصحابه فرجع منهزما فدفعها إلى آخر فرجع يجبن أصحابه ويجبنوه قد رد الراية منهزما فقال رسول الله ص لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فلما أصبح قال ادعوا لي عليا فقبل له يا رسول الله هورمد فقال ادعوه فلما جاء تفل رسول الله ص في عينيه فقال اللهم ادفع عنه الحر والبرد ثم دفع الراية إليه فمضى وما رجع إلى رسول الله إلا بفتح خيبر ثم قال أما إنه لما دنا من القموص أقبل أعداء الله من اليهود يرمونه بالنبل والحجارة فحمل عليهم على ع حتى دنا من الباب فثنى رجله ثم نزل مغضبا إلى أصل عتبة الباب فاقتلعه ثم رمى به خلف ظهره أربعين ذراعا قال ابن عمر وما عجبنا من فتح الله خيبر على يدى علي ع ولكننا عجبنا من قلعه الباب ورميه خلفه أربعين ذراعا ولقد تكلف حمله أربعون رجلا فما أطاقوه فأخبر النبي ص بذلك فقال والذي نفسى بيده لقد أعانته عليه أربعون ملكا

وروى أن أمير المؤمنين ع قال فى رسالته إلى سهل بن حنيف والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية ولا بحركة غذائية لكنى أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة وأنا من أحمد كالضوء من الضوء والله لوتظاهرت العرب على قتالى لما وليت ولوأمكنتنى الفرصة من رقابها لما بغيت ومن لم يبال متى حنقه عليه ساقط فجنانه فى الملمات رابط

وقال جابر بن عبد الله إن عليا حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها وإنهم جربوه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلا

وقال سعيد بن جببر أتيت عبد الله بن عباس فقلت له يا ابن عم رسول الله إني جئتكم أسألك عن علي بن أبى طالب واختلاف الناس فيه فقال ابن عباس يا ابن جببر جئتنى تسألنى عن خير خلق الله من الأمة بعد رسول الله يا ابن جببر جئتنى تسألنى عن رجل كانت له ألف منقبة فى ليلة واحدة وهى ليلة القربة يا ابن جببر جئتنى تسألنى عن وصى رسول الله ص ووزيره وخليفته وصاحب حوضه ولوائه وشفاعته والذي نفس ابن عباس بيده لوكانت بحار الدنيا مدادا وأشجارها أقلاما وأهلها كتابا فكتبوا مناقب علي بن أبى طالب ع وفضائله من يوم خلق الله الدنيا إلى أن يفنيها فما بلغوا معشار ما آتاه الله تبارك وتعالى

ص: ١٢٨

وقال ابن عباس لما فتح رسول الله مكة خرجنا ونحن ثمانية آلاف فلما أمسينا صرنا عشرة آلاف من المسلمين فرفع رسول الله ص الهجرة بعد الفتح قال ثم تهيئنا إلى هوازن فقال النبي ص لعلى بن أبى طالب ع

يا على قم وانظر كرامتك على الله عز وجل كلم الشمس إذا طلعت قال ابن عباس والله ما حسدت أحدا إلا على بن أبي طالب ذلك قلت للفضل قم ننظر كيف يكلم على بن أبي طالب الشمس فلما طلعت الشمس قام على بن أبي طالب ع فقال السلام عليك أيها العبد الدائب في طاعة ربه فأجابته الشمس وهي تقول عليك السلام يا أخا رسول الله ووصيه وحجة الله على خلقه قال فانكب على ع ساجدا شكرا لله عز وجل قال فوالله لقد رأيت رسول الله ص قام فأخذ برأس على ع يقيمه ويمسح وجهه ويقول قم حبيبي فقد أبكيت أهل السماء من بكائك وباهي الله عز وجل بك حملة عرشه

وروى أن رسول الله ص نظر ذات يوم إلى على بن أبي طالب ع وحوله جماعة من أصحابه فقال من أحب أن ينظر إلى يوسف في جماله وإلى إبراهيم في سخائه وإلى سليمان في بهجته وإلى داود في قوته فلينظر إلى هذا

قال رسول الله ص من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى على بن أبي طالب وقال ص حق على على الناس كحق الوالد على ولده

وقال جعفر بن محمد ع نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على وقال النبي ص يا على أعطيت ثلاثا قلت فداك أبى وأمى وما أعطيت قال أعطيت سهرا مثلى وأعطيت مثل زوجتك فاطمة وأعطيت ولديك الحسن والحسين

قال ابن عباس إذا كان يوم القيامة أقعد الله سبحانه جبرئيل ومحمد ص على الصراط فلا يجوز أحد إلا من كان معه براءة من على بن أبي طالب

وقال رسول الله ص إذا كان يوم القيامة ضربت لى قبة من ياقوتة حمراء على يمين العرش وضربت لإبراهيم قبة خضراء على يسار العرش وضربت فيما بيننا لعلى بن أبي طالب قبة من لؤلؤة بيضاء فما ظنكم بحبيب بين خليلين

ص: ١٢٩

وقال رسول الله ص خلقت أنا وعلى من نور واحد نسيح الله يمينة العرش قبل أن يخلق الله آدم بألفى عام فلما خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه ولقد سكن الجنة ونحن في صلبه ولقد هم بالخطيئة ونحن في صلبه ولقد ركب النوح السفينة ونحن في صلبه ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه فلم يزل يلقينا الله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب فقسمننا نصفين فجعلنى في صلب عبد الله وجعل عليا في صلب أبى طالب وجعل في النبوة والبركة وجعل فيه الفصاحة والفروسية وشق لنا اسمين من أسمائه فذوالعرش محمود وأنا محمد والله الأعلى وهذا على

وروى على بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه قال سألت جعفر بن محمد ع قلت إنا نتحدث على أن الشمس ردت على أمير المؤمنين ع يوم بابل قال ما علمت ذلك ولكن أبي حدثني أن رسول الله ص صلى العصر بكراع الغميم فلما سلم نزل عليه الوحي وجاء على وهو على ذلك من الحال فأسنده إلى ظهره فلم يزل يتلك الحال حتى غابت الشمس والقرآن ينزل على النبي ص فقال يا على صليت فقال لا قال فما منعك قال يا رسول الله جئت وأنت بالحال التي كنت بها فأسندتكم إلى صدرى وكرهت أن أدعك حتى تفرغ فأقبل رسول الله ص إلى القبلة وقال اللهم إن كان على في طاعتك وطاعة رسولك فاردد الشمس فردت عليه الشمس بيضاء تقية فقال قم فقام على وصلى فلما فرغ من صلاته وقعت الشمس وبدت الكواكب

وروى أن أمير المؤمنين ع لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم وصلى ع بنفسه في طائفة معه العصر ولم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس ففات صلاة كثير منهم وفات الجمهور فضل الاجتماع معه فتكلموا في ذلك فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى رد الشمس عليه ليجمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها فأجابهم الله تعالى وردها عليه فكانت في الأفق على الحال التي تكون عليه وقت العصر فلما سلم القوم غابت الشمس فسمع لها وجيب شديد هال الناس من ذلك وأكثر الناس التسبيح والتهليل والاستغفار والحمد لله على نعمه التي ظهرت فيهم وسار خبر ذلك في الآفاق وانتشر ذكره في الناس وكذلك

ص: ١٣٠

روى عن أسماء بنت عميس وأم سلمة وأبي رافع والحسين بن على ع

وروى أنه صلى جالسا بالإيماء لما توسده رسول الله ص فلما أفاق رسول الله ص من غشيته دعا له حتى ردت الشمس

وروى أن أنس بن مالك عصب بعصابة فسئل عنها فقال هذه دعوة على بن أبي طالب ع فقل كيف كان ذلك فقال كنت خادما لرسول الله ص فأهدى إليه طائر مشوى فقال اللهم ايتني بأحب خلقك إليك وإلى يأكل معي من هذا الطير فجاء على ع فقلت له رسول الله ص عنك مشغول وأحببت أن يكون رجلا من قومي فرفع رسول الله ص يده ثانية وقال اللهم ايتني بأحب خلقك إليك وإلى يأكل معي من هذا الطائر فجاء على ع فقلت له رسول الله ص عنك مشغول وأحببت أن يكون رجلا من قومي فرفع رسول الله ص يده ثالثة فقال اللهم ايتني بأحب خلقك إليك وإلى يأكل معي من هذا الطائر فجاء على ع فقلت إن رسول الله ص عنك مشغول وأحببت أن يكون رجلا من قومي فرفع على ع صوته فقال وما يشغل رسول الله ص عنى فسمعه رسول الله فقال يا أنس من هذا قلت على بن أبي طالب فقال أذن له فلما دخل فقال له يا على إنى قد دعوت الله عز وجل ثلاث مرات أن يأتيني بأحب خلقه إليه وإلى أن يأكل معي من هذا الطائر ولولم تجبني في الثالثة لدعوت الله في الثالثة باسمك أن يأتيني بك فقال على ع يا رسول الله إنى قد جئت ثلاث مرات كل ذلك يردنى أنس ويقول إن رسول الله ص عنك مشغول فقال رسول الله ص يا أنس ما حملك على هذا فقلت يا

رسول الله سمعت الدعوة فأحببت أن يكون رجلا من قومي قال فرفع على يده إلى السماء فقال اللهم ارم أنسا
بوضح لا تستره من الناس ثم كشف العصاة عن رأسه فقال هذه دعوة على هذه دعوة على هذه دعوة على
وقال أمير المؤمنين ع بخير

أنا الذي سمتني أمة حيدرة عبل الذراعين شديد القيصر لث لغابات شديد قسورة أكيلكم بالسيف كيل
السندرة

وقال حسان بن ثابت يوم خير في أمير المؤمنين ع

وكان على أرمم العين يبتغي دواء فلما لم يحس مداوياشفاه رسول الله منه بتفله فبورك مرقيا وبورك راقيا

ص: ١٣١

وقال سأعطى الراية اليوم صارما كميا محبا للرسول مواليا يحب إلهي والرسول يحبه به يفتح الله الحصون
الأوابيا فأصفي بها دون البرية كلها عليا وسماه الوزير المواخيا

وقد روى هذه الأبيات لخزيمة بن ثابت ذوالشهادتين

أنا مولى لفتى أنزل فيه هل أتى إلى متى أكتمه أكتمه إلى متى

وأنشد

حب على بن أبي طالب فرض على الشاهد والغائب

وأنشد

حب على علوهمة لأنه سيد الأئمة

وأنشد

إذا ذكرت العزل من هاشم تنافرت عنك الكلاب الشاردة فقل لمن لامك في حبه خانتك في مولدك
الوالدة أشهد بالله وآلائه شهادة صادقة خالدة أن على بن أبي طالب إمامنا في سورة المائدة

وأنشد في معناه صاحب

يحب على تزول الشكوك وتزكو النفوس وتصفوا النجار فمهما رأيت محبا له فثم الزكاء وثم الفخار ومهما رأيت
عدوا له ففي أصله نسب مستعار فلا تعذله على فعله فحيطان دار أبيه قصار

وأنشد

أنا وجميع من فوق التراب فداء تراب نعل أبى تراب

وأنشد

ردت عليه الشمس لما فاته وقت الصلاة وقد دنت للمغرب حتى تبليج نورها فى وقتها للعصر ثم هوت هوى
الكوكب وعليه قد حبست ببابل مرة أخرى وما حبست لخلق مغرب إلا لأحمد أوله من بعده ولردها تأويل أمر
معجب

ص: ١٣٢

مجلس فى ذكر وفاة أمير المؤمنين ع

اعلم أن وفاة أمير المؤمنين ع كانت ليلة الجمعة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة
قتيلا بالسيف قتله ابن ملجم لعنه الله ليلة تسع عشرة فى مسجد الكوفة وكانت سنه يوم وفاته ثلاثا وستين سنة
وروى أن أمير المؤمنين ع جمع الناس للبيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله فردّه مرتين أو ثلاثا
ثم بايعه وقال عند بيعته له ما يحبس أشقاها فولدى نفسى بيده لتخضبن هذه من هذا ووضع يده على لحيته
ورأسه فلما أدبر ابن ملجم لعنه الله منصرفا قال ع

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا يبيك ولا تجزع من الموت إذا حل بواديك

وروى أن ابن ملجم المرادى لعنه الله أتى أمير المؤمنين ع يبايعه فيمن بايعه ثم أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين
ع فتوثق منه وتوكد عليه أن لا يغدر ولا ينكث ففعل فقال ابن ملجم والله يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت
هذا بأحد غيرى فقال ع

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مرادى

امض يا ابن ملجم فوالله ما أرى أن تفى بما قلت

وروى أن نفرا من الخوارج اجتمعوا بمكة فتذاكروا الأمراء فعابوهم وعابوا أعمالهم عليهم وذكروا أهل النهروان
وترحموا عليهم فقال بعضهم لبعض لوأنا شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فطلبنا غرتهم وأرحنا منهم العباد
والبلاد وثارنا بإخواننا الشهداء بالنهروان فتعاهدوا عند انقضاء الحج على ذلك فقال عبد الرحمن بن ملجم لعنه
الله أنا أكفيكم عليا وقال المبارك بن عبد الله التميمي أنا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن البكر التميمي أنا أكفيكم
عمرو بن العاص وتعاهدوا على ذلك وتواثقوا على الوفاء واتعدوا لشهر رمضان فى ليلة التسع عشرة ثم تفرقوا
فأقبل ابن ملجم وكان عداؤه فى كندة حتى قدم الكوفة فلقى أصحابه وكتبهم أمره مخافة أن ينتشر منهم شيء
فهوفى ذلك إذ رأى رجلا من أصحابه ذات يوم من تيم الرئاب فصادف

ص: ١٣٣

عنده قطام بنت الأخصر التميمية وكان أمير المؤمنين ع قتل أباه وأخاه بالنهروان وكانت من أجمل نساء زمانها فلما رآها ابن ملجم لعنه الله شغف بها واشتد إعجابه فسأل في نكاحها وخطبها فقالت له ما الذى تسمى لى من الصداق فقال لها احكمى ما بدا لك قالت أنا محكمة عليك بثلاثة آلاف درهم ووصيفا وخادما وقتل على بن أبى طالب فقال لها جميع ما سألت وأما قتل على بن أبى طالب فأنى لى بذلك فقالت تلتمس غرته فإن أنت قتلتته شفيت نفسى وهناك العيش معى وإن قتلت فما عند الله خير وأبقى فقال وايم الله ما أقدمنى هذا المصر إلا هذا وقد كنت هاربا منه لأمن مع أهله إلا ما سألتنى من قتل على بن أبى طالب فلك ما سألت قالت فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ويقويك ثم بعثت إلى وردان بن مجالد من تيم الرئاب فخبرتة الخبر وسألته معونة ابن ملجم فتحمل ذلك لها وخرج ابن ملجم فأتى رجلا من أشجع الناس يقال له شبيب بن بحرة فقال له يا شبيب هل لك فى شرف الدنيا والآخرة قال وما ذاك قال تساعدنى على قتل على وكان شبيب على رأى الخوارج فقال له يا ابن ملجم هبلك الهبول لقد جئت شيئا إذا وكيف تقدر على ذلك فقال له ابن ملجم نكمن له فى المسجد الأعظم فإذا خرج لصلاة الفجر قتلناه فإن نحن قتلناه شفينا أنفسنا وأدركنا ثارنا فلم يزل به حتى أجابه فأقبل معه حتى دخل المسجد على قطام وهى معتكفة فى المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبة فقال لها قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل قالت لهما فإذا أردتما ذلك فالقونى فى هذا الموضع فانصرفا من عندها فلبث أياما ثم أتياها ومعهما الآخر ليلة الأربعاء لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة فدعت لهما بحرير فعصبت به صدورهم وتقلدوا أسياهم ومضوا فجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها أمير المؤمنين ع إلى الصلاة وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما فى قلوبهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين ع وواطأهم عليه وحضر الأشعث بن قيس فى تلك الليلة لمعونتهم على ما أجمعوا عليه وكان حجر بن عدى رحمه الله باثنا فى المسجد فسمع الأشعث يقول لابن ملجم النجا النجا لحاجتك فقد ضحك الصبح فأحس الرجل بما أراد الأشعث فقال له قتلته يا أعور وخرج مبادرا ليمضى إلى أمير المؤمنين فدخل المسجد فسبقه ابن ملجم فضربه بالسيف وأقبل حجر والناس يقولون قتل أمير المؤمنين ص وذكر عبد الله بن محمد الأزدي قال إنى لأصلى فى تلك

ص: ١٣٤

الليلة فى المسجد الأعظم مع رجال من أهل مصر كانوا يصلون فى ذلك الشهر من أوله إلى آخره إذ نظرت إلى رجال يصلون فى تلك الليلة فى المسجد قريبا من السدة وخرج على بن أبى طالب ع لصلاة الفجر فأقبل ينادى الصلاة الصلاة فما أدرى أنادى أم رأيت بريق السيف وسمعت قائلا يقول لله الحكم يا على لا لك ولا لأصحابك وسمعت عليا يقول لا يفوتنكم الرجل فإذا على ع مضروب وقد ضربه شبيب بن بحرة فأخطأه ووقعت ضربته فى الطاق وهرب القوم نحو أبواب المسجد وبادر الناس لأخذهم فأما شبيب بن بحرة فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره وأخذ السيف من يده ليقتله به فرأى الناس يقصدون نحوه فخشى أن يعجلوا عليه ولا يسمعوا منه فوثب عن صدره وخلاه وطرح السيف من يده ومضى شبيب هاربا حتى دخل منزله ودخل عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره فقال له ما هذا لعلك قتلت أمير المؤمنين فأراد أن يقول لا فقال نعم فمضى ابن عمه فاشتمل على سيفه ثم دخل عليه فضربه به حتى قتله وأما ابن ملجم فإن رجلا من

همدان لحقه وطرح عليه قطيفة كان فى يده ثم صرعه وأخذ السيف من يده وجاء به إلى أمير المؤمنين ع وأفلت الثالث فانسحل بين الناس فلما دخل ابن ملجم على أمير المؤمنين ع نظر إليه ثم قال النفس بالنفس إن أنا مت فاقتلوه كما قتلنى وإن سلمت رأيت فيه رأيى فقال ابن ملجم لعنه الله والله لقد ابتعته بألف وسممته بألف فإن خاننى فأبعده الله قال ونادته أم كلثوم يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين قال إنما قتلت أباك قالت يا عدو الله إنى لأرجو أن لا يكون عليه بأس قال لها فأراك إنما تبكين على على إذا والله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم فأخرج من بين يدى أمير المؤمنين ع وإن الناس ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم سباع وهم يقولون يا عدو الله ما ذا فعلت أهلكت أمة محمد ص وقتلت خير الناس وإنه لصامت ما ينطق فذهب به إلى الحبس وجاء الناس إلى أمير المؤمنين ع فقالوا له يا أمير المؤمنين أمرنا بأمرك فى عدو الله فقد أهلك الأمة وأفسد الملة فقال أمير المؤمنين ع إن عشت رأيت فيه رأيى وإن هلكت فاصنعوا به ما يصنع بقاتل النبى ص اقتلوه ثم أحرقوه بالنار بعد ذلك قال فلما قضى أمير المؤمنين ع نجه وفرغ أهله من دفنه جلس الحسن ع وأمر أن يؤتى بابن ملجم لعنه الله فجىء به فلما وقف بين يديه قال له يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين وأعظمت الفساد فى الدين ثم

ص: ١٣٥

أمر به ف ضرب عنقه واستوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعية جيفته لتتولى إحراقها فوهبها لها فأحرقتها بالنار وأما الرجلان اللذان كانا مع ابن ملجم فى العقد على قتل معاوية وعمرو بن العاص فإن أحدهما ضرب معاوية وهوراع فوقعت ضربته فى أليتيه ونجا منها فأخذ وقتل فى وقته وأما الآخر فإنه وافى عمرا فى تلك الليلة وقد وجد علة فاستخلف رجلا يصلى بالناس يقال له خارجة بن أبى حبيبة العامرى فضربه بالسيف وهويظن أنه عمرو وأخذ وأتى به عمرو فقتله ومات خارجة فى يوم الثانى

وروى الأصبغ بن نباتة قال خطبنا أمير المؤمنين ع فى الشهر الذى قتل فيه فقال أتاكم شهر رمضان وهو سيد الشهور وأول السنة وفيه يدور رحى السلطان ألا وإنكم الحاج العام صفا واحدا وآية ذلك أنى لست فيكم فهو ينعى بنفسه إلينا ونحن لا ندرى

وروى أنه لما دخل شهر رمضان كان أمير المؤمنين ع يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند عبد الله بن العباس فكان لا يزيد على ثلاث لقم فقيل له فى ليلة من الليالى ما لك لا تأكل فقال يأتينى أمر ربى وأنا خميص إنما هى ليلة أوليلتان فأصيب ع فى آخر الليل

وروى أن عليا ع يقول لابنته أم كلثوم يا بنية إننى أرانى قل ما أصحابكم قالت فكيف ذلك يا أبتاه قال إنى رأيت رسول الله ص فى منامى وهو يمسح الغبار عن وجهى ويقول يا على لا عليك قضيت ما عليك قالت فما مكنتنا إلا ثلاثا حتى ضرب تلك الليلة فصاحت أم كلثوم فقال يا بنية لا تفعلين فإنى رأيت رسول الله ص يشير إلى بكفه ويقول يا على إلينا فإن ما عندنا هو خير لك

وروى أن أمير المؤمنين ع سهر في الليلة التي قتل في صبيحتها ولم يخرج لصلاة الليل على عادته فقالت له ابنته أم كلثوم ما هذا الذي أسهرك فقال إنني مقتول لو قد أصبحت وأتاه ابن النباح فأذنه بالصلاة فمشى غير بعيد ثم رجع فقالت له أم كلثوم مر جعدة فليصل قال نعم مروا جعدة ليصلي ثم قال لا مفر من الأجل فخرج إلى المسجد فإذا هو بالرجل قد سهر ليله كلها يرصده فلما برد السحر نام فحركه أمير المؤمنين ع برجله وقال له الصلاة فقام إليه فضربه

وروى في حديث آخر أن أمير المؤمنين ع سهر في تلك الليلة وأكثر الخروج

ص: ١٣٦

والنظر إلى السماء وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التي وعدت بها ثم يعاود مضجعه فلما طلع الفجر شد إزاره وهو يقول

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا ييكاولا تجزع من الموت إذا حل بواديك

فلما خرج إلى صحن الدار استقبلته الإوز فصحن في وجهه فجعلوا يطردوهن فقال دعوهن فإنهن صوايح تتبعها نوائح ثم خرج فأصيب ع

وروى أن أمير المؤمنين ع لما حضرته الوفاة قال للحسن والحسين ع إذا أنا مت فاحملاني على سرير ثم أخرجاني واحملا مؤخر السرير فإنكما تكفيا مقدمه ثم أتيا بي الغريين فإنكما ستريان صخرة بيضاء فاحتفروا فيها فإنكما تجدان فيها شيئا فادفناني فيه قال فلما مات أخرجنا وجعلنا نحمل بمؤخر السرير ويكفي مقدمه وجعلنا نسمع دويًا وحفيفًا حتى أتينا الغريين فإذا صخرة بيضاء تلمع نورا فاحتفروا فإذا ساحة مكتوب عليها مما ادخرها نوح لعلى بن أبى طالب ع فدفناه فيها وانصرفنا ونحن مسرورون بإكرام الله لأمر المؤمنين ع فلحقنا قوم من الشيعة لم يشهدوا الصلاة عليه فأخبرناهم بما جرى وإكرام الله لأمر المؤمنين ع فقالوا نحب أن نعين من أمره ما عاينتم فقلنا لهم إن الموضع قد عفى أثره بوصية منه ع فمضوا إليه فقالوا إنهم احتفروا فلم يروا شيئا

وقال الباقر ع دفن أمير المؤمنين ع بناحية الغريين ودفن قبل طلوع الفجر ودخل قبره الحسن والحسين ومحمد بنو علي ع وعبد الله بن جعفر رض

وروى أنه لما ضربه ابن ملجم عليه لعائن الله قال للحسن والحسين ع أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا ولا تأسفا على شيء منها زوى عنكما وقولا بالحق واعملوا للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونًا أوصيكما وجميع ولدى وأهلى ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم فإنني سمعت جدكما ص يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا تضيعوا بحضرتكم الله الله في جيرانكم فإنه وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننت أنه سيورثهم الله الله في القرآن

لا يسبقكم بالعمل به غيركم الله الله فى الصلاة فإنها عمود دينكم الله الله فى بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا الله الله فى الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم فى سبيل الله وعليكم بالتواصل والتبادل

ص: ١٣٧

وإياكم والتدابير والتقاطع لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن بى إلا قاتلى انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثل بالرجل فإنى سمعت رسول الله ص يقول إياكم والمثلة ولولبالكلب العقور

قال الشاعر فى أمر قطام التى استدعت ابن ملجم إلى قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع فلم أر مهرا ساقه دوسماحة كمهر قطام من فصيح وأعجم ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب على بالحسام المصمم فلا مهر أغلى من على وإن غلى ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم وروى أنه لما ضربه ابن ملجم قال ع أطعموه واسقوه وأحسنوا إيساره وإن أصبح فأنا ولى دمي إن شئت أ عفوا وإن شئت استقدت منه وإن أنا هلكت فبدا لكم أن تقتلوه فلا تمثلوا به

قال جعفر بن محمد الصادق ع لما قتل أمير المؤمنين ع قال صعصعة بن صوحان ألا من لى بنشرك يا أخيا ومن لى أن أبشك ما أرياطوتك خطوب دهر قد تولى كذاك خطوبه نشرا وطياو كانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال أبو الأسود الدؤلى فى مقتله ع وقيل لأروى بنت أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتينأ فى الشهر الحرام فجعتمونا بخير الناس طرا أجمعيناقتلتم خير من ركب المطايا وأكرمهم ومن ركب السفيناومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثنى والمبينإذا استقبلت وجه أبى حسين رأيت البدر راع الناظريناقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرهم حسبا ودينا قال حبيب بن عمرو دخلت على أمير المؤمنين ع فى مرضه الذى قبض فيه فحل عن جراحه فقلت يا أمير المؤمنين ما جرحك هذا بشيء وما بك من بأس فقال

ص: ١٣٨

يا حبيب أنا والله مفارقكم الساعة قال فبكيت عند ذلك وبكيت أم كلثوم وكانت قاعدة عنده فقال لها ما يبكيك يا بنية فقالت ذكرت يا أبت إنك تفارقنا الساعة فبكيت فقال لها يا بنية لا تبكين فوالله لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت قال حبيب فقلت له وما الذى ترى يا أمير المؤمنين قال يا حبيب أرى ملائكة السماوات والنبيين بعضهم فى أثر بعض وقوفا إلى يتلقونى وهذا أخى محمد رسول الله ص جالس عندى يقول اقدم فإن

أمامك خير لك مما أنت فيه قال فما خرجت من عنده حتى توفي ع فلما كان الغد وأصبح الحسن ع قام خطيبا على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس في هذه الليلة نزل القرآن وفي هذه الليلة رفع عيسى ابن مريم ع وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون وفي هذه الليلة قتل أبي أمير المؤمنين ع والله لا يسبق أبي أحد كان قبله من الأوصياء إلى الجنة ولا من يكون بعده وكان رسول الله ص ليعنه في السرية فيقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يجمعها ليشتري بها خادما لأهله

وكانت إمامة أمير المؤمنين ع بعد النبي ص ثلاثين سنة منها أربع وعشرون سنة وأشهر ممنوعا من التصرف مستعملا للتقية والمداراة ومنها خمس سنين وأشهر ممتحنا بجهاد الناكثين والقاسطين والمارقين. والنبي ص كان بمكة كذلك ممنوعا ثم هاجر فتمكن من الجهاد لأعدائه وكانت سن أمير المؤمنين ثلاثا وستين سنة ولم يزك قبره ع مخفيا بوصية منه لما علم من دولة بني أمية من بعده واعتقادهم عداوته حتى دخل عليه الصادق ع في الدولة العباسية فعرفته الشيعة واستأنفوا إدراك زيارته ع

مجلس في ذكر ما يدل على إيمان أبي طالب وفاطمة بنت أسد

قال الله تعالى الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ. اعلم أن الطائفة المحقة قد اجتمعت على أن أبا طالب وعبد الله بن عبد المطلب وآمنة

ص: ١٣٩

بنت وهب كانوا مؤمنين وإجماعهم حجة على ما ذكر في غير موضع. وأيضا فقد ظهر واشتهر عن أبي طالب من الموالاتة لرسول الله ص والمحبة والنصرة وذلك ظاهر شائع ذائع لا ينكره إلا جاهل غبي ليس له علم بالسير

وقد روى عن النبي ص أنه قال بعد دعاء الاستسقاء لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من منكم يحفظ شعره

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

وروى أنه سئل النبي ص أين كنت وآدم في الجنة قال كنت في صلبه وهبط بي إلى الأرض في صلبه وركبت السفينة في صلب أبي نوح وقذف بي النار في صلب أبي إبراهيم لم يلتق لي أبوان على سفاح قط لم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة هاديا مهديا حتى أخذ الله بالنبوة عهدي وبالإسلام ميثاقى وبين كل شيء من صفتي وأثبت في التوراة والإنجيل ذكرى ورقى بي إلى السماء وشق لي اسما من أسمائه أمتي الحامدون فذوالعرش محمود وأنا محمد

وهذا الخبر يدل على أن أبويه كانا مؤمنين .

وروى عن النبي ص أنه هبط جبرئيل وقال يا محمد إن الله تعالى حرم النار على ثلاثة صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك

وذلك يدل على قولنا .

قال ابن عباس عن أبيه قال أبوطالب للنبي ص يا ابن أخ الله أرسلك قال نعم قال فأرني آية فادع لى تلك الشجرة فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم انصرفت فقال أبوطالب أشهد أنك صادق يا على صل جناح ابن عمك

وسأل رجل عبد الله بن عباس فقال له يا ابن عم رسول الله أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلما قال وكيف لم يكن مسلما وهو القائل

وقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

إن أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم أجرهم مرتين .

وقال الصادق ع إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف حين كنتموا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم أجرهم مرتين

وقال أبو عبد الله الصادق ع لما حضرت أبا طالب رضى الله عنه الوفاة جمع

ص: ١٤٠

وجوه قريش فأوصاهم فقال يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وأنتم خزنة الله فى أرضه وأهل حرمه فيكم السيد المطاع الطويل الذراع وفيكم المقدم الشجاع الواسع الباع اعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المفاخرة نصيبا إلا حزنتموه ولا شرفا إلا أدركتموه فلكم على الناس بذلك الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب إنى موصيكم بوصية فاحفظوها أوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن فيها مرضاة الرب وقواما للمعاش وثبوتا للوطأة وصلوا أرحامكم ففى صلتها منسأة فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا العقوق والبغى ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعى وأعطوا السائل فإن فيهما شرفا للحياة والممات عليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما نفيا للتهمة وجلالة فى الأعين أقلوا الخلاف على الناس وتفضلوا عليهم بالمعروف فإن فيهما محبة للخاصة ومكرمة للعامة وقوة لأهل البيت وإنى أوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمير فى قريش والصديق فى العرب وهو جامع لهذه الخصال التى أوصيكم بها وقد جاءكم بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنثان وإيم الله لكأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل العز فى الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رءوس قريش وصناديدها أذنانا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم لديه قد محضته العرب ودادها وصفت له بلادها وأعطته قيادها فدونكم يا معشر قريش

ابن أبيكم وأمكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد ولو كان لنفسى مدة وفى أجلى تأخير لكفيتها الكوافى ولدفعت عنه الدواهى غير أنى أشهد شهادته وأعظم مقالته

وقال ابن عباس مر أبوطالب ومعه جعفر ابنه برسول الله ص وهو فى المسجد الحرام يصلى صلاة الظهر وعلى ع عن يمينه فقال أبوطالب لجعفر صل جناح ابن عمك فتقدم جعفر وتأخر على واصطفا خلف رسول الله ص حتى قضى الصلاة وفى ذلك يقول أبوطالب

إن عليا وجعفرأ ثقتى عند ملم الزمان والتوبأجعلهما عرضة العداء إذا أترك ميتا وأنتمى إلى حسبى لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخی لأمى من بينهم وأبى

ص: ١٤١

والله لا أخذل النبى ولا يخذله من بنى ذوحسب إن أبا معتب قد أسلمنا ليس أبومعتب بذى نسب

وقال أيضا

ليعلم خير الناس أن محمدا رسول كموسى والمسيح ابن مريم أتى بالهدى مثل الذى أتيا به فكل يحمد الله يهدى ويعصم وإنكم تتلون فى كتابكم بصدق حديث لا حديث المجمع فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا فإن طريق الحق ليس بمظلم

ومما يدل على توحيدة قوله .

مليك الناس ليس له شريك هو الوهاب والمبدئ المعيد ومن فوق السماء له بحق ومن تحت السماء له عبيد فأقر بالتوحيد وخلع الأنداد من دونه وأنه يعيد بعد الابتداء وينشئ خلقه نشأة أخرى وبهذا المعنى فارق المسلمون أهل الجاهلية. وقال رضى الله عنه وقد حضرته الوفاة

أوصى بنصر النبى الخير مشهده عليا ابنى وشيخ القوم عباسا وحزمة الأسد الحامى حقيقته وجعفرأ أن يذودوا دونه البأسا كونوا فداء لكم أمى وما ولدت فى نصر أحمد دون الناس أتراسا

وقال أيضا

أ لم تعلموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل وأبيض يستسقى الأنام بوجهه شمال اليتامى عصمة للأرامل يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفواضل كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ولما نطأ عن دونه وثقاتل ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال أيضا

يقولون لى دع نصر من جاء بالهدى وغالب لنا غالب كل مغالب وسلم إلينا أحمد واكفلن لنا بنينا ولا تحفل بقول المعاتب فقلت لهم الله ربى وناصرى على كل باغ من لوى بن غالب

ص: ١٤٢

وكل هذه الأبيات تدل على إيمانه رضى الله عنه فمن تأملها وكل من تفكر فيها علم ما قلناه

وقال ابن عباس رضى الله عنهما أقبل على بن أبى طالب ذات يوم إلى النبى ص باكيا وهو يقول إنا لله وإنا إليه راجعون فقال له رسول الله مه يا على فقال ماتت أمى فاطمة فبكى النبى ص ثم قال رحم الله أمك يا على أما إنها إن كانت لك أما فقد كانت لى أما خذ عمامتى هذه وخذ ثوبى هذين فكفنها فيهما ومر النساء فليحسن غسلها ولا تخرجها حتى أجيء فإلى أمرها قال وأقبل النبى ص بعد ساعة وأخرجت فاطمة أم على ع فصلى عليها النبى صلاة لم يصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة ثم كبر عليها أربعين تكبيرة ثم دخل القبر فتمدد فيه فلم يسمع له أنين ولا حركة ثم قال يا على ادخل يا حسن ادخل فدخل القبر فلما فرغ مما احتاج إليه قال له يا على اخرج يا حسن اخرج فخرج فخرجنا ثم زحف النبى حتى صار عند رأسها ثم قال يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم ولا فخر فإن أتاك منكر ونكير فسألاك ممن ربك فقولى الله ربى ومحمد نبى والإسلام دينى والقرآن كتابى وابنى إمامى وولوى ثم قال اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت ثم ضرب بيده اليمنى على اليسرى فنفضهما ثم قال والذى نفس محمد بيده لقد سمعت فاطمة تصفق يمينى على شمالى فقام إليه عمار بن ياسر فقال فداك أبى وأمى يا رسول الله لقد صليت عليها صلاة لم تصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة فقال يا أبا اليقظان وهل ذلك هى منى لقد كان لها من أبى طالب ولد كثير ولقد كان خيرهم كثيرا وكان خيرنا قليلا وكانت تشبعنى وتجيهم وتكسونى وتعريهم وتدهننى وتشعثهم قال فلم كبرت عليها أربعين تكبيرة يا رسول الله قال نعم يا عمار التفت إلى يمينى ونظرت أربعين صفا من الملائكة فكبرت لكل صف تكبيرة قال فتمددك فى القبر ولم يسمع لك أنين ولا حركة قال إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة فلم أزل أطلب إلى ربى أن يبعثها ستيرة والذى نفسى بيده ما خرجت من قبرها حتى رأيت مصباحين من نور عند يديها ومصباحين من نور عند رجليها وملكيها الموكلين بقبرها يستغفران لها إلى أن تقوم الساعة

وروى فى خبر آخر طويل أن النبى ص قال يا عمار إن الملائكة قد ملأت الأفق وفتح لها باب من الجنة ومهد لها مهادا من مهاد الجنة وبعث إليها بريحان من رياحين

ص: ١٤٣

الجنة فهى روح وريحان وجنة نعيم وقبرها روضة من رياض الجنة

وقد ذكرنا فى باب مولد النبى ص ومبعثه ما يدل على إيمان أبى طالب فمن أراد فليلتبس منه إن شاء الله

مجلس فى ذكر مولد سيدة النساء فاطمة الزهراء ص

اعلم أن فاطمة الزهراء ولدت بعد النبوة بخمس سنين وبعد الإسراء بثلاث سنين وأقامت مع رسول الله ص بمكة ثمان سنين ثم هاجرت مع رسول الله ص إلى المدينة فزوجها من علي بن أبي طالب ع بعد مقدمهم المدينة بسنة والأصح ستة أشهر وقبض النبي ولفاطمة ع يومئذ ثمانى عشرة سنة وعاشت بعد أبيها اثنين وسبعين يوما

قال المفضل بن عمر قلت لأبي عبد الله الصادق ع كيف كان ولادة فاطمة ع قال نعم إن خديجة لما تزوج بها رسول الله ص هجرها نسوة مكة وكن لا يدخلن إليها ولا يسلمن عليها ويمنعن امرأة أرادت أن تدخل إليها فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمها حذرا عليه فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة ع تحدثها من بطنها وتصبرها وكانت تكتم ذلك من رسول الله ص فدخل رسول الله يوم ما فاطمة ع فقال لها يا خديجة من تحدثين قالت الجنين الذى فى بطنى يحدثنى ويؤنسنى قال يا خديجة هذا جبرئيل ع يبشرنى أنها ابنتى وأنها النسلة الطاهرة الميمونة وأن الله تعالى سيجعل نسلى منها وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاء فى أرضه بعد انقضاء وحيه فلم تزل خديجة على ذلك إلى أن حضرت ولادتها فوجهت إلى نساء قريش وبنى هاشم أن تعالين لتلين منى ما تلى النساء من النساء فأرسلن إليها عصيتنا ولم تقبلى قولنا وتزوجت محمدا يتيم أبى طالب فقيرا لا مال له فلسنا نجىء ولا نلى من أمرك شيئا فاغتمت خديجة لذلك فبينما هى كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بنى هاشم ففزعت منهن لما رأتهن فقالت إحداهن لا تحزنى يا خديجة فإننا رسل

ص: ١٤٤

ربك ونحن أخواتك أنا سارة وهذه آسية بنت مزاحم وهى رفيقتك فى الجنة وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران بعثنا الله إليك لنلى منك ما تلى النساء من النساء فجلست واحدة عن يمينها وأخرى عن يسارها والثالثة بين يديها والرابعة من خلفها فوضعت فاطمة ع طاهرة مطهرة فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى علا بيوتات مكة ولم يبق فى شرق الأرض ولا فى غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور ودخلن عشرة من الحور العين كل واحدة منهن معها طشت من الجنة وإبريق من الجنة وفى الإبريق ماء من الكوثر فتناولتها المرأة التى كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر فأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضا من اللبن وأطيب ريحا من المسك والعنبر فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية ثم استنطقتها فنطقت فاطمة ع بالشهادتين قالت أشهد أن لا إله إلا الله وأن أبى رسول الله سيد الأنبياء وأن بعلى سيد الأوصياء وولدى سادة الأسباط ثم سلمت عليهن وسمت كل واحدة باسمها وأقبلن يضحكن إليها وتباشرت الحور العين وبشر أهل السماء بعضهم بعضا بولادة فاطمة ع وحدث فى السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك وقالت النسوة خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة بورك فيها وفى نسلها فتناولتها فرحة مستبشرة وألقمتها ثديها فدر عليها فكانت فاطمة ع تتموفى اليوم كما ينمى الصبى فى الشهر وتنموفى الشهر كما ينمى الصبى فى السنة

وأنشد

يا نفس إن تتلقى صبرا فقد ظلمت بنت النبي رسول الله وابناها فتلك التي أحمد المختار والدها وجبرئيل أمين
الله رباها الله طهرها من كل فاحشة وكل ريب وصفها وزكاها

مجلس فى ذكر تزويج فاطمة ع

قال أمير المؤمنين ع لقد هممت بتزويج فاطمة ابنة محمد ع حيناً ولم أتجرأ أن أذكر للنبي ص وإن ذلك
يختلج فى صدرى ليلى ونهارى حتى دخلت على

ص: ١٤٥

رسول الله ص فقال يا على قلت لبيك يا رسول الله قال هل لك فى التزويج قلت رسول الله أعلم وإذا هو يريد
أن يزوجنى بعض نساء قريش وإنى لخائف على فوت فاطمة فما شعرت بشيء إذ أتانى رسول رسول الله
فقال لى أجب النبى وأسرع فما رأينا رسول الله أشد فرحاً منه اليوم قال فأتيته مسرعاً فإذا هو فى حجرة أم
سلمة فلما نظر إلى تهلل وجهه وتبسم حتى نظرت إلى بياض أسنانه تبرق فقال أبشر يا على فإن الله تعالى قد
كفانى ما كان من همى من أمر تزويجك قلت وكيف ذلك يا رسول الله قال أتانى جبرئيل ع ومعه من سنبل
الجنة وقرنفلها فناولنيهما فأخذتهما فشمتتهما فقلت ما سبب هذا السنبل والقرنفل فقال إن الله تعالى أمر سكان
الجنة من الملائكة ومن فيها أن يزينا الجنان كلها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها وأمر ريحها فهبت
بأنواع العطر والطيب وأمر حور عينها بالقراءة فيها سورة طه وطواسين ويس وحم عسق ثم نادى مناد من
تحت العرش ألا إن اليوم يوم وليمة على بن أبى طالب ألا إنى أشهدكم أنى قد زوجت فاطمة بنت محمد من
على بن أبى طالب رضى منى بعضهما لبعض ثم بعث الله تبارك وتعالى سحاباً بيضاء فغطت من لؤلؤها
وزبرجدها ويواقيتها وقامت الملائكة فنثرت من سنبل الجنة وقرنفلها هذا مما نثرت الملائكة ثم أمر الله تبارك
وتعالى ملكاً من ملائكة الجنة يقال له راحيل فليس فى الملائكة أبلغ منه فقال اخطب يا راحيل فخطب خطبة
لم يسمع بمثلها أهل السماء ولا أهل الأرض ثم نادى مناد ألا يا ملائكتى وسكان جنتى باركوا على بن أبى
طالب حبيب محمد وفاطمة بنت محمد فقد باركت عليهما ألا إنى زوجت أحب النساء إلى من أحب الرجال
إلى بعد النبيين والمرسلين فقال راحيل الملك يا رب وما بركتك فيهما بأكثر مما رأينا لهما فى جناتك
ودارك فقال عز وجل إن من بركتى عليهما أنى أجمعهما على محبتى وأجعلهما حجة على خلقى وعزتى
وجلالى لأخلقن منهما خلقاً ولأنشئن فيهما ذرية أجعلهم خزانى فى أرضى ومعادن لعلمى ودعاة إلى دينى بهم
أحتج على خلقى بعد النبيين والمرسلين فأبشر يا على فإن الله تعالى أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحداً وقد
زوجتك ابنتى فاطمة على ما زوجك الرحمن وقد رضيت بما رضى الله لها فدونك أهلك فإنك أحق بها
منى ولقد أخبرنى جبرئيل ع أن الجنة مشتاقة إليكما ولولا أن الله عز وجل قدر أن يخرج منكما ما يتخذ
على الخلق حجة لأجاب فيكما الجنة وأهلها فنعم الأخ أنت ونعم الختن أنت ونعم الصاحب أنت وكفاك
برضى الله رضا قال على ع فقلت يا رسول الله بلغ

ص: ١٤٦

من قدرى حتى أنى ذكرت فى الجنة وزوجنى الله فى ملائكته فقال ص إن الله تعالى إذا أكرم وليه وأحبه أكرمه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت فاختر الله لك يا على فقال ع رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على فقال رسول الله ص آمين

وقال الحسين بن على ع لما زوج فاطمة عليها على أربعمئة وثمانين درهما فأمره النبى ص أن يجعل ثلثيها فى العطر وثلثا فى الثياب فدخل بهما وما لهما فراش إلا فروة أضحية رسول الله ص ووسادة من آدم حشوها ليف

وقال موسى بن جعفر ع بينا رسول الله ص جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجها فقال له رسول الله حبيبى جبرئيل لم أرك فى مثل هذه الصورة فقال الملك لست بجبرئيل أنا محمود بعثنى الله تعالى أن أزوج النور من النور قال من ومن قال فاطمة من على فلما ولى الملك إذا بين كتفيه محمد رسول الله على وصيه فقال رسول الله منذ كم كتب هذا بين كتفيك فقال من قبل أن يخلق الله عز وجل آدم باثنين وعشرين ألف سنة وقال أمير المؤمنين ع دخلت أم أيمن على النبى وفى ملحفتها شىء فقال لها رسول الله ص ما معك يا أم أيمن فقالت إن فلانة أملكوها فنثروا عليها فأخذت من نثارها ثم بكت أم أيمن وقالت يا رسول الله فاطمة زوجتها ولم تنثر عليها شيئا فقال رسول الله ص يا أم أيمن لم تكذبين فإن الله تعالى لما زوج فاطمة عليا أمر أشجار الجنة أن تنثر عليهم من حلبيها وحللها ويقوتها ودرها وزمردها وإستبرقها فأخذوا منها ما لا يعلمون وقد نحل الله طوبى فى مهر فاطمة فجعلها فى منزل على

قال رسول الله ص أتانى ملك فقال يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول قد زوجت فاطمة من على فزوجها منه وقد أمر شجرة طوبى تحمل الدر والياقوت والمرجان وإن أهل السماء قد فرحوا لذلك وسيولد لها ولدان سيدا شباب أهل الجنة وبهم يتزين أهل الجنة فأبشر يا محمد فإنك خير الأولين والآخرين

وقال رسول الله ص لولم يخلق الله على بن أبى طالب لما كان لفاطمة كفو

وروى أنه جهز رسول الله ص فاطمة ع فى حبل وقرية ووسادة حشوها إذر

وقيل لرسول الله ص قد علمنا مهر فاطمة فى الأرض فما مهرها فى السماء فقال

ص: ١٤٧

سل ما يعينك ودع ما لا يعينك قيل هذا مما يعيننا يا رسول الله قال كان مهرها فى السماء خمس الأرض فمن مشى عليها مبغضا لها أولولدها مشى عليها حراما إلى أن تقوم الساعة

قال ابن عباس لما كانت الليلة التى زفت فاطمة كان رسول الله قدامها وجبرئيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها وسبعون ألف ملك ع عن خلفها يسبحون ويقدمون حتى طلع الفجر. وأنشد

سلام على الطهر الزكية فاطم سلام على أولادها الأنجم الزهر

خطبة النبي لما أراد تزويج فاطمة من علي ع

الحمد لله المحمود بنعته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه المرغوب فيما عنده النافذ أمره في سمائه وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ثم إن الله تعالى جعل المصاهرة نسبا للاحقا وأمرنا مفترضا وشج به الأرحام وألزمه الأنام قال الله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا أمر الله يجرى إلى قضائه وقضاؤه يجرى إلى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم إن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب وقد زوجتها إياه على أربعمئة مثقال فضة إن رضى بذلك علي وكان علي بعته في حاجة ثم إنه ص دعا بطبق من تمر فوضعه بين أيدينا ثم قال انتهبوا فبينما نحن ننتهب إذ دخل علي ع فتبسم النبي ص في وجهه ثم قال يا علي إن ربي عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة وقد زوجتك إياها على أربعمئة مثقال فضة إن رضيت يا علي قال رضيت يا رسول الله ثم إن عليا خر ساجدا شكرا لله تعالى فلما رفع رأسه قال النبي ص بارك الله عليكم وبارك فيكما وأسعد جدكما وأخرج منكم الكثير الطيب

ص: ١٤٨

وروى أن مهر فاطمة ع خمسمئة درهم

وهو أصح من جميع ما ذكرنا وأولى. وأنشد

قالت فمن بات فوق الفراش فدى فقلت أثبت خلق الله في الوهل قالت فمن زوج الزهراء فاطمة فقلت أفضل ما حاف ومتعل

مجلس في ذكر مناقب فاطمة ع

قال أبو عبد الله ع في قوله تعالى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ قال علي وفاطمة بحران من العلم عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين ع

قال رسول الله ص لما خلق الله الجنة خلقها من نور عرشه ثم أخذ من ذلك النور فقذفه فأصابني ثلث النور وأصاب فاطمة ثلث النور وأصاب عليا وأهل ولايته ثلث النور فمن أصابه من ذلك النور اهتدى إلى ولاية آل محمد ومن لم يصبه من ذلك النور ضل عن ولاية آل محمد ص

وقال أبو عبد الله ع لفاطمة ع تسعة أسماء عند الله عز وجل فاطمة والصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضية والمحدثه والزهراء ثم قال ع تدرى أى شيء تفسير فاطمة قال فطمت من الشر ثم قال لولا أن أمير المؤمنين ع تزوجها لما كان لها كفوالى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فما دونه

وقال رسول الله ص إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنة مدبجة الجنين خطامها من لؤلؤ رطب قوائمها من زمرد أخضر ذنبها من المسك الأذفر عيناها ياقوتتان حمران عليها قبة من نور يرى

ظاھرھا من باطنھا وباطنھا من ظاھرھا داخلھا عفواللھ خارجھا رحمۃ اللھ علی رأسھا تاج من نور للتاج سبعون ركنًا كل ركن مرصع بالدر والياقوت يضيء كما يضيء الكوكب الدرّی فی أفق السماء وعن يمينها سبعون ألف ملك وعن شمالها سبعون ألف ملك وجبرئیل أخذ بخطام الناقة ينادی

ص: ١٤٩

بأعلى صوته غصوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد فلا يبقى يومئذ نبي ولا مرسل ولا صديق ولا شهيد إلا غصوا أبصارهم حتى تجوز فاطمة فتسير حتى تحاذي عرش ربها تعالى وتزخ بنفسها عن ناقتها وتقول إلهي وسيدى احكم بيني وبين من ظلمنى اللهم احكم بيني وبين من قتل ولدى فإذا النداء من قبل الله يا حبيبتى وابنة حبيبى سلينى تعطى واشفعى فتشفعى فوعزتى وجلالى لا جاز فى ظلم ظالم فتقول إلهي وسيدى ذريتى وشيعتى وشيعة ذريتى ومحبى ومحب ذريتى فإذا النداء من قبل الله تعالى أين ذرية فاطمة وشيعتها ومحبوها ومحبو ذريتها فيقبلون وقد أحاط بهم ملائكة الرحمة فتقدمهم فاطمة ع حتى تدخلهم الجنة وقيل لأبى عبد الله ع قول رسول الله ص فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وآسية سيدة نساء عالمها قال ذاك لمريم وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين

وقال رسول الله ص يا فاطمة إن الله تعالى ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك

وروى أن سندل جاء إلى جعفر بن محمد الصادق ع فقال يا أبا عبد الله إن هؤلاء الشباب يحدثونا عنك بأحاديث منكرة قال له جعفر ما ذاك يا سندل قال جاءنا عنك أنك حدثتهم أن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها قال جعفر ع يا سندل أ لستم رويتم فيما تروون أن الله تعالى يغضب لغضب عبده المؤمن ويرضى لرضاه قال بلى قال فما تنكر أن تكون فاطمة ع مؤمنة يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها قال سندل الله أعلم حيث يجعل رسالته

وروى أن النبى ص سئل ما البتول فإنا سمعناك يا رسول الله تقول إن مريم بتول وفاطمة بتول فقال البتول التى لم تر حمرة قط ولم تحض فإن الحيض مكروه فى بنات الأنبياء

قال النبى ص لما عرج بى إلى السماء أخذ بيدى جبرئيل فأدخلنى الجنة فناولنى من رطبها فأكلتها فتحول ذلك نطفة فى صلبى فلما هبطت إلى الأرض وقعت خديجة فحملت بفاطمة وفاطمة حوراء إنسية فلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتى

وقال أيضا ص فاطمة سيدة العالمين من الأولين والآخرين وإنها لتقوم فى محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من المقربين وينادونها بما نادى به الملائكة مريم فيقولون يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرک واصطفاك على نساء العالمين ثم التفت إلى على

ص: ١٥٠

فقال يا على إن فاطمة بضعة منى وهى نور عيني وثمره فؤادى يسوءنى ما ساءها ويسرنى ما سرها وإنها أول من يلحقنى من أهل بيتى فأحسن إليها بعدى

قال الشاعر

ولما قضت فاطم الزهراء غسلها عن أمرها بعلها الهادى وسبطاها و قام حتى أتى بطن البقيع بها فصلى عليها على ثم واراها ولم يصل عليها منهم أحد حاشا لها من صلاة ثم واراها حتى إذا أصبح القوم الغداة أتوا بعل البتول ولم يدروا بمنواها قالوا له يا أبا السبطين ما فعلت بنت النبی فإننا قد فقدناها أجابهم لحقت بالمصطفى فملوا عليه غيظا وحقدا حين أخفاها

مجلس فى ذكر وفاة فاطمة ع

قالت عائشة أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله ص قال النبی مرحبا بابنتى فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثا فبكى ثم أسر إليها حديثا فضحكت فقلت لها حدثك رسول الله ص بحديث فبكيت ثم حدثك بحديث فضحكت فما رأيت كالיום أقرب فرحا من حزن من فرحك فقالت ما كنت لأفشى سر رسول الله ص حتى إنه إذا قبض سألتها فقالت أسر إلى فقال إن جبرئيل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة مرة وإنه عارضنى به العام مرتين ولا أرانى إلا وقد حضر أجلى وإنك أول أهل بيتى لحوقا بى ونعم السلف أنا لك فبكيت لذلك ثم قال أ لا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة أوسيدة نساء المؤمنين فضحكت لذلك

وروى أن فاطمة ع لا زالت بعد النبی معصبة الرأس ناحلة الجسم منهدة الركن من المصيبة بموت النبی ص وهى مهمومة مغمومة محزونة مكروية كئيبة حزينة باكية العين محترقة القلب يغشى عليها ساعة بعد ساعة فى كل ساعة وحين تذكره وتذكر الساعات التى كان يدخل فيها عليها فيعظم حزنها وتنتظر مرة إلى الحسن ومرة إلى الحسين وهما بين يديها ع فتقول أين أبوكما الذى كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة

ص: ١٥١

أين أبوكما الذى كان أشد الناس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على الأرض فإن الله وإننا إليه راجعون فقد والله جدكما وحبیب قلبى ولا أراه يفتح هذا الباب أبدا ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما ثم مرضت مرضا شديدا ومكنت أربعين ليلة فى مرضها إلى أن توفيت ص فلما نعت إليها نفسها دعت أم أيمن وأسماء بنت عميس ووجهت خلف على وأحضرتة فقالت يا ابن عم إنه قد نعت إلى نفسى وإننى لأرى ما بى لا أشك ألا إننى لاحقة بأبى ساعة بعد ساعة وأنا أوصيك بأشياء فى قلبى قال لها على ع أوصينى بما أحببت يا بنت رسول الله فجلس عند رأسها وأخرج من كان فى البيت ثم قالت يا ابن عم ما عهدتنى كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتتى فقال ع معاذ الله أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفا من الله أن أوبخك غدا بمخالفتى فقد عز على بمفارقتك وبفقدك إلا أنه أمر لا بد منه والله جدد على مصيبة رسول الله

ص وقد عظمت وفاتك وفقدك فإننا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وألمها وأمضها وأحزنها هذه والله مصيبة لا عزاء عنها ورزية لا خلف لها ثم بكيا جميعا ساعة وأخذ على رأسها وضماها إلى صدره ثم قال أوصيني بما شئت فإنك تجديني وفيما أمضى كل ما أمرتني به وأختار أمرك على أمري ثم قالت جزاك الله عني خير الجزاء يا ابن عم أوصيك أولا أن تتزوج بعدى بابتنة أمانة فإنها تكون لولدى مثلى فإن الرجال لا بد لهم من النساء قال فمن أجل ذلك قال أمير المؤمنين ع أربعة ليس إلى فراقهن سبيل بنت أمانة أوصتني بها فاطمة ثم قالت أوصيك يا ابن عم أن تتخذ لي نعشا فقد رأيت الملائكة صوروا صورته فقال لها صفيه إلى فوصفته فاتخذته لها فأول نعش عمل في وجه الأرض ذلك وما رأى أحد قبله ولا عمل أحد ثم قالت أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقى فإنهم أعدائي وأعداء رسول الله ص وأن لا يصلى على أحد منهم ولا من أتباعهم وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار ثم توفيت صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعليها وبنيتها فصاحت أهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بنى هاشم في دارها فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة أن تزعزع من صراخهن وهن يقلن يا سيدتاه يا بنت رسول الله وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى على ع وهو جالس والحسن والحسين ع بين يديه يبكيان

ص: ١٥٢

فبكى الناس لبكائهما وخرجت أم كلثوم وعليها برقعة وتجر ذيلها متجللة برداء عليها تسحبها وهي تقول يا أبتاه يا رسول الله الآن حقا فقدناك فقدنا لا لقاء بعده أبدا واجتمع الناس فجلسوا وهم يرجون وينظرون أن تخرج الجنازة فيصلون عليها وخرج أبوذر فقال انصرفوا فإن ابنة رسول الله ص قد أخر إخراجها في هذه العشية فقام الناس وانصرفوا فلما أن هدأت العيون ومضى من الليل أخرجها على والحسن والحسين ع وعمار والمقداد وعقيل والزبير وأبوذر وسلمان وبريدة ونفر من بنى هاشم وخواصه صلوا عليها ودفنوها في جوف الليل وسوى على حوالها قبورا مزورة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها

وقال بعضهم من الخواص قبرها سوى مع الأرض مستويا فمسحها مسحا سواء مع الأرض حتى لا يعرف أحد موضعه. وقالوا ليس قبرها بالبقيع إنما قبرها بين رسول الله ص ومنبره لا ببقيع الغرقد وتصحيح ذلك

قوله ع بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة

إنما أراد بهذا القول قبر فاطمة ع

وروى أن أمير المؤمنين ع قال عند دفن فاطمة ع السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك قل يا رسول الله عن صفيتك صبرى ورق عنها تجلدى إلا أن لى فى التأسى بعظم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز فلقد وسدتك فى ملحودة قبرك وفاضت بين نحرى وصدرى نفسك إنا لله وإنا إليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة أما حزنى فسرمد وأما ليلى فمسهد إلى أن يختار الله لى دارك التى أنت بها مقيم وستنبئك ابنتك فأحفظها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد

ولم يخل الذكر والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله به الصابرين

قال جابر سمعت رسول الله ص يقول لعلى بن أبى طالب قبل موته بثلاث سلام الله عليك يا أبا الريحانيتين أوصيك بريحانتي من الدنيا فعن قليل ينهد ركنك والله خليفتي عليك فلما قبض رسول الله ص فقال على هذا أحد ركني الذي قال لي رسول الله ص فلما ماتت فاطمة ع قال على هذا الركن الثاني الذي قال

ص: ١٥٣

رسول الله ص

قال الأصبع بن نباتة سئل أمير المؤمنين ع عن علة دفن فاطمة بنت رسول الله ص فقال ع إنها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرام على من يتولاها أن يصل على أحد من ولدها

قال عبد الرحمن الهمداني لما دفن على بن أبى طالب ع فاطمة ع قام على شفير القبر وذلك فى جوف الليل لأنه كان دفنها ليلاً فأنشأ يقول

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذى دون الفراق قليل وإن افتقدا فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتى ويحدث بعدى للخليل خليل

مجلس فى ذكر ولادة السبطين الحسن والحسين ع

ولد أبو محمد الحسن بن على ع بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وجاءت به فاطمة إلى النبی يوم السابع من مولده فى خرقة من حرير الجنة كان جبرئيل نزل بها إلى رسول الله فسماه حسنا وأقع عنه كبشا وولد أبو عبد الله الحسين بن على ع بالمدينة يوم الخميس أو يوما الثلاثاء لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة بعد أخيه بعشرة أشهر وعشرين يوما قالت أسماء بنت عميس قبلت فاطمة الحسن والحسين ع فلما ولد الحسن جاء النبی ص فقال يا أسماء هاتى بابنى فدفعته إليه فى خرقة صفراء فرمى بها النبی ص وقال يا أسماء أ لم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود فى خرقة صفراء فلفته فى خرقة بيضاء ودفعته إليه فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى اليسرى ثم قال لعلى أى شىء سميت ابنى فقال ما كنت لأسبقك باسمه وقد كنت أحب أن أسميه حربا فقال النبی ص وأنا لا أسبق باسمه ربى عز وجل ثم هبط جبرئيل فقال السلام عليك يا محمد العلى الأعلى يقرئك السلام ويقول على منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبى بعدك سم ابنك هذا باسم

ص: ١٥٤

ابن هارون قال النبی وما اسم ابن هارون يا جبرئيل قال شبر. قال النبی ص لسانى عربى قال سمه الحسن فسماه الحسن فلما كان اليوم السابع عى عنه النبی ص بكشين أملحين وأعطى القابلة فخذا وحلق رأسه

وتصدق بوزن الشعر ورقا وطلّى رأسه بالخلوق ثم قال يا أسماء الدم فعل الجاهلية فلما ولد الحسين بعده جاء نبي الله ص فقال يا أسماء هاتى ابني فدفعته إليه فى خرقة بيضاء فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى ووضعه فى حجره وبكى فقالت أسماء قلت فداك أبى وأمى مم بكاءك قال على ابني هذا قلت إنه ولد الساعة قال يا أسماء تقتله الفئة الباغية من بعدى لا أنالهم الله شفاعتى ثم قال يا أسماء لا تخبرى فاطمة بهذا فإنها قريبة ولادة ثم قال لعلّى أى شىء سميت ابني قال ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله وقد كنت أحب أن أسميه حربا فقال النبي ص وأنا لا أسبق باسمه ربي عز وجل ثم هبط جبرئيل فقال يا محمد العلى الأعلى يقرئك السلام ويقول لك على منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبى بعدك سم ابنك هذا باسم ابن هارون فقال ص وما اسم ابن هارون قال شبير قال النبي ص لسانى عربى قال جبرئيل ع سمه الحسين فسماه الحسين فلما كان يوم السابع عق عنه النبي ص بكشين أملحين وأعطى القابلة فخذها وحلق رأسه وتصدق بوزن الشعر ورقا وطلّى رأسه بالخلوق ثم قال يا أسماء الدم فعل الجاهلية

وروى مثل ذلك عن على بن الحسين ع

وقال الصادق ع أقبلت جيران أم أيمن إلى النبي ص فقالوا يا رسول الله إن أم أيمن لم تتم البارحة من البكاء لم تزل تبكى حتى أصبحت قال فبعث رسول الله إلى أم أيمن فجاءته فقال لها يا أم أيمن لا أبكى الله عينك إن جيرانك أتوني فأخبروني أنك لم تزالى الليل تبكين أجمع فلا أبكى الله عينك ما الذى أبكاك قالت يا رسول الله رأيت رؤيا عظيمة شديدة فلم أزل أبكى الليل أجمع فقال لها رسول الله فقصها على رسول الله فإن الله ورسوله أعلم فقالت يعظم على أن أتكلم بها فقال الرؤيا ليست على ما ترى فقصها على رسول الله قالت رأيت فى ليلتى هذه كان بعض أعضائك ملقى فى بيتي فقال رسول الله ص نامت عينك يا أم أيمن تلد فاطمة الحسين فتربيه وتلبيه فيكون بعض أعضائى فى بيتك فلما ولدت فاطمة الحسين ع

ص: ١٥٥

وكان يوم السابع أمر رسول الله ص فحلق رأسه وتصدق بوزن شعره فضة وعق عنه ثم هيأته أم أيمن ولفته فى برد رسول الله ثم أقبلت به إلى رسول الله فقال ص مرحبا بالحامل والمحمول هذا تأويل رؤياك

قالت صفية بنت عبد المطلب لما سقط الحسين من بطن أمه ع وكنت وليتها قال النبي يا عمة هلمى إلى ابني فقلت يا رسول الله إنا لم ننظفه فقال النبي ص أنت تنظفينه إن الله تعالى قد نظفه وطهره قالت فدفعته إلى النبي ص فوضع النبي لسانه فى فيه وأقبل الحسين على لسان رسول الله يمصه قالت فما كنت أحسب رسول الله يغذوه إلا لبنا أو عسلا فقبل النبي بين عينيه ثم دفعه إلى وهوبىكى ويقول لعن الله قوما هم قاتلوك يا بنى يقولها ثلاثا فقلت فداك أبى وأمى ومن يقتله قال الفئة الباغية من بنى أمية لعنهم الله

قال الباقر ع ختن رسول الله ص الحسن والحسين ع لسبع ليال وحلق رءوسهما وتصدق بوزنة الشعر فضة أو ذهباً وقد عق عنهما كبشا كبشا طبخهما جدولا قال يعنى أعضاء فتصدق وأكل وأطعم جيرانه

قال الصادق ع إن الحسين بن علي لما ولد أمر الله تعالى جبرئيل ع أن يهبط في ألف من الملائكة فيهنئ رسول الله ص من الله تعالى ومن جبرئيل قال فهبط جبرئيل فمر على جزيرة في البحر فيها ملك يقال له فطرس كان من الحملة بعثه الله تعالى في شيء فأبطأ عليه فكسر جناحيه وألقاه في تلك الجزيرة فعبد الله تعالى سبعمئة عام حتى ولد الحسين بن علي ع فقال الملك لجبرئيل يا جبرئيل أين تريد قال إن الله عز وجل أنعم على محمد نعمة فبعثت أهنئه من الله ومنى فقال يا جبرئيل احملني معك لعل محمدا يدعولي قال فحمله فلما دخل جبرئيل ع على النبي ص هنأه من الله عز وجل ومنه وأخبره بخبر فطرس فقال النبي ص قل له تمسح بهذا المولود وعد إلى مكانك قال فتمسح فطرس بالحسين ع فارتفع فقال يا رسول الله أما إن أمتك ستقتله وله على مكافأة لا يزوره زائر إلا أبلغته عنه ولا يسلم عليه مسلم إلا أبلغته سلامه ولا يصلى عليه مصل إلا أبلغته صلاته ثم ارتفع

وأنشد للحسين

خيرة الله من الخلق أبي ثم أمي فأنا ابن الخيرتين

ص: ١٥٦

فضة قد أخلصت من ذهب فأنا الفضة وابن الذهبين أمي الزهراء حقا وأبي وارث الرسل ومولى الثقلين عبد الله غلاما يافعا وقريش يعبدون الصنمين يعبدون اللات والعزى معا وأبي قام فضلى القبلتين مع رسول الله سبعا كملا ليس في الأرض مصل غير دين من له جد كجدي في الوري أو كشيخى فأنا ابن العلمين فأبي شمس وأمي قمر فأنا ابن الشمس وابن القمرين

وقيل

إليكم كل مكرمة تتول إذا ما قيل جدكم الرسول كفاكم من مديح الخلق طرا إذا ما قيل أمكم البتول

مجلس في ذكر إمامة السبطين ومناقبهما ع

قال الله تعالى في سورة آل عمران فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ. وقال تعالى في سورة هل أتى وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً. وقال في سورة الأحزاب إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً

وقال رسول الله ص الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا

وروى أن فاطمة أتت بابنيها الحسن والحسين إلى رسول الله ص قالت هذان ابناك فورثهما شيئا قال أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددى وأما الحسين فإن له جرأتى وجودى

ص: ١٥٧

وروى أن عليا وفاطمة والحسن والحسين ع أتوا إلى رسول الله ص كل يقول أنا أحب إلى رسول الله ص فأخذ ص فاطمة مما يلي بطنه وعليا مما يلي ظهره والحسن عن يمينه والحسين عن يساره ثم قال ص أنتم منى وأنا منكم

وقال ص الكلمات التى تلقى آدم فتاب الله عليه سأل به بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ص إلا ثبت على فتاب عليه

وقال ع من أراد أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليوال عليا بعدى وليعاد عدوه وليأتم بالأئمة الهداة من ولده فإنهم خلفائى وأوصيائى وحجج الله على الخلق بعدى وسادة أمتى وقادة الأتقياء حزبهم حزبى وحزبى حزب الله وحزب أعدائهم حزب الشيطان

وقال ص إذا كان يوم القيامة زين عرش رب العالمين بكل زينة ثم يؤتى بمنبرين من نور طولهما مائة ميل فيوضع أحدهما عن يمين العرش والآخر عن يسار العرش ثم يؤتى بالحسن والحسين ع يزين الرب تبارك وتعالى بهما عرشه كما تزين المرأة قرطبها

قيل لأبى عبد الله ع قول رسول الله ص الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة قال هما والله سيذا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين

وروى أن رجلا أتى ابن عمر فسأله عن دم البعوض فقال ممن أنت قال من أهل العراق قال انظروا إلى هذا يسألنى عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله ص وسمعت رسول الله ص يقول إنهما ريحانتى من الدنيا يعنى الحسن والحسين ع

وقال أمير المؤمنين ع أخذ رسول الله ص بيد الحسن والحسين ع فقال من أحب هذين وأبوهما وأمهما فإنه كان معى فى درجتى يوم القيامة قالت أم سلمة رضى الله عنها نزلت هذه الآية فى بيتى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا وفى البيت سبعة رسول الله ص وجبرئيل وميكائيل وعلى وفاطمة والحسن والحسين ع قالت وأنا على الباب قلت يا رسول الله أ لست من أهل البيت قال إنك من أزواج النبى ص وما قال إنك من أهل البيت

ص: ١٥٨

قال أمير المؤمنين ع هى لنا وفيها هذه الآية ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين

قال أيضا ع شكوت إلى رسول الله ص حسد الناس لى فقال أ ما ترضى أن تكون رابع أربع فأول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائنا وموالينا خلف أزواجنا وشيعتنا من وراءنا

وروى أبوهريرة قال نظر رسول الله إلى على وفاطمة والحسين ع فقال أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم

قال أبو عبد الله الصادق ع مرض النبي ص المرضة التي عوفى منها فعادته سيدة النساء ومعها الحسن والحسين ع وقد أخذت الحسن باليد اليمنى والحسين باليد اليسرى وهما يمشيان وفاطمة بينهما حتى دخلوا منزل عائشة فقعده الحسن على جانب رسول الله ص الأيمن والحسين على جانب رسول الله ص الأيسر فأقبلا يغمزان ما يليهما من بدن رسول الله ص فما أفاق النبي ص من نومه فقالت فاطمة للحسن والحسين حبيبي إن جدكما قد غشى فانصرفا ساعتكما هذه ودعاه حتى يفيق وترجعان إليه فقالا لسا ببارحين فى وقتنا هذا فاضطجع الحسن على عضد النبي الأيمن والحسين على عضده الأيسر فغفيا وانتبها قبل أن ينتبه النبي ص وقد كانت فاطمة لما ناما انصرفت إلى منزلها فقالا لعائشة ما فعلت أمتا قالت لما نمتما رجعت إلى منزلها فخرجا فى ليلة ظلماء مدلهمة ذات رعد وبرق وقد أرخت السماء عزاليها فسطع لهما نورا فلم يزالا يمشيان فى ذلك النور والحسن قابض بيده اليمنى على يد الحسين اليسرى وهما يتماشيان ويتحدثان حتى أتيا حديقة بنى النجار فلما بلغا الحديقة حارا فبقيا لا يعلمان أين يأخذان فقال الحسن للحسين إنا قد حرنا وبقينا على حالتنا هذه وما ندرى أين نسلك فلا علينا أن ننام فى وقتنا هذا حتى نصبح فقال له الحسين ع دونك أخى فافعل ما ترى فاضطجعا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وناما وانتبه النبي ص من نومته التى نامها وطلبهما فى منزل فاطمة فلم يكونا فيه فافتقدتهما فقام النبي ص قائما على رجليه وهو يقول يا إلهى وسيدى ومولائى هذان شبلاى خرجا من المخمصة والمجاعة اللهم أنت وكيلى عليهما فسطع للنبي ص نور فلم يزل يمضى فى ذلك النور حتى أتى حديقة بنى النجار فإذا هما نائمان قد اعتنق كل واحد منهما صاحبه وقد تقشطت السماء فوقهما كطبق فهى تمطر

ص: ١٥٩

كأشد مطر لم يراه الناس قط وقد منع الله عز وجل المطر منهما فى البقعة التى هما فيها نائمان لا تمطر عليهما قطرة وقد اكتنفتهم حية لها شعرات كآجام القصب وجناحان جناح غطت به الحسن وجناح قد غطت به الحسين فلما أن بصرهما النبي تنحنح فانسابت الحية وهى تقول اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكتك أن هذين شبلا نبىك قد حفظتهما عليه ودفعتهما إليه سالمين صحيحين فقال لها النبي ص أيتها الحية من أنت قالت أنا رسول الجن إليك قال وأى الجن قالت جن نصيبين نفر من بنى فليح نسينا آية من كتاب الله عز وجل فبعثونى إليك لتعلمنا ما نسينا من كتاب الله عز وجل فلما بلغت هذا الموضع سمعت مناديا ينادى أيتها الحية هذان شبلا رسول الله ص فاحفظيهما من العاهات والآفات ومن طوارق الليل والنهار فقد حفظتهما وسلمتهما إليك سالمين صحيحين وأخذت الحية الآية وانصرفت وأخذ النبي الحسن فوضعه على عاتقه الأيمن ووضع الحسين على عاتقه الأيسر وخرج على فلحق برسول الله فقال له بعض أصحابه بأبى أنت وأمى ادفع إلى أحد

شبلبيك أخفف عنك فقال امض فقد سمع الله كلامك وعرف مقامك وتلقاه آخر فقال بأبي أنت وأمي ادفع إلى أحد شبلبيك أخفف عنك فقال امض فقد سمع الله كلامك وعرف مقامك فتلقاه على ع فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ادفع إلى أحد شبلبي وشبلبيك حتى أخفف عنك فالتفت النبي إلى الحسن فقال يا حسن هل تمضي إلى كتف أبيك فقال له والله يا جداه إن كتفك لأحب إلى من كتف أبي ثم التفت إلى الحسين فقال يا حسين هل تمضي إلى كتف أبيك فقال والله يا جداه إنى أقول كما قال أخى إن كتفك لأحب إلى من كتف أبى فأقبل بهما إلى منزل فاطمة ع وقد ادخرت لهما تمرات فوضعتها بين أيديهما فأكلا وشبعا وفرحا

قالت أم سلمة كان النبي ص عندى وأتاه جبرئيل ع فكانا فى البيت يتحدثان إذ دق الباب الحسن بن على فخرجت أفتح له الباب فإذا الحسين معه فدخلا فلما أبصرا جدهما شبها جبرئيل بدحية الكلبي فجعلا يحفان به ويدوران حوله فقال جبرئيل ع يا رسول الله أ ما ترى الصبيين ما يفعلان فقال يشبهانك بدحية الكلبي فإنه كثيرا ما يتعاهدهما ويتحفهما إذا جاءنا فجعل جبرئيل يومى بيده كالمتناول شيئا فإذا بيده تفاحة وسفرجلة ورمانة فناول الحسن ثم أومى بيده مثل ذلك فناول الحسين ع

ص: ١٦٠

ففرحا وتهللت وجوههما وسعيا إلى جدهما ص فأخذ التفاحة والرمانة والسفرجلة فشمها ثم ردها إلى كل واحد منهما كهيئتهما ثم قال لهما صيرا إلى أمكما بما معكما وبدؤكما بأبيكما أعجب إلى فصارا كما أمرهما رسول الله ص فلم يأكلوا منها شيئا حتى صار إليهم فإذا التفاح وغيره على حاله فقال يا أبا الحسن ما لك لم تأكل ولم تطعم زوجتك وابنيك وحديث الحديث فأكل النبي وعلى وفاطمة والحسن والحسين ع وأطعموا أم سلمة فلم يزل الرمان والسفرجل والتفاح كلما أكل منه عاد إلى ما كان حتى قبض رسول الله ص قال الحسين فلم يلحقه التغيير والنقصان أيام فاطمة بنت رسول الله ص فلما توفيت ع فقدنا الرمان وبقي التفاح والسفرجل أيام أبى فلما استشهد أمير المؤمنين ع فقد السفرجل وبقي التفاح على هيئته عند الحسن حتى مات فى سمه ثم بقى التفاحة إلى الوقت الذى حوصرت عن الماء فكنت أشمها إذا عطشت فتكسر لهب عطشى فلما اشتد على العطش عضضتها وأيقنت بالفناء

قال على بن الحسين ع سمعته يقول ذلك قبل مقتله بساعة فلما قضى نجبه وجد ريحها من مصرعه فالتصت فلم ير لها أثر فبقى ريحها بعد الحسين ع ولقد زرت قبره فوجدت ريحها تفوح من قبره فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبر فليتمسك ذلك فى أوقات السحر فإنه يجده إذا كان مخلصا

قال الباقر ع فى قوله تعالى يُوفُونَ بِالْأَنذَرِ وَيَخَافُونَ قال مرض الحسن والحسين ع وهما صبيان صغار فعادهما رسول الله ص ومعه رجلان فقال أحدهما يا أبا الحسن لوندت فى ابنيك نذرا إن الله عافاهما فقال أصوم ثلاثة أيام شكرا لله تعالى وكذلك قالت فاطمة ع وقال الصبيان ونحن أيضا نصوم ثلاثة أيام وكذلك قالت جاريتهما فضة فألبسهما الله العافية فأصبحوا صياما وليس عندهم طعام فانطلق على ع إلى جدار له من اليهود يقال له شمعون يعالج الصوف فقال هل لك أن تعطينى جزء من صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصواع من

شعير قال نعم فأعطاه فجاء بالصوف والشعير وأخبر فاطمة ع فقبلت وأطاعت ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف ثم أخذ صاعا من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصا وصلى على مع النبي ص المغرب ثم أتى منزله فوضع الخوان وجلسوا خمستهم فأول

ص: ١٦١

لقمة كسرها على ع إذا مسكين قد وقف بالباب فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد أنا مسكين من مساكين المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة فوضع على اللقمة من يده ثم قال

فاطم ذات المجد واليقين يا بنت خير الناس أجمعين أ ما ترين البائس المسكين جاء إلى الباب له حنين يشكو إلى الله ويستكين يشكو إلينا جائع حزين كل امرئ بكسبه رهين من يفعل الخير يقف سمين موعده في جنة رهين حرماها الله على الضنين وصاحب البخل يقف حزين تهوى به النار إلى سجين شرابها الحميم والغسلين

فأقبلت فاطمة ع تقول

أمرك سمع يا ابن عم وطاعة ما بي من لوم ولا وضاعة غذيت باللب وبالبراعة أرجو إذا أشبعت من مجاعة أن ألحق الخيار والجماعة وأدخل الجنة في شفاعتي

وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين وباتوا جياعا وأصبحوا صياما لم يذوقوا إلا الماء القراح ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته ثم أخذت صاعا من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصا وصلى على المغرب مع النبي ص ثم أتى منزله فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها على إذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة فوضع على اللقمة من يده ثم قال

فاطم بنت السيد الكريم بنت نبي ليس بالزنيمة قد جاءنا الله بهذا اليتيم من يرحم اليوم فهو رحيم موعده في الجنة النعيم حرماها الله على اللثيم وصاحب البخل يقف ذميم تهوى به النار إلى الجحيم شرابه الصديد والحميم

ص: ١٦٢

فأقبلت فاطمة وهي تقول

فسوف أعطيه ولا أبالي وأوثر الله على عيالي أمسوا جياعا وهم أشبالي أصغرهم يقتل في القتال بكر بلائ يقتل باغتيال لقاتليه الويل مع وبال تهوى في النار إلى سفال مصفد اليدين بالأغلال كبوله زادت على الأكبال

ثم عمدت فاطمة إلى جميع ما فى الخوان وأعطته وباتوا جياعا لم يذوقوا إلا الماء القراح وأصبحوا صياما وعمدت فاطمة ع فغزلت الثلث الباقي من الصوف وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزت منه خمسة أقرص لكل واحد منهم قرصا وصلى المغرب مع النبى ع ثم أتى منزله فقرب إليه الخوان وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها على ع إذا أسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد تأسرونا وتشدوننا ولا تطعمونا فوضع على ع اللقمة من يده ثم قال

فاطم بنت النبى الأحمد بنت نبى سيد مسدد قد جاءك الأسير ليس يهدى مكبلا فى غله مقيد يشكو إلينا الجوع قد تقدد من يطعم اليوم يجده فى غد عند العلى الواحد الموحد ما يزرع الزارع سوف يحصد فأعطين لا تجعله ينكد حتى تجازى بالذى تنفذ

قال فأقبلت فاطمة ع تقول

لم يبق مما كان غير صاع قد دبرت كفى مع الذراعى شبلاى والله هما جياع يا رب لا تتركهما ضياع أبوهما للخير ذواصطناع عبل الذراعين طويل الباع وما على رأسى من قناع إلا عباء نسجها بصاع وعمدوا إلى ما كان على الخوان فأعطوه وباتوا جياعا وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شىء

قال شعيب فى حديثه وأقبل على بالحسن والحسين ع نحو

ص: ١٦٣

رسول الله ص وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع فلما بصر بهم النبى قال يا أبا الحسن شد ما يسوءنى ما أرى بكم انطلق إلى ابنتى فاطمة فانطلقوا وهى فى محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عينها فلما رآها رسول الله ص ضمها إليه فقال وا غوثاه بالله أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم فهبط جبرئيل ع فقال يا محمد خذ ما هنا الله لك فى أهل بيتك قال وما آخذ يا جبرئيل قال هل أتى على الإنسان حين من الدهر حتى بلغ إلى قوله إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا

وقال الحسن بن مهران فى حديثه فوثب النبى ص حتى دخل منزل فاطمة ع فرأى ما بهم فجمعهم ثم انكب عليهم يبكى ويقول أنتم منذ ثلاث فى ما أرى وأنا غافل عنكم فهبط جبرئيل ع بهذه الآيات إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا قال هى عين فى دار النبى تفجر إلى دور الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين والمؤمنين يوفون بالندى يعنى عليا وفاطمة والحسن والحسين ع وجاريتهم ويخافون يوما كان شره مستطيرا يقول عابسا كلوحا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا يقول شهوتهم الطعام وإيثارهم به مسكينا من مساكين المسلمين ويتيما من يتامى المساكين وأسيرا من أسارى المشركين ويقولون إذا أطعموهم إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قال والله ما قالوا لهم ذلك ولكنهم أضموهم فى أنفسهم فأخبر الله بإضمارهم يقولون لا نريد منكم جزاء تكافونا به ولا شكورا تتنون علينا به ولكننا إنما نطعمكم لوجه الله وطلب ثوابه قال الله تعالى فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً

فى الوجوه وسُرُوراً فى القلوب وجَزَاهُمْ بما صَبَرُوا جَنَّةً يَسْكُونُهَا وَحَرِيراً يَفْرَشُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ مُتَكَبِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ وَالْأَرِيكَ السَّرِيرِ عَلَيْهَا الْحِجْلَةُ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً

قال ابن عباس فبينما أهل الجنة فى الجنة إذ رأوا مثل الشمس قد أشرقت له الجنان فيقول أهل الجنة يا رب إنك قد قلت فى كتابك لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً فيرسل الله إليهم جبرئيل فيقول ليس هذه بشمس ولكنه على وفاطمة قد ضحكا فأشرقت الجنان من نور ضحكهما ونزلت هل أتى فيهم إلى قوله تعالى وكان سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً

وقد طعن فى هذه الأبيات وأنها ليست بصحيحة وأنها ملحنة مخلوقة قلت يجوز

ص: ١٦٤

أن يكون الغلط من الراوى لأنه معلوم أنهم فصحاء بلغاء لا يجرى اللحن على لسانهم ع. وهذا أيضا يوجب الثواب للحسن والحسين ع على عملهما مع ظاهر الطفولية فيهما ولم يكن ذلك لغيرهما لأن الله تعالى عمهما مع أبيهما وأمهما وأخبر بضميرهما

وقال ابن عباس فى قوله تعالى فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ قَالَ وقد وفد نجران على نبي الله ص وفيهم السيد والعاقب وأبوالحريث وهو عبد المسيح بن نونان أسقف نجران سادة أهل نجران فقالوا لم تذكر صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى ابن مريم تزعم أنه عبد الله قال أجل هو عبد الله قالوا فأرنا فيمن خلق الله عبدا مثله فأعرض النبي ص عنهم فنزل جبرئيل ع بقوله تعالى إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ إِلَى قَوْلِهِ فَجَعَلَ لُغْتَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ فقال لهم تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين قالوا نعم نلاعنك فخرج رسول الله ص فأخذ بيد على ومعه فاطمة والحسن والحسين ع فقال رسول الله هؤلاء أبناءنا ونساءنا وأنفسنا فهموا أن يلاعنوه ثم إن السيد قال لابن الحارث والعاقب ما تصنعون بملاعنة هذا لأنه إن كان كاذبا ما نصنع بملاعنته شيئا وإن كان صادقا لتهلكن فصالحوه على الجزية فقال رسول الله ص أما والذي نفسى بيده لولا عنونى ما حال الحول وبحضرتهم بشر قال الصادق ع إن الأسقف قال لهم إن غدا فجاء بولده وأهل بيته فاحذروا مباہلته وإن جاء بأصحابه فليس بشيء فعدا رسول الله ص آخذا بيد على والحسن والحسين بين يديه وفاطمة تتبعه وتقدم رسول الله ص فجثا لركبتيه فقال الأسقف جثا والله محمد كما تجثوا الأنبياء للمباہلة وكاع عن التقدم وكاع الكلب فى الرمل أى مشى على كوعه وقال رسول الله ص لولا عنونى يعنى النصارى لقطعت دابر كل نصرانى فى الدنيا

ويوم المباہلة يوم الرابع والعشرين من ذى الحجة ينبغي أن يغتسل الإنسان ويصلى

ص: ١٦٥

ركعتين يقرأ فيهما ويسبح ثم يجلس ويتشهد ويسلم ويستغفر الله سبعين مرة ثم يقوم ويرفع يديه ويرمى طرفه إلى السماء ويقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله الحمد لله رب العالمين وحده لا شريك له الحمد لله الذى ما فى السماوات والأرض الحمد لله الذى عرفنى ما كنت جهلته ولولا معرفته لكنت من الهالكين إذ قلت قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاً المودة فى القربى فبينت لنا القرابة وقلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً وبينت لنا أهل البيت ثم قلت فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا ونفُسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين اللهم فلك الحمد والشكر حيث هديتنى وأرشدتنى وبلغتنى حيث عرفتنى نساءهم وأولادهم ورجالهم. اللهم إنى أتقرب إليك بذلك المقام الذى لا يكون أعظم فضلاً منه للمؤمنين ولا أكثر رحمة لهم بمعرفتكم إياهم وإخراجهم من الشبهات فلولا ذلك المقام المحمود الذى أنقذتنا ودللنا إلى اتباع المحققين من أهل البيت وعتره نبيك ص لخصم أهل الإسلام وظهرت كلمة أهل الإلحاد وأولى العناد فلك الحمد ولك الشكر ولك المن على إنعامك وأياديك اللهم فصل على محمد وآل محمد الذين افترضت علينا طاعتهم وثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة واجز محمداً وآل محمد أفضل ما جزيته أحدنا من أنبيائك ورسلك وأدخلنا فى شفاعتهم دار كرامتك يا أرحم الراحمين. اللهم وأهل الكساء والعباء يوم المباهلة ومن دخل فيه من الإنس والملائكة اجعلهم شفعاى بحق ذلك المقام واغفر لنا وتب علينا برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم إنى أشهد أن أرواحهم وطينتهم واحدة وهم شجرة واحدة طاب أصلها وفرعها اللهم أنت أقمتهم حججا على خلقك ودلائل على ما استدل من وحدانيتك وباب المعجزات بعلمك الذى يعجز عنه غيرهم وأنت المتفضل بهم فجعلتهم مطهرين ثم أكرمتهم بنورك وأنزلت عليهم كتابك وأمرتنا بالتمسك بهم فارزقنا شفاعتهم حيث يقول الخائبون ما لنا من شافعين ولا صديق حميم ولا تفضلنا بعد إذ هديتنا يا أرحم الراحمين. اعلم أن الحسين ع كان يشبه النبى ص من صدره إلى رأسه والحسن يشبه النبى ص من صدره إلى رجليه وكانا ع حبيبي رسول الله ص من بين جميع أهله وولده

ص: ١٦٦

قال رسول الله ص اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من أحبهما

وقال ص من أحب الحسن والحسين أحببته ومن أحببته أحبه الله ومن أحبه الله أدخله الجنة ومن أبغضهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله ومن أبغضه الله خلدته النار

وقال رسول الله ص إن الحسن والحسين شفعاء العرش وإن الجنة قالت يا رب أسكنتنى الضعفاء والمساكين فقال الله سبحانه أ لا ترضين أنى زينت أركانك بالحسن والحسين فماست كما تميمس العروس فرحا

وقال على بن أبى طالب إن الحسن والحسين ع كانا يلعبان عند النبى ص حتى مضى عامة الليل ثم قال لهما انصرفا إلى أمكما فبرقت برقة فما زالت تضىء لهما حتى دخلا على فاطمة والنبي ع ينظر إلى البرق وقال الحمد لله الذى أكرمنا أهل البيت

قال الحسن ع لأصحابه إن الله تعالى مدينتين إحداهما بالشرق والأخرى بالمغرب فيهما خلق الله تعالى لم يهوما بمعصية له قط والله ما فيهما وبينهما حجة لله تعالى على خلقه غيرى وغير أخى الحسين

وقال الحسين ع فى يوم الطف لأصحاب ابن زياد لعنهم الله ما لكم تناصرون على أما والله لئن قتلتمونى لتقتلن حجة الله عليكم لا والله ما بين جابلقا وجابر سا ابن نبى احتج الله به عليكم غيرى

قال الشاعر

مطهرون نقيات ثيابهم تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا

أولئك الخمس لا أبغى بهم بدلا حتى يصير غراب البين كاللبن رسول ربى وسبطاه وابنته وخامس القوم مولائى أبوحسن على الله توكلت وبالخمس توصلت

وقال آخر

أنا مولى لخمسة أنزل فيهم السور أهل طه وهل أتى والحواميم والزمير

ص: ١٦٧

لنصرانى

عدى وتيم لا أحاول ذكرها بسوء ولكنى محب لهاشم وهل يعترينى فى على ورهطه إذا لم أخف فى الله لومة لائم يقولون ما بال النصارى تحبهم وأهل التقى من معرب وأعاجم فقلت لهم إنى لأحسب حبهم طواه إلهى فى قلوب البهائم

وقال آخر

إن كان حبى خمسة زكت بهم فرائضى وبغض من عاداهم رفضا فإنى رافضى

مجلس فى ذكر وفاة الحسن بن على ع

روى عن المغيرة أنه قال أرسل معاوية إلى جعدة زوجة الحسن ع بنت الأشعث أنى مزوجك بيزيد ابنى على أن تسمى الحسن وبعث إليها مائة ألف درهم ففعلت وسمت الحسن ع فسوغها المال ولم يزوجها من يزيد لعنه الله فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها فكان إذا وقع بينهم وبين بطون من قريش كلام عيروهم وقالوا يا بنى مسمة الأزواج قال عمير بن إسحاق كنت مع الحسن والحسين ع فى الدار فدخل الحسن ع المخرج ثم خرج فقال لقد سقيت السم مرارا ما سقيته مثل هذه المرة لقد لفظت قطعة من كبدى فجعلت أقلبها بعود معى فقال له الحسين ع ومن سقاك فقال وما تريد منه أ تريد أن تقتله إن يكن هو هو فالله أشد نقمة منك وإن لم يكن فما أحب أن يؤخذ بى برىء

وقال عبد الله بن إبراهيم المخارقى لما حضرت الحسن ع الوفاة استدعى الحسين وقال له يا أخى إنى مفارقك ولاحق برى وقد سقيت السم ورميت بكبدى فى الطشت وإنى لعارف بمن أسقانى السم ومن أين دهيته وأنا أخاصمه إلى الله عز وجل بحقى عليك أن تكلمت فى ذلك بشيء مما يحدث الله فى فإذا قضيت فغمضنى وغسلنى وكفننى واحملنى على سرير إلى قبر جدى رسول الله ص لأجدد به عهدا ثم ردى إلى قبر

ص: ١٦٨

جدتى فاطمة رضى الله عنها فادفنى هناك وستعلم يا ابن أم أن القوم يظنون أنكم تريدون دفنى عند رسول الله ص فيجلبون فى منعكم من ذلك وبالله أقسم عليك أن لا تهريق فى أمرى محجمة من دم ثم وصى إليه بأهله وولده وتركاته وما كان وصى به أمير المؤمنين حين استخلفه وأهله لمقامه ودل شيعته على استخلافه ونصبه لهم علما من بعده فلما مضى ع لسبيله غسله الحسين ع وكفنه وحمله على سريره ولم يشك مروان ومن معه من بنى أمية أنهم سيدفنونهم عند رسول الله ص فاجتمعوا ولبسوا السلاح فلما توجه به الحسين ع إلى قبر جده ص ليجدد به عهدا أقبلوا إليهم فى جمعهم ولحققتهم عائشة على بغل وهى تقول ما لى ولكم تريدون أن تدخلوا بيتى من لا أحب وجعل مروان يقول يا رب هيجا هى خير من دعه أ يدفن عثمان فى أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبى ص لا يكون ذلك أبدا وأنا أحمل السيف وكادت الفتنة تقع بين بنى هاشم وبين بنى أمية فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له ارجع يا مروان من حيث جئت فإنما ما نريد دفن صاحبنا عند رسول الله ص لكننا نريد أن نجدد به عهدا بزيارته ثم نرده إلى جدته فاطمة فندفنه عندها بوصيته ولو كان وصى بدفنه مع النبى ص لعلمت أنك أقصر باعا من ردنا عن ذلك لكنه ع كان أعلم بالله وبرسوله ص وبحرمته قبره من أن يطرق عليه هدا كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه ثم أقبل على عائشة وقال لها وا سواتاه يوما على بغل ويوما على جمل تريدان أن تطفئى نور الله وتقاتلى أولياء الله ارجعى فقد كفيت الذى تخافين وبلغت ما تحبين والله منتصر لأهل هذا البيت ولوبعد حين وقال الحسين ع والله لولا عهد الحسن إلى لحقن الدماء وأن لا أهرق فى أمره محجمة من دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا

ومضى بالحسن ع فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد رضى الله عنها وأسكنها جنات النعيم وكان مرضه ع أربعين يوما ومضى لسبيله فى آخر صفر سنة خمسين من الهجرة وله يومئذ ثمان وأربعون وقيل سبع وأربعون سنة وخلافته عشر سنين

وقال الصادق ع عن آبائه ع قال بينا الحسن بن على ع ذات يوم فى حجر رسول الله ص إذ رفع رأسه فقال يا أبة ما لمن زارك بعد موتك

ص: ١٦٩

قال يا بنى من أتانى زائرا بعد موتى فله الجنة ومن أتى أباك زائرا بعد موته فله الجنة ومن أتى أخاك زائرا بعد موته فله الجنة ومن أتاك زائرا بعد موتك فله الجنة

وقال الحسن بن علي يا رسول الله ما لمن زارنا فقال من زارني حيا أوميتنا أوزار أباك حيا أوميتنا أوزار أخاك حيا أوميتنا كان حقا علي أن أستنقذه يوم القيامة من النار

قال دعبل بن علي الخزاعي

تعز فكم لك من أسوة تسكن عليك غليل الحزن بموت النبي وقتل الوصي وذبح الحسين وسم الحسن

وأنشد

محن الزمان سحائب متراكمة هي بالفوادح فالفواجع ساهمة فإذا الهموم تراكتك فسلها بمصاب أولاد البتولة فاطمة

مجلس في ذكر مقتل الحسين ع

قال الله تعالى في سورة إبراهيم ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون وفي سورة الشعراء وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

وقال الرضا ع إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون القتال فيه فاستحلت فيه دماؤنا وهتكت فيه حرمتنا وسبى فيه ذرارينا ونساءنا وأضرمت النيران في مضاربنا وانتهب ما فيها من ثقلها ولم تدع لرسول الله حرمة في أمرنا إن يوم قتل الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذل عزيزنا أرض كربلاء أورتتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء فعلى مثل الحسين فليكن الباكون فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام ثم قال ع كان أبي ع إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي منه عشرة أيام فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول هو اليوم الذي قتل فيه الحسين ع

وقال أيضا من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى له حوائج الدنيا والآخرة ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم

ص: ١٧٠

القيامة يوم فرحه وسروره وقرت بنا في الجنان عينه ومن سمى يوم عاشوراء يوم بركة وادخر فيه لمنزله شيئا لا يبارك له فيما ادخره وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد لعنهم الله وأوصلهم إلى أسفل درك من النار

وقال الحسين ع أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر

وروى أن أم سلمة أصبحت يوما تبكي فقبل لها ما يبيك فقاتلت لقد قتل ابني الحسين وما رأيت رسول الله ص مذ مات إلا هذه الليلة فقلت بأبي أنت وأمي ما لي أراك شاحبا فقال لم أزل منذ الليلة أحفر قبر الحسين

وقبور أصحابه وقالت ما سمعت نوح الجن إلا الليلة لا أرانى إلا وقد أصيب بابنى وقيل جاءت الجنة منهم تقول

ألا يا عين فانهملى بجهد فمن يبكى على الشهداء بعدى على رهط تقودهم المنايا إلى متجبر فى ملك عبد

وقال الصادق ع البكاءون خمسة آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلى بن الحسين ص فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار فى خديه مثل الأودية وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره وحتى قيل له تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرصاً أو تكون من الهالكين وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا له إما أن تبكى بالنهار وتسكت بالليل وإما أن تبكى بالليل وتسكت بالنهار فصالحهم على واحد منهما وأما فاطمة فبكت على رسول الله ص حتى تأذى بها أهل المدينة وقالوا لقد آذيتنا بكثرة بكائك وكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضى حاجتها ثم تنصرف وأما على بن الحسين ع فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين قال إنما أشكوبشى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون إني لم أذكر مصرع بنى فاطمة إلا خنقتنى لذلك العبرة

قال داود بن كثير الرقى كنت عند أبى عبد الله ع إذا استسقى الماء فلما شربه قال رأيته وقد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه ثم قال يا داود لعنة الله على قاتل الحسين فما أنقض ذكر الحسين للعيش إني ما شربت ماء بارداً إلا وذكرت الحسين وما من

ص: ١٧١

عبد شرب الماء فذكر الحسين ع ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة ألف حسنة ومحا عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة وكان كأنما أعتق مائة ألف نسمة وحشره الله يوم القيامة أبلغ الوجه

وروى أنه لما مات الحسن تحركت الشيعة بالعراق وكتبت إلى الحسين فى خلع معاوية والبيعة له فامتنع عليهم وذكر أن بينه وبين معاوية عهداً لا يجوز له نقضه حتى تمضى المدة فإن مات معاوية نظر فى ذلك فلما مات معاوية وذلك للنصف من رجب سنة ستين من الهجرة كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وكان على المدينة من قبل معاوية أن يأخذ من الحسين ع بالبيعة ولا يرخص له فى التأخر عن ذلك فأنفذ الوليد إلى الحسين ع فى الليل فاستدعاه فعرف الحسين الذى أراد فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح وقال لهم إن الوليد قد استدعانى فى هذا الوقت ولست آمناً أن يكلفنى أمراً لا أجيبه إليه وهو غير مأمون فكونوا معى فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب فإن سمعتم صوتى قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه منى فصار الحسين ع إلى الوليد فوجد عنده مروان بن الحكم فعنى إليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمر به فى أخذ البيعة منه له فقال له الحسين إني لا أراك تقنع ببيعتى ليزيد سرا حتى أبايه جهراً فيعرف ذلك الناس فقال له الوليد أجل فقال الحسين فنصبح ونرى رأينا فى ذلك فقال له الوليد انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس فقال له مروان والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا تقدر منه على مثلها

أبدا حتى يكثر القتل بينكم وبينه احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه فوثب عند ذلك الحسين ع وقال أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أنت الذى كذبت وأثمت وخرج ع فمشى مع مواليه حتى أتى منزله فأقام ع فى منزله تلك الليلة وهى ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستين. واشتغل الوليد بن عتبة بمراسلة ابن الزبير فى البيعة ليزيد وامتناعه عليهم وخرج ابن الزبير من ليلته من المدينة متوجها إلى مكة فلما أصبح الوليد سرح فى أثر ابن الزبير الرجال فبعث راكبا من موالى بنى أمية فى ثمانين راكبا فطلبوه ولم يدركوه ورجعوا فلما كان آخر النهار من يوم السبت بعث الرجال إلى الحسين ع ليحضر فيبايع الوليد ليزيد بن معاوية فقال لهم الحسين أصبحوا ثم ترون ونرى فكفوا الليلة ولم يلحوا عليه فخرج ع من تحت ليلته وهى ليلة

ص: ١٧٢

الأحد ليومين بقيا من رجب متوجهين نحو مكة ومضى بنوه وإخوته وبنو أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية وخرج الحسين وهو يقول فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ فلما دخل مكة وهو يقرأ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ثم نزل فأقبل أهلها يكتفون إليه ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق فبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية فارجعوا بيزيد وعرفوا خبر الحسين ع وامتناعه من بيعته فاجتمعت الشيعة فى الكوفة فى منزل سليمان بن صرد فذكروا هلاك معاوية فحمدوا الله عليه فقال سليمان بن صرد إن معاوية قد هلك وإن حسيننا قد تغيب على القوم ببيعته وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته وشيعه أبيه فإن كنتم تعلمون أنكم ناصرته ومجاهد وعدوه وتقتل أنفسنا دونه فكتبوا إليه فكتبوا إليه بسم الرحمن الرحيم للحسين بن على ع من سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن نجبه ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة سلام الله عليك فإننا نحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو أما بعد الحمد لله الذى قصم عدوك الجبار العنيد الذى ابتز على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيها فتأمر عليها بغير رضا منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها فبعدا لهم كما بعدت ثمود إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والنعمان بن بشير فى قصر الإمارة لسنا تجتمع معه فى جمعه ولا نخرج معه إلى عيد ولوقد بلغنا أنك أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله ثم سرحوا بالكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني وعبد الله بن وال وأمرهما بالنجاء فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين ع بمكة لعشر مضين من شهر رمضان ثم لبث أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب وانفذوا قيس بن مسهر الصيداوى وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبى وعمارة بن عبد الله السلولى إلى الحسين ومعهم نحو من مائة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنتين والأربعة ثم لبثوا يومين آخرين وسرحوا إليه هانى بن هانى السبيعي وسعد بن عبد الله الحنفى وكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن على من شيعته المؤمنين والمسلمين. أما بعد فحى هلا فإن الناس ينتظرونك لا رأى لهم غيرك فالعجل العجل ثم العجل العجل وكتب شيب بن ربيع وحجارة بن أبجر ويزيد بن الحرث بن

ص: ١٧٣

رويم وعروة بن قيس وعمرون حجاج الزبيدي ومحمد بن عمرو التميمي. أما بعد هذا فقد أخصبت الجنان وأينعت الثمار فإذا شئت فأقدم على جند لك مجتدة والسلام وتلاقت الرسل كلها عنده فقرأ الكتب وسال عن الناس ثم كتب مع هاني بن هاني وسعد بن عبد الله وكانا آخر الرسل

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى الملاء من المسلمين والمؤمنين أما بعد فإن هانيا وسعيدا قدما على بكتبكم وكان آخر من قدم على من رسلكم وقد فهمت كل الذي قصصتم وذكرتم ومقالة أجلائكم أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى وأنا باعث إليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى فإن كتب إلى أنه قد أجمع رأى أجلائكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت كتبكم قدمت عليكم وشيكا إن شاء الله فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط والدائن بدين الله الحابس نفسه على ذات الله والسلام

ودعا الحسين مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوى وعمارة بن عبد الله السلولى وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبى وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف فإن رأى الناس مجمعين مستوثقين عجل إلى بذلك فأقبل مسلم حتى أتى الكوفة فنزل دار المختار بن أبى عبيدة وهى التى تدعى دار سلام بن المسيب فأقبلت الشيعة تختلف إليه فكلما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين ع وهم يبكون وبايعه الناس حتى بايعه ثمانية عشر ألفا فكتب مسلم إلى الحسين بن علي ع بخبره ببيعة ثمانية عشر ألفا ويأمره بالقدوم وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم بن عقيل رضى الله عنه حتى علم بمكانه فبلغ النعمان بن بشير وكان واليا على الكوفة من قبل معاوية فأقره يزيد عليها وكتب عبد الله بن مسلم وعمارة بن عقبة وعمر بن سعد إلى يزيد بن معاوية. أما بعد فإن مسلم بن عقيل قدم الكوفة فبايعه شيعه الحسين بن علي فإن يكن لك فى الكوفة حاجة فابعث إليها رجلا قويا ينفذ أمرى ويعمل مثل عملك فى عدوك فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أوهو يتضعف فلما وصلت الكتب إلى يزيد دعا سرجون مولى معاوية فقال له ما رأيك إن حسينا قد وجه إلى الكوفة مسلم بن عقيل يبايع له وقد بلغنى أن النعمان ضعيف فمن ترى أن أستعمل على الكوفة وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد فقال له سرجون أ رأيت معاوية لونشر لك أ كنت آخذا برأيه

ص: ١٧٤

قال نعم قال فاخرج سرجون عهد عبيد الله على الكوفة وقال هذا رأى معاوية وقد أمر بهذا الكتاب فضم المصرين إلى عبيد الله فقال له يزيد أفعل ابعث بعهد ابن زياد إليه ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلى فكتب إلى عبيد الله معه أما بعد فإنه كتب إلى من شيعتى من أهل الكوفة تخبرنى أن ابن عقيل بها يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين فسر حين تقرأ كتابى هذا حتى تأتى الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتى تثقبه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام وسلم إليه عهده على الكوفة فخرج مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيد الله بالبصرة فأوصل إليه العهد والكتاب فأمر عبيد الله بالتجهيز من وقته والمسير إلى الكوفة من الغد ثم خرج من البصرة فاستخلف أخاه عثمان وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلى وشريك الأعور الحارثى وحشمه وأهل بيته حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء وهومتلثم والناس قد بلغهم إقبال الحسين ع إليهم فهم ينتظرون

قدومه فظنوا حين رأوا عبيد الله أنه الحسين فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه وقالوا مرحبا بابن رسول الله قدمت خير مقدم فرأى من تباشرهم بالحسين ما ساءه فقال مسلم بن عمرو ولما أكثروا قلت تأخروا هذا الأمير عبيد الله بن زياد وسار حتى وافى القصر فى الليل ومعه جماعة قد التقوا به فدعا ابن زياد مولى له يقال له معقل فقال له خذ ثلاثة آلاف درهم ثم اطلب مسلم بن عقيل والتمس أصحابه فإذا ظفرت بواحد منهم أو جماعة فأعطهم هذه الثلاثة آلاف درهم وقل لهم استعينوا بها على حرب عدوكم وأعلمهم أنك منهم فإنك لو أعطيتهم إياها اطمأنوا إليك ووثقوا بك ولم يكتموا شيئا من أخبارهم ثم اغد عليهم ورح حتى تعلم مستقر مسلم بن عقيل وتدخل عليه ففعل ذلك وجاء فطلب الأذن فأذن له فأخذ مسلم بن عقيل بيعته وأمر أبا ثمامة الصائدى بقبض المال منه وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم فهو أول داخل وآخر خارج حتى فهم ما احتاج إليه ابن زياد من أمرهم وكان يخبره بهم فاجتمع لابن عقيل أربعة آلاف رجل وما زالوا يتوثبون حتى المساء فضايق بعبيد الله أمره وكان أكثر عمله أن يمسك باب القصر وليس معه فى القصر إلا ثلاثون رجلا من الشرطة وعشرون رجلا من أشرف الناس وأهل بيته وخاصته حتى كادت الشمس أن تغيب فكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول انصرف الناس يكفونك ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول غدا يأتبك أهل الشام فما تصنع بالحرب

ص: ١٧٥

والشر انصرف فيذهب به فيصرفه فما زالوا يتفرقون عن ابن عقيل حتى أمسى وصلى المغرب وما معه إلا ثلاثون نفسا فى المسجد فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك نفر خرج متوجها نحو أبواب كندة فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة ثم خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان فالتفت فإذا هولا يحس أحدا على الطريق ولا يدله على منزله ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدو فمضى على وجهه مترددا فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يذهب فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها طوعة أم ولد كانت للأشعث بن قيس فأعتقها فزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالا وكان بلال قد خرج مع الناس فأمره قائمه تنتظره فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه فقال لها يا أمة الله اسقنى ماء فسقته وجلس وأدخلت الإناء ثم خرجت فقالت يا عبد الله أ لم تشرب قال بلى قالت فاذهب إلى أهلك فسكت ثم أعادت مثل ذلك فسكت ثم قالت له فى الثالثة سبحان الله يا عبد الله قم عافاك الله إلى أهلك فإنه لا يصلح لك الجلوس على بأبى ولا أحله لك فقام وقال يا أمة الله ما لى فى هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك فى أجر ومعروف ولعلى مكافيك قالت يا عبد الله وما ذاك قال أنا مسلم بن عقيل كذبنى هؤلاء القوم وغرونى وأخرجونى قالت أنت مسلم قال نعم قالت ادخل فدخل بيتا فى دارها غير البيت الذى تكون فيه ففرشت له وعرضت له العشا فلم يتعش ولم يكن بأسرع إن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول فى البيت والخروج منه فقال لها والله إنه ليرينى كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه أن لك لشأنا قالت يا بنى أعرض عن هذا قال والله لتخبرينى قالت أقبل على شأنك ولا تسألنى عن شىء فألح عليها قالت يا بنى لا تخبرن أحدا من الناس شيئا مما أخبرك به قال نعم فأخذت عليه

الإيمان فحلف لها فأخبرته فاضطجع وسكت فلما أصبح غدا إلى عبد الرحمن بن محمد الأشعث فأخبره
بمكان مسلم بن عقيل عند أمه فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد فسار فعرف ابن زياد
أسراره فقال له ابن زياد بالقضيب في جنبه قم فأنتى به الساعة فقام وبعث معه قومه لأنه قد علم أن كل قوم
يكرهون أن يصاب فيهم مثل ابن عقيل فبعث عبيد الله بن العباس السلمى في سبعين رجلا من قيس حتى أتوا
الدار التي فيها مسلم بن عقيل رضى الله عنه فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال علم أنه قد أتى
فخرج إليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ثم عادوا

ص: ١٧٦

إليه فشد عليهم كذلك فاختلف هو وبكر بن حرمان الأحمرى ف ضرب فم مسلم فقطع شفته العليا وأسرع في
السفلى ونصلت ثنيتاه فضربه مسلم في رأسه ضربه منكرا وثناه بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على
جوفه فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق البيت فأخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطناب القصب ثم
يلقونها عليه من فوق البيت فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلتا بسيفه في السكة وقال له محمد بن الأشعث
لك الأمان لا تقتل نفسك وهويقاتلهم ويقول عند ذلك

أقسمت لا أقتل إلا حرا وإن رأيت الموت شيئا نكروا واخلط البارد سخنا مرا رد شعاع الشمس فاستقراكل
امرئ يوما ملاق شرا أخاف أن أكذب أو أغرا

فقال له محمد بن الأشعث إنك لا تكذب ولا تغر ولا تخدع إن القوم بنوعمك وليسوا بقاتليك ولا ضاريك
وقد عجز عن القتال فابتهر وأسند ظهره إلى جنب تلك الدار فأعاد ابن الأشعث عليه القول لك الأمان فقال
آمن أنا فقال نعم فقال للقوم الذين معه لى الأمان فقالوا له نعم إلا عبيد الله بن العباس السلمى فإنه قال لا ناقة
لى فى هذا ولا جمل وتتحا فقال مسلم أما لولم تؤمنونى ما وضعت يدى فى أيديكم وأتى ببغلة فحمل عليها
واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه فكأنه عند ذلك يؤس من نفسه فدمعت عيناه ثم قال هذا أول الغدر فقال له
محمد بن الأشعث أرجو أن لا يكون عليك بأس فقال ما هو إلا الرجاء أين أمانكم إنا لله وإنا إليه راجعون
وبكى فقال له عبيد الله بن العباس السلمى إن الذى يطلب مثل الذى تطلب إذا نزل به مثل الذى نزل بك لم
يبك فقال والله إنى ما لنفسى بكيت ولا لها من القتل إرثى وإن كنت لم أحب لها طرفه عين تلف ولكنى أبكى
لأهلى المقبلين إلى أبكى للحسين وآل الحسين ص ثم أقبل بآبن عقيل إلى باب القصر فاستأذن فأذن له
فدخل على عبيد الله فأخبره خبر ابن عقيل وذكر ما كان من أمانه له فقال له عبيد الله وما أنت والأمان كأنما
أرسلناك لتأتينا به فسكت ابن الأشعث وانتهى بآبن عقيل إلى باب القصر وقد اشتد به العطش فقال اسقونى
من هذا الماء وتساند إلى حائط وبعث عمرو بن حريث غلاما فجاءه بقلعة عليها منديل وقدح فصب فيه ماء
فقال له اشرب فأخذ كلما شرب امتلأ القدح دما من فمه فلا يقدر أن يشرب ففعل ذلك مرة أو مرتين فلما
ذهب فى الثالثة ليشر به سقطت ثنيتاه

ص: ١٧٧

فى القدح فقال الحمد لله لوكان لى من الرزق المقسوم شربته وخرج رسول ابن زياد وأمر بإدخاله فلما دخل لم يسلم عليه بالإمرة فقال له الحرس أ لا تسلم على الأمير فقال إن كان يريد قتلى فما سلامى عليه وإن كان لا يريد قتلى ليكثرن سلامى عليه فقال له ابن زياد لعمرى لتقتلن قال كذلك قال نعم قال دعنى أوصى إلى بعض قومى قال افعل فنظر مسلم إلى جلساء ابن زياد وفيهم عمر بن سعد بن أبى وقاص فقال يا عمر إن بينى وبينك قرابة ولى إليك حاجه وقد يجب عليك نجح حاجتى وهوسر فامتنع عمر أن يسمع منه فقال عبيد الله لم تمتنع أن تنظر فى حاجه ابن عمك قال فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد فقال إن على ديننا استدنته مذ وقت قدمت الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عنى وإذا قتلت فاستوهب جتتى من ابن زياد فوارها وابعث إلى الحسين من يرده فإنى قد كنت أعلمته أن الناس ليسوا إلا معه ولا أراه إلا مقبلا فقال عمر لابن زياد أ تدرى أيها الأمير ما قال إنه ذكر كذا وكذا فقال ابن زياد لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن. أما مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت. وأما جنته فإننا لا نبالى إذا قتلناه ما صنع بها وأما الحسين فهو إن لم يردنا لم نرده اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه ثم أتبعوا جسده أين هذا الذى ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف فدعى بكر بن حمران الأحمرى فقال له اصعد فلتكن أنت الذى تضرب عنقه فصعد به وهو يكبر ويستغفر الله ويصلى على رسول الله ص ويقول اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وخذلونا فاشرفوا به على موضع الحراس اليوم فضرب عنقه وأتبع جسده رأسه ولما أراد الحسين ع التوجه إلى العراق طاف بالبيت وسعى بين الصفاء والمروة وأحل من إحرامه وجعلها عمرة لأنه لا يتمكن من إتمام الحج وكان قد اجتمع إليه مدة مقامه ع بمكة نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصرة انضافوا إلى أهل بيته ومواليه من مكة وخرجوا معه نحو العراق .

ولما بلغ ابن زياد إقبال الحسين ع بعث الحصين بن نمير صاحب الشرطة حتى نزل القادسية إلى القلططانية ولما بلغ الحسين ع الحاجز من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيداوى ويقال أيضا بعث أخاه من الرضاة عبد الله بن يقطر إلى أهل الكوفة مع كتاب فأخذه الحصين بن نمير بالقادسية فبعث به إلى ابن زياد فقال له ابن زياد اصعد

ص: ١٧٨

فسب الكذاب الحسين بن على فصعد قيس فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن هذا الحسين بن على خير خلق الله بن فاطمة بنت رسول الله ص وأنا رسوله إليكم فأجيبوه ثم لعن ابن زياد وأباه فأمر عبيد الله أن يرمى من فوق القصر فرمى به فتكسرت عظامه وبقي به رمق فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير الحضرمى فذبحه فقبل له فى ذلك وعيب عليه فقال أردت أن أريحه وكان ابن زياد أمر فأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى البصرة فلا يدعون أحدا يلج ولا أحدا يخرج وأقبل الحسين ع لا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب فسألهم فقالوا والله ما ندرى غير أنا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج فصار الحسين ع تلقا وجهه وحدث جماعة من فزارة وبجيلة قالوا كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة وكنا نساير الحسين ع فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن ننازله فإذا نزل الحسين ع فى جانب نزلنا فى جانب فبينما نحن جلوس نتغذى

من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين ع حتى سلم ثم دخل فقال يا زهير بن القين البجلي إن أبا عبد الله بعثني إليك لتأتينه فطرح كل إنسان منا ما في يده حتى كان على رءوسنا الطير فقالت امرأته سبحان الله أبيعث إليك ابن رسول الله ثم لم تأت له لوأتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت فأتاه زهير بن القين فما لبث إن جاء مستبشرا قد أشرق وجهه فأمر فسطاطه فقوض وحمل إلى الحسين ع ثم قال لامرأته أنت طالق الحقى بأهلك فإنني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير ثم قال لأصحابه من أحب منكم أن يتبعني وإلا فهو آخر العهد إنني سأحدثكم حديثا غزونا البحر ففتح الله علينا وأصبنا غنائم فقال لنا سلمان الفارسي رضي الله عنه أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم فقلنا نعم فقال إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحا بقتالكم معهم مما أصبتم اليوم من الغنائم فأما أنا فأستودعكم الله قالوا ثم والله ما زال في القوم مع الحسين حتى قتل رحمه الله عليه ووقع الخبر عند الحسين بقتل مسلم بن عقيل وهاني فقال إنا لله وإنا إليه راجعون رحمة الله عليهما يردد ذلك مرارا فقليل له ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف أن يكونوا عليك فنظر إلى بني عقيل وقال ما ترون فقد قتل مسلم بن عقيل قالوا والله لا نرجع حتى نصيب ثارنا أو نذوق ما ذاق فأقبل الحسين ع وقال لا خير في

ص: ١٧٩

العيش بعد هؤلاء فلما كان السحر فقال لفتياناه وغلماؤه أكثروا من الماء فاستقوا وأكثروا ثم ارتحلوا فساروا حتى انتهى إلى زبالة فأتاه خبر عبد الله بن يقطر فأخرج إلى الناس كتابا فقرأ عليهم. بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج ليس عليكم ذمام فتفرق الناس عنه وأخذوا يمينا وشمالا حتى بقي أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضموا إليه وإنما فعل ذلك ع لأنه علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه وهم يظنون أنه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة أهله فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون وبعث ابن زياد الحر بن يزيد في ألف فارس إلى الحسين ع فجاء حتى وقفوا مقابل الحسين ع في حر الظهيرة فقال اسقوهم وأوردوهم وصلى بهم الحسين الظهر والعصر ثم توجه إليهم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ص وأخبرهم بمقالة الكوفيين ورسالاتهم وقال أنا أولى بهذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم فقال الحر لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وأمرنا إذا لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة فقال له الحسين ع الموت أدنى إليك من ذلك ثم قال لأصحابه قوموا فاركبوا فركبوا وانتظروا حتى ركبت نساؤهم فقال لأصحابه انصرفوا فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف فقال الحسين ع فما تريد قال أريد انطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد قال إذا والله لا أتبعك فتراد القول ثلاث مرات فلما كثر الكلام بينهما قال له الحر إنني لم أؤمر بقتالك إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقا لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة يكون بيني وبينك نصفا حتى أكتب إلى الأمير ففعل الله أن يأتيه بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك فخذ هاهنا فتياسر عن طريق العذيب والقادسية وسار الحسين ع وسار الحر في أصحابه يسايره ويقول يا حسين إنني أذكرك الله في نفسك فإنني

أشهد لئن قاتلت لتقتلن فقال له الحسين ع أ فبالموت تخوفني وهل يعدوبكم الخطب أن يقتلوني وسأقول كما قال أخوالأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله ص فخوفه ابن عمه وقال أين تذهب فإنك مقتول فقال

ص: ١٨٠

سأمضى وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما وواس الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثيرا وودع مجرما فإن مت لم أندم وإن عشت لم ألم كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

فلما سمع ذلك الحر تنحى عنه فكان يسير بأصحابه ناحية والحسين ع فى ناحية أخرى حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات ثم مضى ع حتى انتهى إلى قصر بنى مقاتل فنزل به ولما كان فى آخر الليل أمر بالاستقاء من الماء ثم أمرنا بالرحيل فانتحل من قصر بنى مقاتل فقال عقبة بن سميان فسرنا معه ساعة فخفق ع وهو على ظهر فرسه خفقة ثم انتبه وهو يقول إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا فأقبل إليه ابنه على بن الحسين ع فقال مم حمدت الله واسترجعت فقال يا بنى إني خفقت خفقة فعن لى فارس على فرس وهو يقول القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم فعلمت أنها أنفسنا نعت إلينا فقال له ابنه يا أبة لا أراك الله سوء أ لسا على الحق قال بلى والذى إليه المرجع والمعاد قال فإذا لا نبالى أن نموت محقين فقال له الحسين ع جزاك الله من ولد خير ما جرى ولدا عن والد فلما أصبح نزل فصل الغداة ثم عجل الركوب فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرقهم فيأتيهم الحر بن يزيد فيرده وأصحابه فجعل إذا ردهم نحو الكوفة ردا شديدا امتنعوا عليه فارتفعوا ولم يزالوا يتسايرون وكذلك حتى انتهوا إلى نينوى المكان الذى نزل به الحسين ع فإذا ركب على نجيب له عليه السلاح متنكب قوسا مقبل من الكوفة فوقفوا جميعا ينتظرونه فلما انتهى إليهم سلم على الحر وأصحابه ولم يسلم على الحسين ع وأصحابه ودفع إلى الحر كتابا من عبيد الله بن زياد. أما بعد فجمع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي ولا تنزله إلا بالعراء فى غير حصن وعلى غير ماء وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقت حتى يأتيك بأمرى والسلام فأخذهم الحر بالنزول فى ذلك المكان على غير ماء ولا فى قرية فقال له الحسين ع دعنا ويحك نزل فى هذه القرية أو هذه يعنى نينوى والغاضرية قال لا والله ما أستطيع ذلك هذا رجل قد بعث إلى عينا على فقال له زهير بن القين إني والله ما أراه بعد الذى ترون إلا أشد مما ترون بآبى رسول الله إن قتال هؤلاء البغاة أهون من قتال من يأتيك من بعدهم فلعمري ليأتينا بعدهم ما لا قبل لنا به

ص: ١٨١

فقال الحسين ع ما كنت لأبدأهم بالقتال ثم نزل يوم الخميس وهو اليوم الثانى من المحرم سنة إحدى وستين فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف من الفوارس فنزل نينوى فبعث إلى الحسين ع عروة بن قيس الأحمسي فقال الله فأسأله ما الذى جاء بك وما الذى تريد وكان عروة ممن كتب إلى الحسين ع فاستحيا منه أن يأتيه فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه وكلهم أبى ذلك وكرهه فقام إليه كثير بن عبد الله الأشعبي وكان فارسا شجاعا لا يرد وجهه شىء فقال أنا أذهب إليه والله لئن

شئت لأفتكن به فقال له عمر ما أريد أن تفتك به ولكن ائنه فاسأله ما الذى جاء بك فأقبل كثير إليه فلما رآه أبو ثمامة الصائدى قال أصلحك الله يا أبا عبد الله قد جاءك شر خلق الله وأجرؤه على دم وأفتكه وقام إليه وقال له ضع سيفك قال لا ولا كرامة إنما أنا رسول فإن سمعتم منى أبلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن أبيتم انصرفت عنكم قال فإني آخذ بقائم سيفك ثم تكلم بحاجتك قال لا والله لا تمسه فقال له أخبرنى ما جئت به وأنا أبلغه عنك ولا أدعك تدنومنه فإنك فاجر فأبى وانصرف إلى عمر بن سعد فدعا عمر قرّة بن قيس الحنظلى فقال له ويحك يا قرّة الق حسينا فاسأله ما جاء به وما ذا يريد فأتاه قرّة لما رآه الحسين ع مقبلاً قال أ تعرفون هذا فقال حبيب بن مظاهر نعم هذا رجل من حنظلة بن تميم وهوابن أختنا وقد كنت أعرفه بحسن الرأى وما كنت أراه يشهد هذا المشهد فجاء حتى سلم على الحسين ع وأبلغه رسالة عمر بن سعد فقال له الحسين ع كتب إلى أهل مصركم هذا أن أقدم وأما إذا كرهتمونى فإنى أنصرف عنكم ثم قال له حبيب بن مظاهر ويحك يا قرّة أين ترجع إلى القوم الظالمين انصر هذا الرجل الذى بآبائه أيدك الله بالكرامة فقال له قرّة أرجع إلى صاحبنا بجواب رسالته فأرى رأى قال فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر فقال عمر أرجو أن يعافينى الله من حربه وقتاله وكتب إلى عبيد الله بن زياد. بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنى حيث نزلت بالحسين وبعثت إليه برسولى فسألته عما تقدم وما ذا يطلب فقال كتب إلى أهل هذه البلاد وأتتنى رسلهم يسألونى القدوم ففعلت فأما إذا كرهتمونى وبدا لهم غير ما أتتنى به رسلهم فأنا منصرف عنهم قال حسان بن قائد العبسى وكنت عند عبيد الله حين أتاه هذا الكتاب

ص: ١٨٢

فلما قرأه قال الآن حين إذا علقت مخالبتنا به يرجو النجاة ولات حين مناص وكتب إلى عمر بن سعد. أما بعد فقد بلغنى كتابك وفهمت ما ذكرت فأعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه فإذا هوفعل رأينا رأينا والسلام فلما ورد الجواب قال عمر بن سعد قد خشيت أن لا يقبل ابن زياد العافية ثم ورد كتاب ابن زياد فى الأثر إلى عمر بن سعد أن حل بين الحسين وأصحابه والماء فلا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقى الزكى عثمان بن عفان فبعث عمر بن سعد فى الوقت عمرو بن الحجاج فى خمسمائة فارس فنزلوا الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام ونادى عبد الرحمن بن حصين الأزدي وكان عداده فى بجيلة فقال بأعلى صوته ألا تنظروا إلى الماء كأنه كبّد السماء والله لا تذوقون منه قطرة حتى تموتوا عطشا فقال الحسين ع اللهم اقتله عطشا ولا تغفر له أبدا. قال حميد بن مسلم والله لعدته بعد ذلك فى مرضه فوالله الذى لا إله إلا هولقد رأيتته يشرب الماء حتى يبغره ويبغى ويصيح العطش العطش ثم يعود فيشرب الماء حتى يبغره ثم يبغيه ويتلظى عطشا فما زال ذلك دأبه حتى لفظ نفسه ولما رأى الحسين ع نزول العساكر مع عمر بن سعد بنينوى ومددهم لقتاله أنفذ إلى عمر بن سعد أنى أريد أن ألتاق فاجتمعوا ليلا فتناجيا طويلا ثم رجع إلى مكانه وكتب إلى عبيد الله بن زياد. أما بعد فقد أطفأ الله النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة وهذا حسين قد أعطاني أنه يرجع إلى المكان الذى منه أتى أو أن يسير إلى نجر من تغور المسلمين فيكون رجلا من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم أو أن يأتى أمير المؤمنين يزيد ويضع يده فى يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه وفى هذا رضا الله تعالى وللأمة صلاح فلما قرأ عبيد الله الكتاب

قال هذا كتاب ناصح مشفق على قومه وكتب إلى عمر بن سعد كتابا مع شمر بن ذى الجوشن فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فإن فعلوا فليبعث بهم إلى سلما وإن أبوا فليقاتلهم فإن فعل عمر فاسمع له وأطع وإن أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الجيش فاضرب عنقه وابعث إلى برأسه وكان في الكتاب إنى لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة والبقاء ولا لتعذر له عندى ولا لتكون له شافعا

ص: ١٨٣

انظر فإن نزل الحسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم إلى سلما وإن أبوا فارجم عليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فإنه عاق ظلوم فإن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر فإننا قد أمرناه بأمرنا والسلام فأقبل شمر بكتاب عبيد الله إلى عمر بن سعد فلما قدم عليه وقرأه فنادى عمر بن سعد يا خيل الله اركبي وأبشري فركب الناس ثم زحف نحوهم بعد العصر والحسين ع جالس أمام بيته محتب بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه وسمعت أخته الضجة فدنت من أخيها فقالت يا أخى أ ما تسمع الأصوات قد اقتربت فرفع الحسين ع رأسه فقال إنى رأيت رسول الله ص فى المنام فقال لى إنك تروح إلينا فلطمت وجهها ونادت بالويل فقال الحسين ع ليس لك الويل يا أختاه اسكتى رحمك الله وجاءه رسول عمر بن سعد أنا قد أجلناك إلى غد فإن استسلمتم سرحناكم إلى عبيد الله بن زياد أميرنا وإن أبيتتم فلسنا تارككم وانصرف فجمع الحسين ع أصحابه عند قرب المساء .

قال على بن الحسين زين العابدين ع فدنوت منهم لأسمع ما يقول لهم وأنا إذ ذاك مريض فسمعت أبى ع يقول لأصحابه أثنى على الله أحسن الثناء وأحمدته على السراء والضراء اللهم إنى أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا فى الدين وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأفئدة فاجعلنا من الشاكرين أما بعد فإنى لا أعلم أصحابا ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أصحابى وأهل بيتى فجزاكم الله عنى خير الجزاء ألا وإنى لأظن يوما لنا من هؤلاء إلا وقد أذنت فانطلقوا جميعا فى حل ليس عليكم منى ذمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا فقال إخوته وأبنائهم وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر لم نفعل لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك اليوم أبدا بدأهم بهذا القول العباس بن على رض واتبعته الجماعة عليه فتكلموا بمثله ونحوه فقال الحسين ع يا بنى عقيل حسبكم من القتل بمسلم فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم قالوا سبحان الله ما نقول للناس نقول إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسيف ولا ندرى ما صنعوا بهم لا والله لا نفعل ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلنا أوتقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك

ص: ١٨٤

وقال مسلم بن عوسجة وقال والله لو علمت أنى أقتل ثم أحيا ثم أحرقت ثم أحيا ثم أحرقت ثم أذرى يفعل بى ذلك سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامى من دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنما هى قتلة واحدة ثم هى

الكرامة التي لا انتضاء لها أبداً. وقام زهير بن القين رحمه الله فقال والله لو ددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرة وإن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك لفعلت وتكلم بعض أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد فجزاهم الحسين ع خيراً وانصرف إلى مضربه قال على بن الحسين ع بينا إني جالس في تلك العشية التي قتل في صبيحتها أبي وعندى عمتي زينب تمرضني إذا اعتزل أبي في خباء له وعنده فلان مولى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول يا دهر أف لك من خليل كم لك في الإشراف والأصيل من صاحب وطالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل وإنما الأمر إلى الجليل وكل حي سالك سبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها وعلمت ما أراد فخنقنتي العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل. قال الضحاك بن عبد الله ومرو بن خيل لابن سعد يحرسنا وإن حسيناً ع ليقرأ ولا يحسن الذين كفروا أنما نملئ لهم خيراً لأنفسهم إنما نملئ لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فلما أصبح الحسين ع فعباً أصحابه بعد صلاة الغداة وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه وحبیب بن مظاهر في ميسرة أصحابه وأعطى رايته للعباس أخاه وجعلوا البيوت في ظهورهم وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت أن تنزل في خندق كان وأن يحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم وأصبح عمر بن سعد لعنه الله في ذلك اليوم وهو يوم الجمعة وقيل يوم السبت فعباً أصحابه وخرج فيمن معه من أصحابه نحو الحسين ع فضرب الحر فرسه فلحق بالحسين ع فقال له جعلت فداك يا ابن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وجعجت بك في هذا المكان والله لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت منك الذي ركبت وإني تائب إلى الله عز وجل مما صنعت فترى لي من ذلك توبة فقال له الحسين يتوب الله

ص: ١٨٥

عليك وأقبل رجل من عسكر عمر بن سعد على فرس يقال له ابن أبي جوية المزني فلما نظر إلى النار تنقد صفق بيده ونادى يا حسين وأصحاب الحسين أبشروا بالنار فقد تعجلتموها في الدنيا فقال الحسين ع من الرجل فقيل ابن أبي جوية المزني فقال الحسين ع اللهم أذقه عذاب النار في الدنيا فنفر به فرسه وألقاه في تلك النار فاحترق ثم برز من عسكر عمر بن سعد رجل آخر يقال له تميم بن حصين الفزاري فنادى يا حسين ويا أصحاب الحسين أ ما ترون الفرات يلوح كأنه بطون الحيات والله لا أذقت منه قطرة حتى تذوقوا الموت جرعا فقال الحسين ع من الرجل فقيل تميم بن حصين فقال الحسين ع هذا وأبوه من أهل النار اللهم اقتل هذا عطشا في هذا اليوم قال فخنقته العطش حتى سقط من فرسه فوطئته الخيل بسنابكها فمات ثم أقبل رجل آخر من عسكر عمر بن سعد يقال له محمد بن الأشعث بن قيس الكندي فقال يا حسين بن فاطمة أي حرمة لك من رسول الله ص ليست لغيرك قتلا الحسين ع هذه الآية إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريةً بعضها من بعض ثم قال والله إن محمداً لمن آل إبراهيم وإن العترة الهادية لمن آل محمد من الرجل فقيل محمد بن الأشعث بن قيس الكندي فرفع الحسين ع رأسه إلى السماء فقال اللهم

أذل محمد بن الأشعث ذلاً في هذا اليوم لا تعزه بعد هذا اليوم أبداً فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرز فسلط الله عليه عقرباً فلذعته فمات بآدى العورة فبلغ العطش من الحسين ع وأصحابه فدخل عليه رجل من شيعته يقال له يزيد بن الحصين الهمداني فقال يا ابن رسول الله أ تأذن لى أن أخرج إليهم فأكلهم فأذن له فخرج إليهم فقال يا معشر الناس إن الله عز وجل بعث محمداً ص بالحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابها وقد حيل بينه وبين ابنه فقالوا يا يزيد فقد أكثرت الكلام فأكف عنا فوالله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله فقال الحسين ع اقعد يا يزيد ثم وثب الحسين ع متكئاً على سيفه فنادى بأعلى صوته فقال أنشدكم الله أ تعلمون أن جدى رسول الله ص قالوا نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن أبى بن أبى طالب قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن أمى فاطمة بنت رسول الله

ص: ١٨٦

ع قالوا نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن جدتى خديجة بنت خويلد وأول نساء هذه الأمة إسلاماً قالوا نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن سيد الشهداء حمزة عم أبى قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن الطيار فى الجنة عمى قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله ص وأنا متقلده قالوا نعم قال أنشدكم الله هل تدرّون أن هذه عمامة رسول الله ص أنا لا يسها قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن علياً كان أولهم إسلاماً وأعلمهم علماً وأعظمهم حلماً وأنه ولى كل مؤمن ومؤمنة قالوا اللهم نعم قال فبم تستحلون دمي وأبى الذائد عن الحوض غداً يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر عن الماء ولواء الحمد فى يد جدى يوم القيامة قالوا قد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركين حتى تذوق الموت عطشاً فأخذ الحسين بطرف لحيته وهو يومئذ ابن سبع وخمسين سنة ثم قال اشتد على اليهود غضب الله حيث قالوا عزير ابن الله واشتد غضب الله على النصارى حين قالوا المسيح ابن الله واشتد غضب الله على المجوس حين عبدوا النار من دون الله واشتد غضب الله على قوم قتلوا نبيهم واشتد غضب الله على هذه العصاة الذين يريدون قتل ابن نبيهم فقال الحر بن يزيد يا ابن رسول الله أ تأذن لى أن أقاتل عنك فأذن له فبرز وهو يقول

أضرب فى أعناقكم بالسيف عن خير من حل بلاد الخيف

فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً ثم قتل فأتاه الحسين ع ودمه يشخب فقال بخ بخ يا حر أنت حر كما سميت فى الدنيا والآخرة ثم أنشأ الحسين ع

لنعم الحر حر بنى رياح وحر عند مختلف الرماح ونعم الحر إذ نادى حسيناً فجاء بنفسه عند الصباح

ثم برز من بعده زهير بن القين البجلي وهو يقول مخاطباً للحسين ع

اليوم تلقى جدك النبيا وحسنا والمرضى عليا

فقتل منهم تسعة عشر رجلاً ثم صرع وهو يقول

أنا زهير وأنا ابن القين أذبكم بالسيف عن حسين

ثم برز من بعده حبيب بن مظاهر الأسدي وهويقول

أنا حبيب وأبي مظاهر لنحن أزكى منكم وأظهرنصر خير الناس حين يذكر

ص: ١٨٧

فقتل منهم أحدا وثلاثين رجلا ثم قتل رضى الله عنه ثم برز من بعده عبد الله بن أبي عروة الغفارى وهويقول

قد علمت حقا بنو غفار أنى أذب فى طلاب الثاربالمشرفى والقنا الخطار

وقتل منهم عشرين رجلا ثم قتل رحمه الله. ثم برز من بعده برير بن خضير الهمدانى وكان أقرأ أهل زمانه وهويقول

أنا برير وأبى خضير لا خير فيمن ليس فيه خير

فقتل منهم ثلاثين رجلا ثم قتل رضوان الله عليه وبرز من بعده مالك بن أنس الكاهلى وهويقول

قد علمت كاهلها ودودان والخندقيون وقيس عيلان بأن قومى قصم الأقران يا قوم كونوا كأسود الجان آل على شيعة الرحمن وآل حرب شيعة الشيطان

فقتل منهم ثمانية عشر رجلا ثم قتل رحمة الله عليه. وبرز من بعده زياد بن مهاصر أومصاهر الكندى فحمل عليهم وأنشأ يقول

أنا زياد وأبى مصاهر أشجع من ليث القرين الخادريا رب إنى للحسين ناصر ولا بن سعد تارك مهاجر

فقتل منهم تسعة ثم قتل رضوان الله عليه. وبرز من بعده وهب وكان نصرانيا أسلم على يد الحسين ع هو وأمه فاتبعوه إلى كربلاء فركب فرسا وتناول بيده عمود الفسطاط فقاتل وقتل من القوم سبعة أو ثمانية ثم استوسر فأتى عمر بن سعد لعنه الله فأمر بضرب عنقه ورمى به إلى عسكر الحسين ع فأخذت أمه سيفه وبرزت فقال لها الحسين ع يا أم وهب اجلسى فقد وضع الله الجهاد عن النساء إنك وابنك مع جدى محمد ص فى الجنة. ثم برز من بعده هلال بن حجاج وهويقول

أرمى بها معلمة أفواقها والنفس لا ينفعها إشفاقها

فقتل منهم ثلاثة عشر ثم قتل رحمة الله عليه.

ص: ١٨٨

وقد برز من بعده عبد الله بن مسلم بن عقيل وأنشأ يقول

أقسمت لا أقتل إلا حراً وقد وجدت الموت شيئاً نكراً أكره أن أدعى جباناً فإني إن الجبان من عصي وفرا

فقتل منهم ثلاثة ثم قتل رحمة الله عليه. وبرز من بعده علي بن الحسين ع

فلما برز عليهم دمعت عين الحسين ع فقال اللهم كنت أنت الشهيد عليهم فقد برز ابن رسولك وأشبه الناس وجهها وسمتها به

فجعل يرتجز وهو يقول

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبیت الله أولى بالنبی أ ما ترون كيف أحمي عن أبي

فقتل منهم عشرة ثم رجع إلى أبيه فقال يا أبة العطش فقال له الحسين ع صبرا يا بني يسقيك جدك بالكأس الأوفى فرجع فقاتل حتى قتل منهم أربعة وأربعين رجلاً ثم قتل صلوات الله عليه وعلى أبيه. وبرز من بعده القاسم بن الحسن بن علي ع وهو يقول

لا تجزعي نفسي وكل فان اليوم تلقين ذوى الجنان

فقتل منهم ثلاثة ثم رمى عن فرسه ع ثم جلس الحسين ع أمام الفسطاط فأتى بابنه عبد الله بن الحسن ع وهو طفل فأجلسه في حجره فرماه رجل من بني أسد فذبحه فتلقي الحسين ص دمه فلما ملأ كفه صبه في الأرض وحملت الجماعة على الحسين فغلبوه على عسكره واشتد به العطش فركب المسناة يريد الفرات فاعترضه خيل ابن سعد لعنهم الله وفيهم رجل من بني دارم فقال لهم ويلكم حولوا بينه وبين الماء ولا تمكنوه من الفرات فقال الحسين ع اللهم أظمئه فغضب الدارمي ورماه بسهم فأثبتته في حنكه فانتزع الحسين ع السهم وبسط يده تحت حنكه فامتألت راحته بالدم فرماه إلى الأرض ولما رجع الحسين ع من المسناة إلى فسطاطه تقدم إليه شمر بن ذى الجوشن في جماعة من أصحابه وأحاطوا به فأسرع منهم رجل يقال له مالك بن أنس فشتم الحسين ع فضربه على رأسه بالسيف وكان على رأسه قلنسوة فقطعها حتى وصل إلى رأسه فأدماه فامتألت القلنسوة دما فقال له الحسين ع لا أكلت يمينك ولا شربت بها وحشرك الله مع الظالمين.

ص: ١٨٩

ثم ألقى القلنسوة ودعا بخارقة فشدها بها رأسه واستدعى قلنسوة أخرى فلبسها واعتم عليها ونظر يمينا وشمالا لا يرى أحدا فرفع رأسه إلى السماء فقال اللهم إنك ترى ما يصنع بولد نبيك وحال بنوكلاب بينه وبين الماء. قال حميد بن مسلم فولاه ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناحاً منه إن كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فيكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب فلما رأى ذلك شمر بن ذى الجوشن استدعى الفرسان فصاروا في ظهور الرجال وأمر الرماة أن يرموه فرشقوه بالسهم حتى صار كالقنفذ ونادى شمر الفرسان والرجال فقال ويلكم ما تنتظرون بالرجل ثكلتكم أمهاتكم فحمل عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك على كتفه اليسرى فقطعها وضربه أخرى منه على

عاتقه فكبا منها على وجهه فطعنه سنان بن أنس بالرمح فصرعه وبدر إليه خولى بن يزيد الصبحى فنزل ليجتز رأسه فأرعد فقال له شمر فت الله فى عضدك ما لك ترعد فنزل إليه فذبحه ثم دفع رأسه إلى خولى بن يزيد فقال احمله إلى الأمير عمر بن سعد ثم أقبلوا على سلب الحسين ع وجاء عمر بن سعد فصاح النساء فى وجهه وبكين فقال لأصحابه لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النساء ولا تعرضوا لهذا الغلام المريض يعنى على بن الحسين فسألته النسوة أن يسترجع ما أخذ منهن ليسترن به فقال من أخذ من متاعهن شيئا فليرده فوالله ما رد أحد منهم شيئا ونادى عمر لعنه الله من يندب للحسين فيوطيه فرسه فانتدب عشرة منهم فداسوا الحسين ص بخيولهم حتى رضوا ظهره وأقبل فرس الحسين ع حتى لطح عرفه وناصيته بدم الحسين ع وجعل يركض ويصهل فسمع بنات النبی ص صهيله فخرجن فإذا الفرس بلا راكب فعرفن أن حسين ع قد قتل وخرجت أم كلثوم بنت الحسين واضعة يدها على رأسها تندب وتقول وا محمداه هذا حسين بالعراء قد سلب العمامة والرداء .

وقال الباقر ع أصيب الحسين بن على ع ووجد به ثلاثمائة وبضعا وعشرين طعنة برمح أو ضربة بسيف أورمية بسهم

وروى أنها كانت كلها فى مقدمته لأنه ع كان لا يولى. وبعث عمر بن سعد برأس الحسين ع إلى ابن زياد عليهم لعائن الله فأقبل سنان

ص: ١٩٠

لعنه الله حتى أدخل رأس الحسين ع على ابن زياد لعنه الله وهو يقول

املاً ركابى فضة وذهباً أنا قتلت الملك المحباً قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم إذ ينسون نسباً

قال ابن زياد ويحك إذا علمت أنه خير الناس أبا وأما فلم تقتله إذا فأمر به وضرب عنقه وعجل الله بروحه إلى النار وأرسل ابن زياد لعنه الله إلى أم كلثوم بنت الحسين ص فقال الحمد لله الذى قتل رجالكم فكيف ترين ما فعل الله بكم فقالت ع يا ابن زياد لئن قرت عينك بقتل الحسين ع فطال ما قرت عين جده ص به وكان يقبله ويلثم شفثيه ويضعه على عاتقه يا ابن زياد أعد لجده جواباً فإنه خصمك غدا قال حاجب عبيد الله بن زياد لعنهم الله لما جاء برأس الحسين ع أمر فوضع بين يديه فى طشت من ذهب وجعل يضرب بقضيب فى يده على ثناياه ويقول لقد أسرع الشيب إليك يا أبا عبد الله فقال رجل من القوم مه فإنى رأيت رسول الله ص يلثم حيث تضع قضيبك فقال يوم بيوم بدر ثم أمر بعلى بن الحسين ع فغل وحمل مع السبايا والنسوة إلى السجن وكنت معهم فما مررنا بزقاق إلا وجدناه ملآن رجالاً ونساء يضربون وجوههم ويكون فحبسوا فى سجن وضيق عليهم ثم إن ابن زياد لعنه الله دعا بعلى بن الحسين ع والنسوة وأحضر رأس الحسين ص وكانت زينب بنت على فيهم فقال ابن زياد لعنه الله الحمد لله الذى فضحككم وقتلكم وأكذب أحاديثكم فقالت زينب ع الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيراً إنما يفضح الله الفاسق ويكذب الفاجر قال كيف رأيت صنع الله بكم أهل البيت قالت كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فيتحاكمون عنده

فغضب ابن زياد لعنه الله وهم بها فسكن منه عمر بن حريث فقالت زينب يا ابن زياد وحسبك ما ارتكبت منا فلقد قتلت رجالنا وقطعت أصلنا وأبحت حريمنا وسبيت نساءنا وذرارينا فإن كان ذلك للاشتفاء فقد اشتفيت فأمر ابن زياد بردهم إلى السجن وبعث البشائر إلى النواحي يقتل الحسين ثم أمر بالسبايا ورأس الحسين فحملوا إلى الشام. ولقد حدثني جماعة كانوا أخرجوا في تلك الصحبة أنهم كانوا يسمعون بالليالي نوح الجن على الحسين ع إلى الصباح وقالوا فلما دخلنا دمشق أدخل بالنساء السبايا بالنهار

ص: ١٩١

مكشفاة الوجوه فقال أهل الشام الجفاة ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء فمن أنتم فقالت سكينه بنت الحسين ع نحن سبايا آل محمد فأقيموا على درج المسجد حيث يقام السبايا وفيهم علي بن الحسين ع وهو يومئذ فتى شاب فأتاهم شيخ من أشياخ أهل الشام فقال لهم الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وقطع قرن الفتنة فلم يأل عن شتمهم فلما انقضى كلامه فقال له علي بن الحسين ع أ ما قرأت كتاب الله عز وجل قال نعم قال أ ما قرأت هذه الآية قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى قال بلى قال فنحن أولئك. ثم قال أ ما قرأت وآت ذا القربى حقه قال بلى قال فنحن هم. ثم قال فهل قرأت هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً قال بلى قال فنحن هم فرفع الشامي يده إلى السماء. ثم قال اللهم إني أتوب إليك ثلاث مرات اللهم إني أبرأ إليك من عدو آل محمد ومن قتل أهل بيت محمد لقد قرأت القرآن فما شعرت بهذا قبل اليوم. ثم أدخل نساء الحسين ع على يزيد بن معاوية لعنهما الله وأخزاهما فصحن نساء أهل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن وأقمن المأتم ووضع رأس الحسين ع بين يديه لعنه الله فقالت سكينه والله ما رأيت أقسى قلباً من يزيد ولا رأيت كافراً ولا مشركاً أشر منه ولا أجفى منه ووضع الرأس بين يديه وأقبل يزيد ويقول وينظر إلى الرأس

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل لاستهلوا واستطاروا فرحاً ولقالوا يا يزيد لا تشل ما أبالي بعد فعلى بهم نزل الويل عليهم أم رحل لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل قد قتلنا القرم من أنبائهم وعدلناه ببدر فاعتدل فبذاك الشيخ أوصاني به فاتبعت الشيخ في قصد سيل لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل

ثم أمر برأس الحسين ع فنصب على باب مسجد دمشق. فروى عن فاطمة بنت الحسين ع أنها قالت لما أجلسنا بين يدي يزيد لع رق لنا أول

ص: ١٩٢

شيء وألطفنا ثم إن رجلاً من أهل الشام اسمه حمر قام إليه فقال له يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية يعينني وكنت جارية وضيئة فأرعبت وفرغت وظننت أنه يفعل ذلك فأخذت بثياب أختي وهي أكبر مني وأعقل. فقالت له كذبت والله ولعنت ما ذاك لك ولا له فغضب يزيد لع وقال بل كذبت والله لو شئت لفعلته قالت لا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا فغضب يزيد لعنه الله ثم قال إياي

تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك فقالت بدين الله ودين جدى وأبى وأخى اهتديت أنت وجدك وأبوك قال كذبت يا عدو الله قالت أمير يشتم ظالما ويقهر بسلطانه قالت فكأنه لعنه الله استحيا فسكت فعاد الشامي لعنه الله فقال يا أمير المؤمنين هب لى هذه الجارية فقال اعزب وهبك الله حتفا قاضيا. ثم إن يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين ع والأطفال مع على بن الحسين ع فى مجلس لا يكتهم من حر ولا برد حتى تقشرت وجوههن ولم يرفع بيت المقدس حجر على وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط وأبصر الناس الشمس على الحيطان حمراء كأنها الملاحف المعصفرة إلى أن خرج على بن الحسين ع بالنسوة ورد رأس الحسين ع إلى كربلاء. ثم ندب يزيد النعمان بن بشير وقال له تجهز لتخرج بهؤلاء النسوة إلى المدينة ولما أراد أن يجهزهم دعا بعلى بن الحسين ع فاستخلاه ثم قال لعن الله ابن مرجانة أما والله لوأنى صاحبت أباك ما سألتى خصلة إلا أعطيتها إياها ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولكن الله قضى ما رأيت كاتبنى من المدينة وارفع إلى كل حاجة تكون لك وتقدم بكسوته وكسوة أهل بيته وأنفذ معهم فى جملة من أنفذ النعمان بن بشير رسولا وتقدم إليه أن يسير بهم فى الليل ويكون أمامهم حيث لا يفوتون طرفة فإذا أنزلوا نحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم ونزل معهم حيث إن أراد الإنسان من جماعتهم وضوء أوقضاء حاجة لم يحتشم وصار معهم فى جملة النعمان ولم يزل فى الطريق كما وصاه يزيد ويرفق بهم حتى دخلوا المدينة فلم يسمع واعية مثل واعية بنى هاشم فى دورهم على الحسين بن على ع وخرجت أم لقمان بنت عقيل بن أبى طالب حين سمعت بنعى الحسين ع حاسرة ومعها أخواتها

ص: ١٩٣

أم هانى وأسماء ورملة وزينب بنت عقيل بن أبى طالب تبكى قتلاها بالطف وهى تقول

ما ذا تقولون إذ قال النبى لكم ما ذا فعلتم وأنتم آخر الأمم بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم ما كان هذا جزاى إذ نصحت لكم أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحم

وسمع أهل المدينة فى جوف الليل مناديا ينادى يسمعون صوته ولا يرون شخصه

أيها القاتلون ظلما حسينا أبشروا بالعذاب والتنكيل كل أهل السماء يدعو عليكم من نبى وملك وقبيل لقد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وعيسى وصاحب الإنجيل

قالت أم سلمة رضى الله عنها خرج رسول الله ص من عندنا ذات ليلة فغاب عنا طويلا ثم جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة فقلت له يا رسول الله ما لى أراك أشعث مغبرا فقال أسرى بى فى هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلاء فرأيت فيه مصرع الحسين وأهلى وجماعة من ولدى وأهل بيتى فلم أزل ألقط دمائهم فها هى فى يدى وبسطها إلى وقال لى خذيه واحتفظى به فأخذته فإذا هوشبه تراب أحمر فوضعته فى قارورة وشدت رأسها واحتفظت بها فلما خرج الحسين ع من مكة متوجها نحو العراق وكنت أخرج القارورة فى كل يوم وليلة فأشمها وأنظر إليها ثم أذكر بمصابه فلما كان اليوم العاشر من المحرم أخرجتها فى أول النهار

وهى بحالها ثم عدت إليها آخر النهار فإذا هودم عبيط فصحت فى بيتى وبكيت وكظمت غيظى مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسروا بالشماتة فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتى جاء الناعى بنعيه فحقق ما رأيت

قال أبو عبد الله ع لما ضرب الحسين بن على ع بالسيف ثم ابتدر ليقطع رأسه نادى مناد من قبل الله رب العزة تبارك وتعالى من بطنان العرش فقال ألا أيتها الأمة المتحيرة الظالمة الضالة بعد نبيها لا وفقكم الله لأضحى ولا فطر ثم قال أبو عبد الله ع لا جرم والله ما وفقوا ولا يوفقون أبدا حتى يقوم نائر الحسين ع

قال شيخ من أشياخ بنى سليم غزونا بلاد الروم فدخلنا كنيسة من كنائسهم فوجدنا مكتوبا

أ ترجوامة قتلت حسيننا شفاعة جده يوم الحساب

ص: ١٩٤

فسألناهم منذ كم هذا فى كنيستكم فقالوا قبل أن يبعث نبيكم بثلاث مائة عام

وقال الصادق ع وكل الله عز وجل بقبر الحسين أربعة آلاف ملك شعنا غربا يبيكونه إلى يوم القيامة فمن زاره عارفا بحقه شيعوه حتى يبلغوه مأمنه وإن مرض عادوه غدوة وعشيا وإن مات شهدوا جنازته واستغفروا له يوم القيامة

قال موسى بن جعفر ع من زار قبر الحسين ص عارفا بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وقال الباقر ع مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين ع فإن زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع وزيارته مفترضة على من أقر للحسين بالإمامة من الله عز وجل

قال بشير الدهان قلت لأبى عبد الله ع ربما فاتنى الحج فأعرق عند قبر الحسين ع قال أحسنت يا بشير أيما مؤمن أتى قبر الحسين ع عارفا بحقه فى غير يوم عيد كتبت له عشرون حجة وعشرون عمرة مبرورات متقبلات وعشرون غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل ومن أتاه فى يوم عيد كتبت له مائة حجة ومائة عمرة ومائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل فقلت له فكيف لى بمثل هذا الموقف قال فنظر إلى شبه المغضب ثم قال يا بشير إن المؤمن لو أتى قبر الحسين ع يوم عرفة واغتسل بالفرات ثم توجه إليه كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها ولا أعلمه إلا قال وغزوة

وقال أبو عبد الله ع من أتى قبر الحسين ع عارفا بحقه كتب الله له أجر من أعتق ألف نسمة وكمن حمل ألف فرس فى سبيل الله مسرجة ملجمة ومن زاره كان الله له من وراء حوائجه وكفى ما همه من أمر دنياه فإنه يجلب الرزق على العبد ويخلف عليه ما ينفق ويغفر له ذنوب خمسين سنة ويرجع إلى أهله وما عليه وزر ولا خطيئة إلا وقد محيت من صحيفته فإن هلك فى سفرته نزلت الملائكة فغسلته وفتح له باب إلى الجنة يدخل بذلك عليه روحها حتى ينشر وإن سلم فتح له الباب الذى ينزل منه رزقه ويجعل له بكل درهم أنفق عشرة

آلاف درهم وذخر له ذلك وإذا حشر قيل له لك بكل درهم عشرة آلاف درهم إن الله نظر لك فذخرها لك عنده

وقال ع ليس ملك في السماوات إلا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة الحسين ع ففوج ينزل وفوج يعرج

ص: ١٩٥

وقال ع من زار قبر الحسين ع يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة مع القائم ومائة ألف ألف عمرة مع رسول الله ص وعنت ألف ألف نسمة وحملان وألف ألف فرس في سبيل الله وسماه عبدی الصديق آمن بوعدی وقالت الملائكة فلان صديق زكاه الله من فوق عرشه وسمى في الأرض كروبا

وقال ع من زار قبر الحسين ع ليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة عرفة في سنة واحدة كتب له الله ألف حجة مبرورة وألف عمرة متقبلة وقضيت له ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة

وقال الحسن العسكري ع علامات المؤمن خمس صلاة إحدى والخمسين وزيارة الأربعين والتختم باليمين وتعفير الجبين والجهر بيسم الله الرحمن الرحيم

ومضى الحسين ص يوم السبت العاشر من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة بعد صلاة الظهر منه قتيلا مظلوما وسنه يومئذ ثمان وخمسون سنة ويقال سبع وخمسون سنة ويقال ست وخمسون سنة وخمسة أشهر أقام مع رسول الله ص سبع سنين ومع أبيه أمير المؤمنين ع سبعا وثلاثين سنة ومع أخيه الحسن ع سبع وأربعين سنة وكانت مدة خلافته بعد أخيه عشر سنين. قال الشاعر

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد مترملا بدمائه ترميلا قتلوك عطشانا ولم يرتقبوا في قتلک التنزيل والتأويل ويكبرون بأن قتلنا وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلة

وآخر

ويل لمن شفعأوه خصمأوه والصور في نشر الخلائق ينفخ لا بد أن ترد القيامة فاطم وقيصها بدم الحسين ملطخ

وقال آخر

أ فاطم لو أبصرت بالطف من هنا حسينا صريعا بالسيوف مجزعا غداة أحاطت بالحسين كتائب عليها ابن سعد يسعر الحرب ممرعا إلى ابن رسول الله وابن وصيه فما كان أدهى ذاك أمرا وأقطعا ينسى تقى كربلاء وكربها وسبط رسول الله بالطف صرعا

ص: ١٩٦

مجلس فى ذكر إمامة أبى محمد على بن الحسين زين العابدين ومناقبه ويكنى ع بأبى الحسن أيضا

والإمام بعد الحسين بن على بن الحسين ع بدليل اعتبار الشرائط العقلية ونص رسول الله ص وأبيه ع وقد بينا ذلك فلا وجه لإعادته

قال الزهرى كنت عند على بن الحسين فجاء رجل من أصحابه فقال له على بن الحسين ما خبرك أيها الرجل فقال الرجل خبرى يا ابن رسول الله أنى أصبحت وعلى خمسمائة دينار دين لا قضاء عندى لها ولى عيال ثقال ليس لى ما أدعوا عليهم به قال فبكى على بن الحسين بكاء شديدا فقبل له ما يبيكىك يا ابن رسول الله فقال وهل بعد البكاء إلا المصائب والمحن الكبار قالوا كذلك يا ابن رسول الله قال فأية محنة ومصيبة أعظم على حرمة مؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن خلة فلا يمكنه سدها ويشاهده على فاقة فلا يطيق رفعها قال وتفرقوا عن مجلسهم ذلك فقال بعض من المخالفين وهويطعن على بن الحسين ع عجباً لهؤلاء يدعون أن السماء والأرض وكل شىء تطيعهم وأن الله لا يردهم عن شىء طلبا لهم ثم يعترفون أخرى بالعجز عن إصلاح خواص إخوانهم فاتصل بالرجل صاحب القصة فجاء إلى على بن الحسين ع فقال يا ابن رسول الله بلغنى عن فلان كذا وكذا وكان ذلك أغلظ على من محتى فقال على بن الحسين ع فقد أذن الله فى فرجك يا فلانة احملى سحورى وفطورى فحملت قرصتين فقال على بن الحسين ع للرجل خذهما فليس عندنا غيرهما فإن الله يكشف عنك بهما وينيلك خيرا واسعا منهما فأخذهما الرجل ودخل السوق ما يدرى ما يصنع بهما يتفكر فى ثقل دينه وسوء حال عياله ويوسوس إليه الشيطان أين موقع هاتين من حاجتك فمر بسماك قد باتت عليه سمكته قد أراحت فقال له سمكتك هذه باثرة عليك وإحدى قرصتى هاتين باثرة على فهل لك أن تعطينى سمكتك البائرة وتأخذ قرصتى هذه البائرة فقال نعم فأعطاه السمكة وأخذ القرصة ثم مر برجل

ص: ١٩٧

معه ملح قليل مزهود فيه فقال هل لك أن تعطينى ملحك هذا المزهود فيه بقرصتى هذه المزهود فيها قال نعم ففعل فجاء الرجل بالسمكة والملح فقال أصلح هذه بهذا فلما شق بطن السمكة وجد فيها لؤلؤتين فاخرتين فحمد الله عليهما فبينما هو فى سروره ذلك إذ قرع بابه فنظر من الباب فإذا صاحب السمكة وصاحب الملح قد جاء يقول كل واحد منهما له يا عبد الله جهدنا أن نأكل نحن أو أحد من عيالنا هذا القرص فلم تعمل فيه أسناننا وما نظنك إلا وقد تناهيت فى سوء الحال ومرنت على الشقاء قد رددنا عليك القرصين فأخذ القرصين منهما فلما استقر بعد انصرافهما عنه قرع رجل بابه فإذا رسول على بن الحسين ع فدخل فقال إنه يقول لك إن الله قد أتاك الفرج فاردد طعامنا فإنه لا يأكله غيرنا وباع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى دينه منه وحسنت بعد ذلك حاله فقال بعض المخالفين ما أشد هذه التفاوت بينا على بن الحسين لا يقدر أن يسد منه فاقته إذا غناه هذا الغناء العظيم كيف يكون هذا وكيف يعجز عن سد الفاقة من يقدر على الغناء العظيم فقال على بن الحسين ع هكذا قالت قریش للنبي ص كيف يمضى إلى بيت المقدس ويشاهد ما فيه من آثار الأنبياء من مكة ويرجع إليها فى ليلة واحدة من لا يقدر أن يبلغ مكة إلى المدينة إلا فى اثنى عشر يوما وذلك حين

هاجر منها ثم قال على بن الحسين ع جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه أن المراتب الرفيعة لا تنال إلا بالتسليم لله جل ثناؤه وترك الاقتراح عليه والرضا بما يدرهم به إن أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبرا لم يساوهم فيه غيرهم فجازاهم الله عز وجل عن ذلك بإزاء ما وجب لهم نجح جميع طلباتهم لكنهم مع ذلك لا يريدون منه إلا ما يريد له

وقال الزهري حدثنا على بن الحسين ع وكان أفضل هاشمي أدركناه قال أحبونا حب الإسلام ما زال حبكم لنا حتى صار شينا علينا

وقال الباقر ع كان على بن الحسين ع يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة

وروى أن بينه وبين محمد بن الحنفية جرى منازعة في الإمامة فقال له زين العابدين ع فانطلق حتى أتيا قرب حجر الأسود فقال لمحمد ابتدئ وابتهل إلى الله ورسوله أن ينطق لك الحجر ثم أسأله وابتهل محمد في الدعاء ودعا الحجر الأسود فلم

ص: ١٩٨

يجبه فقال على ع أما إنك يا عم لو كنت وصيا وإماما لأجأبك فقال له محمد فادع أنت يا ابن أخ وسله فدعا الله على بن الحسين ع بما أراد ثم قال أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الأجمعين لما أخبرتنا بلسان عربي مبين من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي وتحرك الحجر حتى كاد أن يزول من موضعه ثم أنطقه الله بلسان عربي مبين وقال اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي لعلي بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ص وانصرف محمد بن الحنفية وهو يتولى على بن الحسين ع وذكر لعلي بن الحسين ع فضله فقال حسبنا أن نكون من صالح قومنا

وقال طاوس دخلت الحجر في الليل فإذا على بن الحسين قد دخل فقام يصلي فصلى ما شاء الله ثم سجد قال قلت رجل صالح من أهل الخير لأستمعن إلى دعائه فسمعته يقول في سجوده عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك سائلك بفنائك قال طاوس فما دعوت بهن في كرب إلا فرج عني

وقال طاوس مررت بالحجر فإذا أنا بشخص راكم وساجد فتأملته فإذا هو على بن الحسين ع فقلت يا نفس رجل صالح من أهل بيت النبوة والله لأغتنم دعاه فجعلت أرقبه حتى فرغ من صلاته ورفع باطن كفيه إلى السماء وجعل يقول إلهي سيدي سيدي هذه يداي قد مددتها إليك بالذنوب مملوءة وعيناي بالرجاء ممدودة وحق لمن دعاك بالندم تذلا أن تجيبه بالكرم تفضلا سيدي أ من أهل الشقاء خلقتني فأطيل بكاي أ من أهل السعادة خلقتني فأبشر رجائي سيدي أ لضرب المقام خلقت أعضائي أ لشرب الحميم خلقت أمعائي سيدي لو أن عبدا استطاع الهرب من مولاه لكنت أول الهاربين منك لكني أعلم أنني لا أفوتك سيدي لو أن عذابي مما يزيد في ملكك سألتك الصبر عليه غير أنني أعلم أنه لا يزيد في ملكك طاعة المطيعين ولا ينقص منه معصية العاصين سيدي ها أنا وما خطري هب لي بفضلك وجللني بسترک واعف عن توبيخي بكرم وجهك

إلهي وسيدى ارحمنى مصروعا على الفراش تقلبنى أيدى أحبتي وارحمنى مطروحا على المغتسل يغسلنى صالح جيرتى وارحمنى محمولا قد تناول الأقرباء بأطراف جنازتى وارحم فى ذلك البيت المظلم وحشتى وغربتى ووحدتى قال طاوس فبكيت حتى علا نحيبى فالتفت إلى فقال ما يبكيك يا يمانى أ وليس هذا مقام

ص: ١٩٩

المدنبن فقلت حبيبى حقيق على الله أن لا يردك وجدك محمد ص

وروى أن على بن الحسين ع الثالث ناقتة عليه فى مسيرها فأشار إليها بالقضيب ثم قال آه لولا القصاص ورد يده عنها

وروى أنه حج ماشيا فسار عشرين يوما من المدينة إلى مكة قال زرارة بن أعين سمع سائل فى جوف الليل وهو يقول أين الزاهدون فى الدنيا الراغبون فى الآخرة فهتف به هاتف من ناحية البقيع يسمع صوته ولا يرى شخصه كان ذلك على بن الحسين ع

وروى أن جارية لعلى بن الحسين ع كانت تسكب عليه الماء ليتهاى للصلاة فنعتت فسقط الإبريق من يد الجارية فشجه فرفع رأسه إليها فقالت له الجارية إن الله يقول وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ قَالَ قد كظمت غيظى قالت وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ قَالَ عفا الله عنك قالت وَاللَّهِ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ قال فاذهبى فأنت حرة

قال عمرو بن دينار حضرت يزيد بن أسامة بن زيد الوفاة فجعل يبكى فقال له على بن الحسين ع ما يبكيك قال يبكينى أن على خمسة عشر ألف دينار ولم أترك لها وقال فقال على بن الحسين ع لا تبكى فهى على وأنت منها برىء فقضاها عنه قال على بن الحسين ع نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين وسادة المؤمنين وقادة الغر المحجلين وموالى المؤمنين ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها وبنا ينزل الغيث وبنا ينشر الرحمة ويخرج بركات الأرض ولولا ما فى الأرض منا لساخت بأهلها ثم قال ع ولم يخلو الأرض مذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهود أو غائب مستور ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها ولولا ذلك لم يعبد الله

قال سليمان فقلت للصادق ع فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور قال كما ينتفع بالشمس إذا سترها السحاب

وروى أن هشام بن عبد الملك حج فى خلافة عبد الملك فطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر فلم يقدر عليه من الزحام فنصب له منبر وأطاف به أهل الشام فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين ع وعليه إزار ورداء من أحسن الناس وجها وأطيبهم رائحة بين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحى الناس عنه حتى يستلمه هيبه له وإجلالا فغاض ذلك هشاما فقال رجل من أهل الشام

ص: ٢٠٠

لهشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة وأفرجوا له عن الحجر فقال هشام لا أعرفه لأن لا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا لكنى أعرفه فقال الشامى من هويا أبا فراس فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم هذا على رسول الله والده أمست بنور هداه تهتدى الظلم إذا رآته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم يمنى إلى ذروة العز التى قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم ينشق نور الدجى عن نور غرته كالشمس تنجذب عن إشراقها الظلم بكفه خيزران ريحه عقب من كف أروع فى عرينه شمم مشتقة من رسول الله نبوته طابت عناصره والخيم الشيم حمال أقال أقوام إذا وفدوا حلوا الشمائل تحلو عنده نعم ما قال لا قط إلا فى تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا الله فضله قدما وشرفه جرى بذاك له فى لوحه القلم من جده دان فضل الأنبياء له وفضل أمته دانت له الأمم عم البرية بالإحسان فانقشعت عنها العماية والإملاق والظلم كلتا يديه غياث عم نفعهما يستوكفان ولا يعرفهما عدم سهل الخليفة لا يخشى بواده تزيينه خصلتان الخلق والكرم لا يخلف الوعد ميمون نقيته رحب الفنا أديب حين يعتزم من معشر حبه دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم يستدفع السوء والبلوى بحبهم ويسترد به الإحسان والنعم مقدم بعد ذكر الله ذكرهم فى كل يوم ومختوم به الكلم إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

ص: ٢٠١

لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وإن كرموا هم الغيوث إذا أزمة وأزمت والأسد أسد الشرى والبأس محتدم يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم خيم كريم وأيدى بالندى هضم لا ينقص العسر بسطا من أكفهم سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا أى الخلائق ليست فى رقابهم لأولوية هذا أوله نعم من يعرف الله يعرف أولية ذافالدين من بيت هذا ناله الأمم

قال فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق فحبس بعسفان بين مكة والمدينة فبلغ ذلك على بن الحسين ع فبعث إليه بائنى عشر ألف درهم. وقال أعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به فردها وقال يا ابن رسول الله ما قلت الذى قلت إلا لرضا الله ورسوله وما كنت لآخذ شيئا فردها إليه وقال بحقى عليك لما قبلتها فقد رأى الله مكانك وعلم نيتك فقبلها فجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو فى الحبس فكان مما هجا به قوله

أ تحبسنى بين المدينة والتى إليها قلوب الناس يهوى منيها يقلب رأسا لم يكن رأس سيد وعين له حواء باد عيوبها

فبعث إليه فأخرجه. وكان مولد علي بن الحسين ع يوم الجمعة ويقال يوم الخميس لتسع خلون من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة ويقال سنة ست وثلاثين من الهجرة فبقى مع جده أمير المؤمنين ع سنتين ومع عمه اثنتي عشرة سنة ومع أبيه الحسين ثلاثا وعشرين سنة وبعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة وتوفي بالمدينة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة خمس وتسعين من الهجرة وله يومئذ سبع وخمسون سنة وكانت إمامته أربعاً وثلاثين سنة. وأمّه شاه زنان بنت يزدجرد بن شهریار بن كسرى ويقال إن اسمها كان شهربانويه ويقال شاه زنان بنت شيرويه بن كسرى أبرويز. وكان أمير المؤمنين ع ولي حريث بن جابر الحنفى جانباً من المشرق فبعث إليه بنتى يزدجرد بن شهریار بن كسرى فنحل ابنه الحسين ع شاه زنان منهما فأولدها زين العابدين ع ونحل الأخرى محمد بن أبى بكر فولدت له القاسم بن محمد بن أبى بكر فهما ابنا خالة

ص: ٢٠٢

قال الرضا ع إن لكل إمام عهداً فى عنق أوليائهم وشيعتهم وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة فى زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كان أثمتهم شفعا لهم يوم القيامة قال الصادق ع من زار إماماً مفترضاً طاعته وصلى أربع ركعات كتب الله له حجة مبرورة وعمرة مشكورة وقال ع من زار واحداً منا كان كمن زار رسول الله ص

مجلس فى ذكر إمامة أبى جعفر محمد بن على الباقر ع ومناقبه

والإمام بعد على بن الحسين ع أبو جعفر محمد بن على الباقر بنص أبيه عليه واعتبار الشرائط العقلية وهوع قد برز على جماعتهم بالفضل فى العلم والزهد وكان أكثرهم ذكراً وأجلهم فى الخاصة والعامة ولم يظهر عن أحد منهم من ولد الحسن والحسين ع من علم الدين والآثار وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر عن أبى جعفر ع. وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين وكان فى وصية أمير المؤمنين ع إلى ولده ذكر محمد بن على والوصاية وسماه رسول الله ص وعرفه بباقر العلم

وقال جابر قال رسول الله ص لى يوشك أن تبقى يا جابر حتى تلقى ولدا لى من الحسين يقال له محمد بن على يبقر علم الدين بقرا فإذا لقينته فأقرئه منى السلام

قال الباقر ع دخلت على جابر بن عبد الله الأنصارى فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال لى من أنت وذلك بعد ما كف بصره فقلت محمد بن على بن الحسين فقال يا بنى اذن منى فدنوت منه فقبل يدي ثم أهوى إلى رجلى يقبلها فتنحيث عنه ثم قال لى إن رسول الله ص يقرئك السلام فقلت وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته وكيف ذاك يا جابر فقال كنت معه ذات يوم فقال لى يا جابر لعلك أن تبقى

ص: ٢٠٣

حتى تلقى رجلاً من ولدى يقال له محمد بن على بن الحسين يهب الله له النور والحكمة فأقرئه منى السلام

قال عبد الله بن عطاء المكي ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع ولقد رأيت الحكم بن عيينة مع جلالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه وكان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عن محمد بن علي ع قال حدثني وصي الأوصياء وولي الأولياء ووارث علم الأنبياء محمد بن علي بن الحسين ع

قال الربيع سألت أبا إسحاق عن المسح فقال أدركت الناس يمسحون حتى لقيت رجلا من بني هاشم لم أر مثله قط يقال له محمد بن علي بن الحسين فسألته عن المسح فنهاني عنه وقال لم يكن أمير المؤمنين ع يمسح وكان يقول سبق الكتاب المسح على الخفين

وقال الباقر ع في قوله تعالى فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ قَالَ نحن أهل الذكر

قال أبو زرعة صدق محمد بن علي ولعمري إن أبا جعفر لمن أكبر العلماء

وروى أن هشام بن عبد الملك حج فدخل المسجد الحرام متكئا على يدي سالم مولاه ومحمد بن علي بن الحسين جالس في المسجد فقال له سالم يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي بن الحسين فقال له هشام المفتون به أهل العراق قال نعم قال فاذهب إليه وقل له يقول أمير المؤمنين ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة قال له أبو جعفر ع يحشر الناس على مثل فرضة النهر فيها أنهار منفجرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب قال فرأى هشام أنه قد ظفر به فقال الله أكبر اذهب إليه فقل له ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ فقال له أبو جعفر ع هم في النار أشغل ولم يشغلوا حتى قالوا أفيضوا علينا من الماء أَوْمِئًا رَزَقَكُمُ فَسَكَتَ هشام ولم يراجع

وروى أن عمرو بن عبيد وفد على محمد بن علي بن الحسين ع ليمتحنه بالسؤال فقال له جعلت فداك ما معنى قوله تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا مَا هَذَا الرَّتْقُ وَالْفَتْقُ قَالَ أبو جعفر ع كانت السماء رتقا لا تنزل القطر وكانت الأرض رتقا لا تخرج

ص: ٢٠٤

النبات فانقطع عمرو ولم يجد اعتراضا ومضى ثم عاد إليه فقال جعلت فداك أخبرني عن قوله تعالى وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى مَا غَضِبَ اللَّهُ قَالَ أبو جعفر ع غضب الله عقابه يا عمرو ومن قال إن الله يغيره شيء فقد كفر

وروى أن نافع بن الأزرق جاء إلى محمد بن علي بن الحسين ع فجلس بين يديه يسأله عن مسائل في الحلال والحرام قال له أبو جعفر ع في أثناء كلامه قل لهذه المارقة بما استحللتم فراق أمير المؤمنين ع وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته والقربة إلى الله في نصرته وسيقولون لك إنه قد حكم في دين الله فقل لهم قد حكم الله في شريعة نبيه ص رجلين من خلقه فقال فَاْبْعُثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا وحكم رسول الله ص سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم فيهم بما أمضاه الله عز وجل

أوما علمتم أن أمير المؤمنين ع إنما أمر الحاكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدياه واشترط رد ما خالف القرآن من أحكام الرجال وقال حين قالوا له قد حكمت على نفسك من حكم عليك فقال ما حكمت مخلوقا وإنما حكمت كتاب الله فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكمين بالقرآن واشترط رد ما خالفه لولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان فقال نافع بن الأزرق هذا والله كلام ما مر بسمعى قط ولا خطر ببالي وهو الحق إن شاء الله وكان ع مع هذه الحال العظيمة والرئاسة والإمامة ظاهر الجود في الخاصة والعامة مشهورا بالكرم في الكافة مع كثرة عياله وتوسط حاله

قال عمرو بن دينار وعبد الله بن عمير ما لقينا أبا جعفر محمد بن علي ع إلا وحمل إلينا النفقة والصلة والكسوة ويقول هذه معدة لكم قبل أن تلقوني

قال سليمان بن القاسم كان أبو جعفر محمد بن علي ع يخبرنا بالخمسمائة إلى الستمائة إلى الألف درهم قال الحسن بن كثير شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي الحاجة وجفاء الإخوان فقال بسئس الأخ أخ يرعاك غنيا ويقطعك فقيرا ثم أمر غلامه فأخرج كيسا فيه سبعمائة درهم وقال استنفق هذه فإذا نفدت فأعلمني وروى عنه ع أنه سئل عن الحديث يرسله ولا يسنده فقال إذا حدثت الحديث ولم أسنده فسندي فيه أبي عن جدى عن أبيه عن جده رسول الله ص عن جبرئيل عن الله تعالى قال إني لفي عمرة اعتمرتها في الحجر جالسا إذ نظرت إلى جان

ص: ٢٠٥

قد أقبل من ناحية المسعى حتى دنا من الحجر فطاف بالبيت أسبوعا ثم إنه أتى المقام فقام على ذنبه فصلى ركعتين وذلك عند زوال الشمس فبصر به عطاء وأناس من أصحابه فأتوني فقالوا يا أبا جعفر هل رأيت هذا الجان فقلت رأيته وما صنع ثم قال لهم انطلقوا إليه فقولوا له يقول لك محمد بن علي إن البيت يحضره أعبد وسودان وهذه ساعة خلوته منهم وقد قضيت نسكك ونحن نتخوف عليك منهم فلو خففت وانطلقت قال فكوم كومة من بطحاء المسجد ثم وضع ذنبه عليها ثم مثل في الهواء

عن أبي عبيدة أن رجلا جاء إلى أبي جعفر ع فدخل عليه فقال أنا رجل من أهل الشام لم أزل والله أتولاكم أهل البيت وأتبرأ من أعدائكم وإن أبي لا رحمه الله كان يتولى بنى أمية ويفضلهم عليكم فكنت أبغضه على ذلك وكان يبغضني على حبكم ويحرمني ماله ويجفوني في حياته وبعد مماته وقد كان له مال كثير ولم يكن له ولد غيرى وكان مسكنه بالرملة وكانت له حبيبة يخلو بها لفسقه فلما مات طلبت ماله في كل موضع فلم أظفر به ولست أشك أنه دفنه في موضع وأخافه منى لا رضى الله عنه فقال له أبو جعفر ع أفتحب أن تراه وتسأله أين وضع ماله فقال له الرجل نعم وإنى محتاج فقير فكتب له أبو جعفر كتابا بيده في رق أبيض ثم ختمه بخاتمه ثم قال له تنادى يا درجان فإنه سيأتيك رجل معتم فادفع إليه كتابي وقل أنا رسول محمد بن علي فاسأله عما بدا لك قال فأخذ الرجل الكتاب وانطلق فلما كان من الغد أتيت أبا جعفر معتمدا لأنظر ما

حال الرجل فإذا هو على باب أبي جعفر ع ينتظر متى يؤذن له فدخلنا على أبي جعفر ع فقال له الرجل الله أعلم عند من يضع علمه وقد انطلقت بكتابك الليلة حتى توسطت البقيع فناديت درجانا فأتى رجل معتم فقال أنا درجان فما حاجتك فقلت أنا رسول محمد بن علي إليك وهذا كتابه فقال مرحبا برسول حجة الله على خلقه فأخذ كتابه فقرأه فقال أ تحب أن ترى أباك فقلت نعم قال فلا تبرح من موضعك حتى آتيك به فإنه بضجنان فانطلق فلم يلبث إلا قليلا حتى أتاني برجل أسود في عنقه حبل أسود مدلع لسانه يلهث وعليه سربال أسود فقال لي هذا أبوك ولكن غيره اللهب ودخان الجحيم وجرع الحميم وعذاب الأليم فقلت له أنت أبي فقال نعم قلت من غيرك وغير صورتك قال إني كنت أتولى بنى أمية وأفضلهم على أهل بيت رسول الله ص فعذبنى الله على ذلك

ص: ٢٠٦

وإنك تتولى أهل بيت نبيك وكنت أبغضك على ذلك فأحرمتك مالي ودفنته عنك فأنا اليوم على ذلك من النادمين فانطلق إلى حديثي فاحتفر تحت الزيتون فخذ المال وهومائة وخمسون ألفا فادفع إلى محمد بن علي خمسين ألفا ولك الباقي قال فأني منطلق حتى آتى بالمال قال أبو عبيدة فلما كان الحول قلت لأبي جعفر ع ما فعل الرجل قال قد جاءنا بخمسين ألف قضيت بها ديننا كان علي وابتعت بها أرضا ووصلت منها أهل الحاجة من أهل بيتي أما إن ذلك سينفع الميت النادم على ما فرط من حبنا أهل البيت وضيع من حقنا بما أدخل على من الرفق والسورور وقال ع نحن أهل بيت الرحمة وشجرة النبوة ومعدن الحكمة وموضع الملائكة ومهبط الوحي

وروى أن جابرا كان يقعد في مسجد رسول الله ص وهو معتم بعمامة سوداء وكان ينادى يا باقر العلم يا باقر العلم فكان أهل المدينة يقولون إن جابرا يهجر وكان يقول والله ما أهجر ولكن سمعت رسول الله ص يقول إنك ستدرك رجلا من أهل بيتي اسمه اسمي وشمائله شمائي يبقر العلم بقرا فذاك الذي دعاني إلى ما أقول قال فبينما جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذا هوبطريق في ذلك الطريق كان محمد بن علي بن الحسين ع فلما نظر إليه قال يا غلام أقبل فأقبل ثم قال أدبر فأدبر فقال شمائل رسول الله والذي نفس جابر بيده يا غلام ما اسمك قال اسمي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فأقبل إليه يقبل رأسه وقال بأبي أنت وأمي إن رسول الله يقرئك السلام وقال فرجع محمد بن علي إلى أبيه علي بن الحسين وهو ذعر فأخبره الخبر فقال له يا بني قد فعلها جابر قال نعم قال يا بني الزم بيتك قال وكان جابر يأتيه طرفي النهار وكان أهل المدينة يقولون وا عجباه لجابر يأتي هذا الغلام طرفي النهار وهو آخر من بقى من أصحاب رسول الله فلم يلبث أن مضى علي بن الحسين ع وكان محمد بن علي يأتيه علي وجه الكرامة لصحبته من رسول الله ص قال فجلس فحدثهم عن أبيه فقال أهل المدينة ما رأينا أحدا قط أجراً من هذا قال فلما رأى ما يقولون فحدثهم عن رسول الله ص قال أهل المدينة ما رأينا أحدا قط أكذب من هذا يحدث عنم لم يره قال فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بن عبد الله فصدقوه وكان جابر والله يأتيه ويتعلم منه

ص: ٢٠٧

وولد الباقر ع بالمدينة يوم الثلاثاء وقيل يوم الجمعة لثلاث ليال خلون من صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة وقبض بها في ذى الحجة ويقال في شهر ربيع الأول ويقال في شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة وله يومئذ سبع وخمسون سنة وأمه فاطمة أم عبد الله ع ويقال أم عبدة بنت الحسن بن علي ع وهو هاشمي من هاشميين وعلوى من علويين ص فصار بالفضل علما يضرب به الأمثال ويسير بوصفه الآثار والأشعار وفيه يقول القرطبي

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبي علي الأجل

وقال مالك بن أعين الجهني يمدحه ع

إذا طلب الناس علم القرآن كانت قريش عليه عيالاً وإن قيل أين ابن بنت النبي نلت بذاك فرعاً طوالاً نجوم تهلل للمدحجين جبال تورث علماً جبلاً

وقال محمد بن أبي طلحة العوني

سلام على السجاد ثم على ابنه علي باقر العلم المشتهر بالبقر

مجلس في ذكر أبي عبد الله جعفر بن محمد وإمامته ومناقبه ع

والإمام بعد أبي عبد الله الصادق ع علي ما قدمناه من نص آبائه ع وكان أفضل أهل زمانه فبرز علي أقرانه بالفضل والسؤدد في الخاصة والعامة ونقل الناس عنه من العلوم ما لم ينقل عن أحد من أهل بيته وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنهم من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات وكانوا أربعة آلاف رجل

قال ع لما حضر أبي الوفاة قال يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً قلت جعلت فداك لا أدعهم والرجل يكون منهم في المصر ولا يسأل أحداً

وسئل أبو جعفر ع عن القائم من بعده ف ضرب بيده على أبي عبد الله ع فقال هذا والله قائم آل محمد

قال أبو عبد الله ع إن أبي استودعني ما هناك فلما حضرته الوفاة قال ادع لي شهوداً فدعوت أربعة من قريش منهم نافع مولى عبد الله بن عمر قال اكتب هذا ما أوصى به يعقوب بنيه يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون وأوصى محمد بن علي إلى ابنه جعفر بن محمد وأمره أن يكفنه في برده الذي كان يصلي فيه الجمعة وأن يرفع قبره أربع أصابع وأن يحل عنه أطماره عند دفنه ثم قال للشهود انصرفوا رحمكم الله فقلت له يا أبة ما كان في هذا بأن يشهد عليه قال يا بني كرهت أن تغلب وأن يقال لم يوص إليه فأردت أن تكون لك الحجة

وقال زيد بن علي ع في كل زمان رجل منا أهل البيت يحتاج به الله على خلقه وحجة زماننا ابن أخى جعفر بن محمد ع لا يضل من تبعه ولا يهتدى من خالفه

قال حسان بن سدير رأيت في المنام كأنى دخلت على رسول الله ص وبين يديه طبق عليه منديل قد غطى به وكشف المنديل عن الطبق فإذا فيه رطب فجعل يأكل منه فقلت له أطعمنى يا رسول الله فناولنى رطبة فأكلتها ثم قلت أطعمنى يا رسول الله فناولنى رطبة فأكلتها ثم قلت أطعمنى يا رسول الله فناولنى رطبة فأكلتها حتى ناولنى ثمانية رطبات فقلت زدنى يا رسول الله قال حسبك فانتهيته فلما كان من الغد دخلت على مولاى جعفر بن محمد الصادق ع وبين يديه طبق قد غطى بالمنديل كأنه الذى رأيت به فى المنام فكشف المنديل عنه فإذا عليه رطب فجعل يأكل منه فقلت أطعمنى يا ابن رسول الله فناولنى رطبة فأكلتها حتى ناولنى ثمانية فقلت له زدنى يا ابن رسول الله فقال لوزاد جدى لزديك ولكن حسبك

وروى أن المنصور أمر الربيع بإحضار أبى عبد الله ع فأحضره فلما بصر به المنصور قال له قتلنى الله إن لم أقتلك أ تلحد فى سلطانى وتبغينى الغوائل فقال له أبو عبد الله ع والله ما فعلت ولا أردت فإن كان بلغك فمن كاذب ولو كنت فعلت فقد ظلم يوسف فغفر وابتلى أيوب فصبر وأعطى سليمان فشكر فهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك فقال له المنصور أجل ارتفع هنا فارتفع قال إن فلان بن فلان أخبرنى عنك بما ذكرت فقال له أحضره يا أمير المؤمنين ليواقفنى على ذلك فأحضر الرجل المذكور فقال له المنصور أنت سمعت ما حكيت عن جعفر قال نعم فقال له

ص: ٢٠٩

أبو عبد الله أنت سمعت قال نعم فاستحلفه على ذلك فقال له المنصور أ تحلف قال نعم وابتدأ اليمين قال أبو عبد الله ع للساعى قل برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولى وقوتى لقد فعل كذا وكذا جعفر وقال كذا وكذا جعفر فامتنع منها هنيهة ثم حلف بها فما برح حتى ضرب برجله فقال أبو جعفر جروا برجله فأخرجوه لعنه الله وقال الربيع وكنت رأيت جعفر بن محمد ع حين دخل على المنصور يحرك شفتيه فكلمها حركها سكن غضب المنصور حتى أدناه منه وقد رضى عنه فلما خرج أبو عبد الله ع من عند أبى جعفر اتبعته فقلت له إن هذا الرجل كان من أشد الناس غضبا عليك فلما دخلت عليه وأنت تحرك شفتيك وكلما حركتها سكن غضبه عليك فبأى شىء حركتهما قال بدعاء جدى الحسين بن علي ع قلت جعلت فداك فما هذا الدعاء قال يا عدتى عند شدتى ويا غوثى عند كربتى فاحرسنى بعينك التى لا تنام واكفنى بركنك الذى لا يرام قال الربيع فحفظت هذا الدعاء فما نزلت فى شدة قط إلا دعوت بهذا ففرج عني قال وقلت لجعفر بن محمد ع لم منعت الساعى أن يحلف بالله قال كرهت أن يراه يوحد ويمجده فيحلم عنه ويؤخر عقوبته فاستحلفته بما سمعت فأخذه الله تعالى أخذه رابية

وروى أن داود بن علي بن عبد الله بن عباس قتل المعلى بن خنيس مولى جعفر بن محمد ع وأخذ ماله فدخل عليه وهو يجرد رداءه فقال له قتلت مولاى وأخذت مالى أ ما علمت أن الرجل ينام على الشكل ولا ينام

على الحرب أما والله لأدعون الله عليك فقال له داود تهددنا بدعائك كالمستهزئ بقوله فرجع أبو عبد الله ع إلى داره فلم يزل ليلاه كله قائما وقاعدا حتى إذا كان السحر سمع وهويقول فى مناجاته يا ذا القوة القوية ويا ذا المحال الشديد يا ذا العزة التى كل خلقك لها ذليل اكفنى هذا الطاغية وانتقم لى منه فما كان إلا ساعة حتى ارتفعت الأصوات بالصياح وقيل قد مات داود بن على الساعة

وروى أبوبصير قال دخلت المدينة وكانت معى جويرية فأصبت منها وخرجت إلى الحمام فلقيت أصحابنا الشيعة وهم متوجهون إلى جعفر بن محمد ع

ص: ٢١٠

فخشيت أن يسبقونى ويفوتنى الدخول ومشيت معهم حتى دخلت الدار معهم فلما مشيت بين يدى أبى عبد الله ع نظر إلى ثم قال يا أبا بصير أ ما علمت أن بيوت الأنبياء وأولاد الأنبياء لا يدخلها الجنب فاستحييت وقلت يا ابن رسول الله إنى لقيت أصحابنا وخشيت أن يفوتنى الدخول معهم ولن أعود إلى مثلها أبدا وخرجت فقال أبو عبد الله الصادق ع ألواح موسى ع عندنا وعصا موسى ع عندنا ونحن ورثة الأنبياء

وقال ع عندى سلاح رسول الله ص لا أنازع فيه ثم قال إن السلاح مدفوع عنه لووضع عند شر خلق الله كان خيرهم ثم قال إن هذا الأمر يصير إلى من يلوى إليه الحنك فإذا كانت من الله فيه المشية خرج فيقول الناس ما هذا الذى كان ويضع الله له يدا على رأس رعيته

وروى عمر بن أبان قال سألت أبا عبد الله ع عما يتحدث الناس أنه وقع إلى أم سلمة صحيفة مختومة فقال إن رسول الله ص لما قبض ورث علمه على وسلاحه وما هناك ثم صار إلى الحسن ثم صار إلى الحسين قال فقلت ثم صار إلى على بن الحسين ثم إلى ابنه ثم انتهى عليك قال نعم

قال الصادق ع إن عندى سيف رسول الله ص وإن عندى لراية رسول الله ص المغلبة وإن عندى درعه ولأتمته ومغفره وإن عندى ألواح موسى وعصاه وإن عندى لخاتم سليمان بن داود ع وإن عندى الطست الذى كان موسى يقرب به القربان وإن عندى الاسم الذى كان رسول الله ص إذا وضعه بين المشركين والمسلمين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشابة وإن عندى لمثل الذى جاء به الملائكة ومثل السلاح فىنا كمثل التابوت فى بنى إسرائيل كانت بنو إسرائيل فى أى أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أوتوا النبوة ومن صار إليه السلاح منا أوتى الإمامة ولقد لبس أبى درع رسول الله ص فخطت عليه الأرض خطيطا ولبستها أنا وكانت وقائما إذا لبسها ملأها إن شاء الله

وقال أبو عبد الله ع علمنا غابر ومزبور ونكت فى القلوب ونقر فى الأسماع وإن عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة عندنا وإن عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال وأما الغابر فالعلم بما يكون وأما المزبور

ص: ٢١١

فالعالم بما كان وأما النكت في القلوب فهو الإلهام وأما النقر في الأسماع فهو حديث الملائكة ع يسمع كلامهم ولا ترى أشخاصهم وأما الجفر الأحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله ص ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت وأما الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وكتب الله الأولى وأما مصحف فاطمة ص ففيه ما يكون من حادث وأسماء كل من يملك إلى أن تقوم الساعة وأما الجامعة فهي كتاب طوله سبعون ذراعا إمام رسول الله ص من فلق فيه وخط أمير المؤمنين ع بيده والله فيه جميع ما يحتاج الناس إلى يوم القيامة حتى إن فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة وكان ع يقول حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدى وحديث جدى حديث أمير المؤمنين ع وحديث أمير المؤمنين ع حديث رسول الله وحديث رسول الله قول الله عز وجل

وقال ع إن خبرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينة حصينة قبل وأي شيء المدينة الحصينة قال القلب المجتمع

وروى أنه نزل على أبي عبد الله الصادق ع قوم من جهينة فأضافهم فلما أرادوا الرحلة زودهم ووصلهم وأعطاهم ثم قال لغلما نه تنحوا لا تعينوهم فلما فرغوا جاءوا ليودعوه فقالوا له يا ابن رسول الله لقد أضفت فأحسن الضيافة وأعطيته فأجزلت العطية ثم أمرت غلمانك أن لا يعينونا على الرحلة فقال ع إنا لأهل بيت لا نعين أضيافنا على الرحلة من عندنا

وقال مالك بن أنس فقيه المدينة كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمد ع فيقدم لي مخدة ويعرف لي قدرا ويقول يا مالك إني أحبك فكنت أسر بذلك وأحمد الله عليه قال وكان ع رجلا لا يخلو من إحدى ثلاث خصال إما صائما وإما قائما وإما ذاكرا وكان من عظماء العباد وأكابر الزهاد والذين يخشون ربهم عز وجل وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد فإذا قال قال رسول الله اخضر مرة واصفر مرة أخرى حتى ينكره من يعرفه ولقد حججت معه سنة فلما استوت به راحلته عند الإحرام

ص: ٢١٢

كان كلما هم بالتلبية انقطع الصوت في حلقة وكاد أن يخر من راحلته فقلت يا ابن رسول الله ولا بد لك أن تقول فقال يا ابن أبي عامر فكيف أجسر أن أقول لبيك اللهم لبيك وأخشى أن يقول عز وجل لي لا لبيك ولا سعديك

وكان مولده ع بالمدينة يوم الجمعة عند طلوع الفجر ويقال يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وثمانين ومضى ص في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة. وقيل يوم الإثنين النصف من رجب وله خمس وستون سنة وكانت إمامته أربعاً وثلاثين سنة وأمّه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر

وقال الصادق ع من زارني غفرت له ذنوبه ولم يمت فقيرا

وروى عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري ع أنه قال من زار جعفرا وأباه لم يشتك عينيه ولم يصبه سقم ولم يمت مبتلى

وروى أن الصادق ع كثيرا ما يقول

لكل أناس دولة يرقبونها ودولتنا في آخر الدهر تظهر

وقال محمد بن أبي طلحة العوفي

سلام على الطهر المطهر جعفر سلام على مولى إلى آخر الدهر

وقال السيد الحميري فيه

يا راكبا نحو المدينة جسرة عذافة يطوى بها كل سبب إذا ما هداك الله عاينت جعفرا فقل لولى الله وابن المهذب ألا يا ولى الله وابن ولىه أتوب إلى الرحمن ثم تأوى إليك من الذنب الذى كنت مطمئا أجاهد فيها دائما كل معرب

مجلس فى ذكر إمامة أبى الحسن موسى بن جعفر ومناقبه ع

والإمام بعد أبى عبد الله أبو الحسن موسى ويكنى بأبى إبراهيم ويعرف بالعبد الصالح وبالكاظم لاجتماع خصال الفضل فيه ولنص أبيه عليه بالإمامة

ص: ٢١٣

واعتبار الشرائط العقلية ويكنى أبا على أيضا

قال الفيض بن المختار قلت لأبى عبد الله ع خذ بيدى من النار من لنا بعدك قال فدخل أبو إبراهيم وهو يومئذ غلام فقال هذا صاحبكم فتمسك به

قال معاذ بن كثير قلت لأبى عبد الله ع أسأل الله الذى رزق أباك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك قبل الممات مثلها فقال قد فعل الله ذلك فقلت من هو جعلت فداك فأشار إلى العبد الصالح وهو راقد فقال هذا الراقد وهو يومئذ غلام

قال الحسن بن عبد الله وكان أعبد أهل زمانه وكان زاهدا قلت لأبى الحسن موسى ع فمن الإمام اليوم قال إن أخبرتك تقبل قلت نعم قال أنا قلت فشىء أستدل به فقال اذهب إلى تلك الشجرة وأشار إلى بعض شجر أم غيلان فقل لها يقول لك موسى بن جعفر أقبلى قال فأتيتهما فرأيتها والله تخذ الأرض خدا حتى وقفت بين يديه ثم أشار إليها بالرجوع فرجعت

قال أبو بصير قلت لأبي الحسن موسى ع جعلت فداك بم يعرف الإمام قال بخصال أما أولهن فإنه شيء قد تقدم فيه من أبيه وإشارته إليه ليكون حجة وليسأل فيجيب وإذا سكت عنه ابتداءً ويخبر بما في غد ويكلم الناس بكل كلام ثم قال يا أبا محمد أعطيك علامة قبل أن تقوم فلم ألبث أن دخل عليه رجل من أهل خراسان فكلمه الخراساني بالعربية فأجابه أبو الحسن بالفارسية قال له الخراساني والله ما منعي أن أكلمك بالفارسية إلا أنني ظننت أنك لا تحسن الفارسية فقال له سبحانه الله إذا كنت لا أحسن أن أجيبك فما فضلي عليك فيما يستحق الإمامة ثم قال يا أبا محمد إن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا منطق الطير ولا كلام شيء فيه روح

وروى ابن سنان قال حمل الرشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً أكرمه بها وكان في جملتها دراعة خز سوداء من لباس الملوك مثقلة بالذهب فأنفذ ابن يقطين جل تلك الثياب إلى موسى بن جعفر وأنفذ في جملتها تلك الدراعة وأضاف إليها مالا كان أعده على رسم له فيما يحمله إليه من خمس ماله فلما أوصل ذلك إلى أبي الحسن ع قبل المال والثياب ورد الدراعة على يد الرسول إلى علي بن يقطين وكتب إليه احتفظ بها ولا تخرجها من يدك فسيكون لك بها شأن تحتاج إليها معه فارتاب علي بن يقطين بردها إليه ولم يدر ما سبب ذلك واحتفظ بالدراعة فلما كان بعد أيام تغير على غلام له

ص: ٢١٤

كان يختص به فصرفه عن خدمته وكان الغلام يعرف ميل علي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى ع ويقف على ما يحمله إليه في كل وقت من مال وثياب وأطاف وغير ذلك فسعى به إلى الرشيد فقال إنه يقول بإمامة موسى بن جعفر ويحمل إليه خمس ماله في كل سنة وقد حمل إليه الدراعة التي أكرمه بها أمير المؤمنين في وقت كذا وكذا فاستشاط الرشيد لذلك وغضب غضباً شديداً وقال لأكشف عن هذه الحال فإن كان الأمر كما تقول أزهقت نفسه فأنفذ في الوقت بإحضار علي بن يقطين فلما مثل بين يديه قال له ما فعلت بالدراعة التي كسوتك بها قال هي يا أمير المؤمنين عندي في سبط مختوم فيها طيب قد احتفظت بها وكلما أصبحت فتحت السبط ونظرت إليها تبركا بها وقبلتها ورددتها إلى موضعها وكلما أمسيت صنعت مثل ذلك فقال أحضرها الساعة قال نعم يا أمير المؤمنين فاستدعى بعض خدمه فقال له امض إلى البيت الفلاني من داري وخذ مفتاحه من خازني فافتحه ثم افتح الصندوق الفلاني فجئني بالسبط الذي فيه بختمه فلم يلبث الغلام أن جاء بالسبط مختوما فوضع بين يدي الرشيد فأمر بكسر ختمه وفتحه فلما فتح نظر إلى الدراعة فيها بحالها مطوية مدفونة بالطيب فسكن الرشيد من غضبه ثم قال لعلي بن يقطين ارددها إلى مكانها وانصرف راشداً فلن أصدق عليك بعدها ساعياً وأمر أن يتبع بجائزة سنوية وتقدم بضرب الساعي ألف سوط فضرب نحو الخمسمائة سوط فمات في ذلك

وروى علي بن أبي حمزة البطائني قال خرج أبو الحسن موسى الكاظم ع في بعض الأيام من المدينة إلى ضيعة له خارجة عنها فصحبته وكان ع راكباً بغلة وأنا على حمار لي فلما صرنا في بعض الطريق اعترضنا أسد فأحجمت خوفاً فأقدم أبو الحسن موسى ع غير مكترث به فرأيت الأسد يتدلل لأبي الحسن ع فوقف له

أبو الحسن ع كالمصغى إلى هممته ووضع الأسد يديه على كفل بغلته وقد همتنى نفسى من ذلك خفت خوفا عظيما ثم تتحى الأسد إلى جانب الطريق وحول أبو الحسن موسى وجهه إلى القبلة وجعل يدعويحرك شفثيه بما لم أفهمه ثم أومى إلى الأسد بيده أن امض فهمهم الأسد هممة طويلة وأبو الحسن يقول آمين آمين وانصرف الأسد حتى غاب من أعيننا ومضى أبو الحسن ع لوجهه واتبعته فلما بعدنا عن الموضوع لحقته فقلت له فداك نفسى ما شأن هذا الأسد فلقد خفته عليك

ص: ٢١٥

والله وعجبت من شأنه معك فقال لى أبو الحسن ع إنه خرج يشكو عسر الولادة على لبوته وسألنى أن أسأل الله عز وجل أن يفرج عنها ففعلت ذلك وألقى فى روعى أنها تلد ذكرا فخبرته بذلك فقال لى امض فى حفظ الله فلا سلط الله عليك ولا على ذريتك ولا على أحد من شيعتك شيئا من السباع فقلت آمين آمين

قال على بن يقطين استدعى الرشيد رجلا يبطل به أمر أبى الحسن موسى بن جعفر ع ويقطعه ويخجله فى المجلس فانتدب له رجل معزم فلما أحضرت المائدة عمل نيموسا على الخبز فكان كلما رام خادم أبى الحسن ع تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه واستفز هارون الفرح والضحك لذلك فلم يلبث أبو الحسن ع أن رفع رأسه إلى أسد مصور على بعض الستور فقال له يا أسد خذ عدوا لله قال فوثب ذلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فافترس ذلك المعزم فخر هارون وندمائه على وجوههم مغشيا وطارت عقولهم خوفا من هول ما رأوه فلما أفاقوا من ذلك بعد حين قال هارون لأبى الحسن أسألك بحقى عليك لما سألت الصورة أن ترد الرجل فقال إن كان عصا موسى رد ما ابتلعه من حبال القوم وعصيتهم فإن هذه الصورة ترد ما ابتلعت من هذا الرجل وكانت تلك الأشياء أعمل فى أيامه

قال محمد بن عبد الله البكرى قدمت المدينة أطلب بها دينا فأعيانى فقلت لو ذهبت إلى أبى الحسن موسى بن جعفر ع فشكوت إليه فأتيته فى ضيعته فخرج إلى ومعه غلام معه منسف فيه قديد مجزع وليس معه غيره فأكل وأكلت معه ثم سألنى عن حاجتى فذكرت له قصتى فدخل ولم يلبث إلا يسيرا حتى خرج إلى فقال لغلامه اذهب ثم مد يده إلى فدفع إلى صرة فيها ثلاثمائة دينار ثم قام فولى فقممت فركبت دابتي وانصرفت

وذكر ابن عمار وغيره من الرواة أنه لما خرج الرشيد إلى الحج وقرب من المدينة استقبله الوجوه من أهلها وتقدمهم موسى بن جعفر ع على بغلة فقال له الربيع ما هذه الدابة التى تلقيت عليها أمير المؤمنين وأنت إن طلبت عليها لم تدرك وإن طلبت لم تفت فقال إنها تطأطأت عن خيلاء الخيل وارتفعت عن ذلة العير وخير الأمور أوساها

قال ولما دخل هارون الرشيد المدينة توجه لزيارة النبى ص ومعه الناس فتقدم إلى قبر رسول الله ص فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابن عم مفتخر

ص: ٢١٦

بذلك على غيره فتقدم أبو الحسن ع فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبة فتغير الرشيد وتبين الغيظ فيه

وسأل محمد بن الحسن أبا الحسن بمحضر الرشيد وهم بمكة فقال يجوز للمحرم أن يظل محمله فقال له موسى لا يجوز له ذلك مع الاختيار فقال محمد بن الحسن أ فيجوز له أن يمشى تحت الظلال فقال له نعم فتضاحك محمد بن الحسن من ذلك فقال له أبو الحسن ع أ تعجب من سنة النبي ص وتستهزئ به إن رسول الله ص كشف ظلاله في إحرامه ومشى تحت الظلال وهو محرم إن أحكام الله لا تقاس فمن قاس بعضها على بعض فقد ضل عن سواء السبيل فسكت محمد بن الحسن لا يرجع جوابا

وكان ع أفاقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله عز وجل وأحسنهم صوتا بالقرآن. وكان إذا قرأ تحزن وبكى وبكى السامعون لتلاوته وكان الناس بالمدينة يسمونه زين المجتهدين

فصل فى ذكر وفاته ع

عن أحمد بن عبد الله عن أبيه قال دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على السطح فقال لى ادن فدنوت حتى حاذيته فقال لى أشرف إلى بيت فى الدار فأشرفت فقال ما ترى فى البيت قلت ثوبا مطروحا فقال لى انظر حسنا فتأملت ونظرت فتبينت فقلت رجل ساجد فقال لى تعرفه قلت لا قال هذا مولاك قلت ومن مولاى فقال تتجاهل على فقلت ما أتجاهل ولكنى لا أعرف لى مولى فقال أبو الحسن موسى بن جعفر ع قال لى أتفقد الليل والنهار فلم أجده فى وقت من الأوقات إلا على الحال التى أخبرتك بها إنه يصلى الفجر فيعقب ساعة فى دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجدا حتى تزول الشمس وقد وكل من يترصد الزوال فلست أدرى متى يقول الغلام فقد زالت الشمس إذ يثب فيبتدى بالصلاة من غير أن يحدث وضوء فأعلم أنه لم ينم فى سجوده ولا أغفى فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر فإذا صلى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجدا إلى أن تغيب الشمس فإذا غابت الشمس وثب من سجده يصلى المغرب من غير أن يجدد وضوء ولا يزال فى

ص: ٢١٧

صلاته إلى أن يصلى العتمة فإذا صلى العتمة أفطر على شوى يؤتى به ثم يجدد الوضوء ثم يسجد فلا يزال فى صلاته فى جوف الليل حتى يطلع الفجر فلست أدرى متى يقول الغلام إن الفجر قد طلع إذ قد وثب فصلى الفجر فهذا دأبه منذ حول إلى فقلت اتق الله ولا تحدثن فى أمره حدثا تكون منه زوال النعمة فقد تعلم أنه لم يفعل بأحد منهم إلا كانت نعمته زائلة فقال قد أرسلوا إلى غير مرة يأمروني بقتله فلم أجبهم إلى ذلك وأعلمتهم أنى لا أفعل ذلك ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني فلما كان بعد ذلك حول إلى الفضل بن يحيى البرمكى يحبس عنده أياما وكان الفضل بن الربيع يبعث إليه فى كل ليلة مائدة ويمنع أن يدخل إليه من عند غيره وكان لا يأكل ولا يفطر إلا على المائدة التى يؤتى بها حتى مضى على تلك الحال ثلاثة أيام ولياليها فلما كانت الليلة الرابعة قدمت إليه مائدة الفضل بن يحيى قال ورفع يده إلى السماء فقال يا رب إنك تعلم أنى

لوأكلت قبل اليوم كنت قد أعتت على نفسي قال فأكل فمرض فلما كان من غد بعث إليه بالطبيب ليسأله عن العلة فقال له الطبيب ما علتك فأخرج يده ثم قال هذه علتى وكانت خضرة وسط راحته تدل على أنه سم فاجتمع فى ذلك الموضع قال فانصرف إليهم وقال والله لهو أعلم بما فعلتم به منكم ثم توفى ع

قال الحسن بن محمد بن بشار حدثنى شيخ من أهل قطيعة الربيع من العامة ممن يقبل قوله قال قال لى قد رأيت بعض من يقولون بفضل من أهل هذا البيت فما رأيت مثله قط فى نسكه وفضله قال قلت من وكيف رأيته قال جمعنا أيام السندى بن شاهك ثمانين رجلا من الوجوه ممن ينسب إلى الخير فأدخلنا على موسى بن جعفر فقال لنا السندى يا هؤلاء انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث فإن الناس يزعمون أنه قد فعل به ويكثرون فى ذلك وهذا منزله وفرشه موسع عليه غير مضيق ولم يرد به أمير المؤمنين سوء وإنما ننتظره أن يقدم أمير المؤمنين فيناظره أمير المؤمنين ها هوذا صحيح موسع عليه فى جميع أمره فاسألوه قال ونحن ليس لنا هم إلا النظر إلى الرجل وإلى فضله وسمته فقال أما ما ذكر من التوسعة وما أشبه ذلك فهو على ما ذكر غير أنى أخبركم أيها نفر أنى قد سقيت السم فى تسع تمرات وأنى أخضر غدا وبعد غد أموت قال فنظرت إلى السندى بن شاهك يرتعد ويضطرب مثل السعفة

ص: ٢١٨

وروى أن السبب فى أخذ موسى بن جعفر أن الرشيد جعل ابنه فى حجر جعفر بن محمد بن الأشعث فحسده يحيى بن خالد بن برمك وكان يقول بالإمامة حتى أدخله فأسر به وكان يكثر غشيانه فى منزله فيقف على أمره ويرفعه إلى الرشيد ويزيد عليه فى ذلك بما يقدر فى قلبه على أمره ثم قال يوما لبعض ثقافته تعرفون رجلا من آل أبى طالب ليس بوسع الحال يعرفنى ما أحتاج إليه فدل على بن إسماعيل بن جعفر بن محمد فحمل إليه يحيى بن خالد بن برمك مالا

وكان موسى ع يأنس بعلى بن إسماعيل ويصله ويبره ثم أنفذ إليه يحيى بن خالد يرغبه فى قصد الرشيد ويعده بالإحسان إليه فعمل على ذلك وأحس به موسى ع فدعاه فقال له إلى أين يا ابن أخ قال إلى بغداد قال وما تصنع قال على دين وأنا مملق فقال له موسى ع فأنا أفضى دينك وأفعل بك وأصنع فلم يلتفت إلى ذلك وعزم على الخروج فاستدعاه أبو الحسن ع فقال له أنت خارج قال نعم لا بد لى من ذلك قال له انظر يا ابن أخى واتق الله ولا توتم أولادى وأمر له بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم فلما قام من بين يديه قال موسى ع لمن حضره والله ليستعين فى دمي ويؤتم أولادى فقالوا له جعلنا الله فداك وأنت تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله قال نعم حدثنى أبى عن آبائه عن رسول الله ص أن الرحم إذا قطعت فوصلت فقطعت قطعها الله إننى أردت أن أوصله بعد قطعه لى حتى إذا قطعنى قطعه الله

قالوا فخرج على بن إسماعيل حتى أتى يحيى بن خالد فتعرف منه خبر موسى بن جعفر ع ورفعته إلى الرشيد وزاد عليه وأوصله الرشيد فسأله عن عمه فسعى به إليه وقال له إن الأموال لتحمل إليه من المشرق والمغرب وإنه اشترى ضيعة سماها البشيرة بثلاثين ألف دينار فقال له صاحبها وقد أحضره المال قال لا آخذ هذا النقد

ولا آخذ إلا نقد كذا وكذا فأمر بذلك المال فرد وأعطاه ثلاثين ألف دينار من النقد الذى سأل بعينه فسمع ذلك منه الرشيد وأمر له بمائة ألف درهم تسبب على النواحي فاختر بعض كور المشرق وأمضت رسله المال ومرض في بعض تلك الأيام فزحر زحرة خرجت منه حشوته كلها فسقط وجهه فلم يقدروا فوقع لما به وجاءه المال وهوينزع فقال ما أصنع به وأنا في الموت وخرج الرشيد في تلك السنة إلى الحج وبدأ بالمدينة فقبض فيها على أبي الحسن موسى ع في جماعة من الأشراف وانصرفوا من استقباله

ص: ٢١٩

فمضى أبو الحسن ع إلى المسجد على رسمه وأقام الرشيد إلى الليل وصار إلى قبر رسول الله ص فقال يا رسول الله إني أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله أريد أن أحبس موسى بن جعفر فإنه يريد التشييت بين أمتك وسفك دمائها ثم أمر به فأخذ من المسجد فأدخل عليه فقيده واستدعى قبتين فجعله في إحداهما على بغل وجعل القبة الأخرى على بغل وخرج البغلان من داره عليهما القبتان مستورتان ومع كل واحد منهما خيل فافترقت الخيل فمضى بعضها مع إحدى القبتين على طريق البصرة والأخرى على طريق الكوفة وكان أبو الحسن ع في القبة التي مضى بها على طريق البصرة وإنما فعل ذلك الرشيد ليعمى على الناس الأمر في أمر أبي الحسن ع وأمر القوم الذين كانوا مع قبة أبي الحسن بأن يسلموه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور وكان على البصرة حينئذ فسلم إليه فحبسه عنده سنة وكتب الرشيد في دمه فاستدعى عيسى بن جعفر بن المنصور بعض خاصته وثقاته فاستشارهم فيما كتب به الرشيد فأشاروا عليه بالتوقف عن ذلك والاستعفاء منه وكتب عيسى بن جعفر إلى الرشيد يقول له قد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسى وقد اختبرت حاله ووضعت من يسمع منه ما يقول في دعائه فما دعا عليك ولا على وما ذكرنا بسوء وما يدعولنفسه إلا بالمغفرة والرحمة وإن أفذت إلى من يتسلمه منى وإلا خليت سبيله فإننى متخرج من حبسه .

وروى بعض عيون عيسى بن جعفر ورفع إليه أنه سمعه كثيرا يقول في دعائه وهو محبوس اللهم إنك تعلم أننى كنت أسألك أن تفرغنى لعبادتك اللهم وقد فعلت فلك الحمد

فوجه الرشيد من يتسلمه من عيسى بن جعفر وصير به إلى بغداد فسلم إلى الفضل بن الربيع فبقى عنده مدة طويلة فأمره الرشيد على شيء من أمره فأبى فكتب إليه بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فتسلمه منه وجعله في بعض حجر دوره ووضع عليه الرصد فكان ع مشغولا بالعبادة يحيى الليل كله صلاة وقراءة القرآن ودعاء واجتهادا ويصوم النهار في أكثر الأيام ولا يصرف وجهه من المحراب فوسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه فاتصل ذلك بالرشيد وهو في الرقة فكتب إليه ينكر توسيعه على موسى ع ويأمره بقتله فتوقف عن ذلك ولم يقدم إليه فاغتاظ الرشيد لذلك ودعا مسرور الخادم فقال له اخرج على البريد في هذا الوقت إلى بغداد وادخل من فورك على موسى بن جعفر فإن وجدته في دعة ورفاهية فأوصل هذا الكتاب إلى العباس بن محمد

ص: ٢٢٠

ومره بامتنال ما فيه وسلم إليه كتابا آخر إلى السندی بن شاهک يأمره فيه بطاعة العباس بن محمد فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد ثم دخل على موسى ع فوجده على ما بلغ الرشيد فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندی بن شاهک وأوصل الكتابين إليهما فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض إلى الفضل بن يحيى فخرج مدهوشا حتى دخل على العباس بن محمد فدعا العباس بسياط وعقابين وأمر بالفضل فجرده وضربه السندی بين يديه مائة سوط وخرج متغير اللون خلاف ما دخل وجعل يسلم على الناس يمينا وشمالا وكتب مسرور بالخبر إلى الرشيد فأمر بتسليم موسى إلى السندی بن شاهک وجلس الرشيد مجلسا حافلا وقال أيها الناس إن الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي فرأيت أن ألعنه فالعنوه فلعنه الناس من كل ناحية حتى ارتج البيت والدار بلعنه وبلغ يحيى بن خالد الخبر فركب إلى الرشيد فدخل من غير الباب الذي يدخل منه الناس حتى جاءه من خلفه وهو لا يشعر به ثم قال له التفت إلى يا أمير المؤمنين فأصغى إليه فزعا فقال إن الفضل حدث وأنا أكفيك ما تريد فانطلق وجهه وسر فأقبل على الناس وقال إن الفضل كان قد عصى في شيء فلعنته وقد تاب وأتاب إلى طاعتي فتولوه فقالوا نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت وقد توليناه ثم خرج يحيى بن خالد على البريد حتى وافى بغداد فماج الناس فأرجفوا بكل شيء وأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر في أمر العمال وتشاغل ببعض ذلك أياما ثم دعا السندی فأمره بأمره فامتنله وكان الذي تولى به السندی قتله ع بالسم جعله في طعام قدمه إليه ويقال إنه جعله في رطب أكل منه فأحس بالسم ولبت ثلاثا بعده موعوكا ثم مات في اليوم الثالث ولما مات موسى ع أدخل السندی بن شاهک عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدى وغيره فنظروا إليه لا أثر به من جراح ولا خنق وأشهدهم على أنه مات حتف أنفه فشهدوا على ذلك وأخرج ووضع على الجسر ببغداد ونودي هذا موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه فانظروا إليه فجعل الناس يتفرسون في وجهه وهوميت وقد كان قوم يزعمون في أيام موسى ع أنه القائم المنتظر وجعلوا حبسه هي الغيبة المذكورة للقائم فأمر يحيى بن خالد أن ينادى عليه عند موته هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه فنظر الناس إليه ميتا ثم حمل فدفن في مقابر قريش من

ص: ٢٢١

باب التين وكانت هذه المقبرة لبني هاشم والأشراف من الناس قديما .

وروى أنه لما حضرته الوفاة سأل السندی بن شاهک أن يحضره مولى له مدنيا ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب ليتولى غسله وتكفينه ففعل ذلك قال السندی بن شاهک وكنت سألته أن يأذن لي في أن أكفنه فأبى وقال إنا أهل بيت مهور نسائنا وحج ضرورتنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا وعندى كفى فأريد أن يتولى غسلى وجهازى مولاي فلان فتولى ذلك منه

وكانت مدة خلافته ومقامه في الإمامة بعد أبيه ع خمسا وثلاثين سنة. وكان مولده بالأبواء موضع بين مكة والمدينة يوم الأحد لسبع ليال خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومائة ووفاته ببغداد يوم الجمعة لست بقين

من رجب وقيل لخمس خلون من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وله يومئذ خمس وخمسون سنة. وقيل أربع وخمسون سنة وأمه أم ولد يقال لها حميدة البربرية

وقال الرضا ع زيارة أبي مثل زيارة الحسين ع

وقال ع من زار قبر أبي ببغداد كان كمن زار قبر رسول الله ص وقبر أمير المؤمنين ألا أن لرسول الله وأمير المؤمنين فضلهما وقيل له ما لمن زار قبر أبيك قال الجنة فزره

وقال أيضا ع زيارة أبي من الفضل كفضل من زار قبر والده يعنى رسول الله ص قلت فإنى خفت ولم يمكنى أن أدخل داخلا قال سلم من وراء الحائر وقال ع إن الله نجى بغداد بمكان قبر الحسينيين

قال دعبل بن على الخزاعي رحمة الله عليه من قصيدة طويلة

فأين الألى شطت بهم غربة النوى أفانين فى الأطراف متفرقاتهم أهل ميراث النبى إذا اعتزوا وهم خير سادات وخير حماة فاطم قومي يا ابنة الخير فاندبى نجوم سماوات بأرض فلاة قبور بكوفان وأخرى بطيبة وأخرى يفتح نالها صلواتي وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن فى الغرفات

وقال محمد بن أبى طلحة العوفى

سلام على الظهر المطهر جعفر سلام على موسى إلى آخر الدهر

ص: ٢٢٢

مجلس فى ذكر إمامة أبى الحسن على بن موسى الرضا ومناقبه ع

والإمام القائم بعد العبد الصالح أبوالحسن على بن موسى ع بنص أبيه عليه واجتماع رءوس أصحاب أبيه عليه واعتبار شرائط العقلية كما قدمناه

قال على بن يقطين كنت عند العبد الصالح فقال يا على بن يقطين هذا على سيد ولدى أما إنه قد نحلته كنيته

قال زياد بن مروان القندى دخلت على أبى إبراهيم ع وعنده أبوالحسن ابنه فقال لى يا زياد هذا ابنى فلان كتابه كتابى وكلامه كلامى وقوله قولى ورسوله رسولى وما قال فالقول قوله

قال داود الرقى قلت لأبى إبراهيم جعلت فداك إنى كبرت سننى فخذ بيدى وأتقذنى من النار من صاحبنا بعدك قال وأشار إلى ابنه أبى الحسن وقال هذا صاحبكم بعدى

قال إبراهيم بن موسى ألححت على أبى الحسن الرضا ع فى شىء أطلبه فكان يعدنى فخرج ذات يوم يستقبل والى المدينة وكنت معه فجاء إلى قصر فلان فنزل عنده تحت شجرات ونزلت معه وليس معنا ثالث

فقلت جعلت فداك هذا العيد قد أظلنا ولا والله لا أملك درهما فما سواه فحك بسوطه الأرض حكا شديدا ثم مد يده فتناول منه سبيكة ذهب ثم قال استنفع بها واكنم ما رأيتم

وروى عن أحمد بن عبد الله عن الغفاري قال كان لرجل من آل أبي رافع مولى رسول الله ص يقال له فلان على حق فتقاضاني وألح علي فلما رأيته ذلك صليت الصبح في مسجد رسول الله ص ثم توجهت نحو الرضا ع وهو يومئذ بالعريض فلما قربت من داره إذا هو قد طلع علي وعليه قميص ورداء فلما نظرت إليه استحيت منه فلما لحقتني وقف فنظر إلي فسلمت عليه وكان شهر رمضان فقلت جعلت فداك إن لمولاك فلان علي حقا وقد والله شهرني وأنا أظن في نفسي أنه يأمره بالكف عني

ص: ٢٢٣

ووالله ما قلت له كم له علي ولا سميت له شيئا فأمرني بالجلوس إلى رجوعه فلم أزل حتى صليت المغرب وأنا صائم فضايق صدرى فأردت أن أنصرف فإذا هو قد طلع علي وحوله الناس وقد قعد له السؤال وهو يتصدق عليهم فمضى ودخل بيته ثم خرج ودعاني فقممت إليه ودخلت معه فجلس وجلست معه فجعلت أحدثه عن المسيب وكان كثيرا ما أحدثه عنه فلما فرغت قال ما أظنك أفطرت بعد فقلت لا فدعا لي بطعام فوضع بين يدي وأمر الغلام أن يأكل معي فأصبت والغلام فلما فرغنا قال ارفع الوسادة وخذ ما تحتها فرفعتها فإذا دنائير فأخذتها ووضعتها في كمي وأمر أربعة من عبيده أن يكونوا معي حتى يبلغوني منزلي فقلت جعلت فداك إن طارف بن المسيب يقعد وأكره أن يلقاني ومعى عبيدك فقال لي أصبت أصاب الله بك الرشاد وأمرهم أن يرجعوا إذا رددتهم فلما قربت من منزلي وأنست رددتهم وصرت إلى منزلي ودعوت بالسراج ونظرت إلى الدنائير فإذا هي ثمانية وأربعون دينارا وكان حق الرجل ثمانية وعشرين دينارا وكان فيها دينار يلوح فأعجبني حسنه فأخذه وقربته من السراج فإذا عليه نقش واضح حق الرجل عليك ثمانية وعشرون دينارا وما بقي فهو لك والله ما كنت عرفت ما له علي التحديد

قال أبو الصلت الهروي إن المأمون قال للرضاع يا ابن رسول الله قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك وأراك أحق بالخلافة مني فقال الرضاع بالعبودية لله عز وجل أفتخر وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله تعالى فقال له المأمون فإنني رأيته أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك فقال له الرضاع إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز أن تخلع لباسا ألبسه الله وتجعله لغيرك وإن كانت الخلافة لغيرك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك فقال له المأمون يا ابن رسول الله لا بد لك من قبول هذا الأمر فقال لست أفعل ذلك طائعا أبدا فما زال يجهد به أياما حتى يئس من قبوله فقال له وإن لم تقبل الخلافة ولم تحب مبايعتي لك فكأن ولي عهدى لتكون لك الخلافة بعدى فقال الرضاع والله لقد حدثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عن رسول الله ص إنني أخرج من الدنيا قبلك مقتولا بالسم مظلوما تبكي على ملائكة السماء وملائكة الأرض وأدفن في أرض غربة إلى جنب قبر هارون الرشيد فبكي المأمون ثم قال له يا ابن رسول الله ومن الذي يقتلك

أويقدر على الإساءة عليك وأنا حي فقال الرضا ع أما إنى لوأشاء أن أقول من ذا الذى يقتلنى لقلت فقال المأمون يا ابن رسول الله إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك ليقول الناس إنك زاهد فى الدنيا. فقال الرضا ع والله ما كذبت منذ خلقنى الله ربى تعالى وما زهدت للدنيا فى الدنيا وإنى لأعلم ما تريد فقال المأمون وما أريد قال الأمان على الصدق قال لك الأمان قال تريد بذلك أن يقول الناس إن على بن موسى لم يزهد فى الدنيا بل زهدت الدنيا فيه أ لا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعا فى الخلافة فغضب المأمون ثم قال إنك تتلقانى أبدا بما أكرهه وقد أمنت سطواتى والله لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتكم على ذلك فإن فعلت وإلا ضربت عنقك. قال الرضا ع قد نهانى الله تعالى أن ألقى بيدي إلى التهلكة فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك وأنا أقبل ذلك على أنى لا أولى أحدا ولا أعزل ولا أنقض رسما أو سنة وأكون فى الأمر من بعيد مشيرا فرضى منه بذلك وجعله ولى عهده على كراهة منه ع لذلك .

قال الريان بن الصلت دخلت على على بن موسى الرضا ع فقلت له يا ابن رسول الله إن الناس يقولون إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد فى الدنيا فقال ع قد علم الله كراهتى لذلك فلما خبرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل ويحهم أ ما علموا أن يوسف ع كان نبيا رسولا فلما دفعته الضرورة إلى تولى خزائن العزيز قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم ودفعت لى الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك على أنى ما دخلت فى هذا الأمر إلا دخول خارج منه فإلى الله المشتكى وهو المستعان

وروى أن المأمون قد أنفذ إلى جماعة من آل أبى طالب فحملهم إليه من المدينة وفيهم على بن موسى الرضا ع فأخذ بهم على طريق البصرة حتى جاءوه بهم وكان المتولى لأشخاصهم المعروف بالجلودى فقدم بهم على المأمون فأنزلهم دارا وأنزل الرضا ع دارا وأكرمه وعظم أمره ثم أنفذ إليه أنى أريد أن أخلع نفسى من الخلافة وأقلدك إياها فما رأيك فى ذلك فأنكر الرضا ع هذا الأمر وقال له أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد فرد عليه الرسول فإذا أبيت ما عرضت عليك

فلا بد من ولاية العهد بعدى فأبى الرضا ع إباء شديدا فاستدعاه إليه ومعه الفضل بن سهل ذوالرئاستين ليس فى المجلس غيرهم وقال له إنى قد رأيت أن أقلدك أمر المسلمين وأفسخ ما فى رقبتي وأضعه فى رقبتي فقال له الرضا ع الله الله يا أمير المؤمنين إنه لا طاقة لى بذلك ولا قوة لى عليه قال له فإنى موليك العهد من بعدى فقال له اعفنى من ذلك يا أمير المؤمنين فقال له المأمون كلاما كالتهديد فيه على الامتناع عليه وقال فى كلامه إن عمر بن الخطاب جعل الشورى فى ستة أحدهم جدك أمير المؤمنين ع وشرط فيمن خالف منهم أن يضرب عنقه ولا بد من قبولك ما أريد منك فإنى لا أجد محيصا عنه فقال له الرضا ع فإنى أجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد على أننى لا آمر ولا أنهى ولا أفتى ولا أقضى ولا أولى ولا أعزل ولا أغير شيئا مما

هو قائم فأجابته المأمون إلى ذلك كله وخرج ذوالرئاستين وهو يقول وا عجباً وقد رأيت عجباً سلونى ما رأيت فقالوا وما رأيت أصلحك الله قال رأيت المأمون أمير المؤمنين يقول قد رأيت أن أفلدك أمور المسلمين وأفسخ ما فى رقبتي وأجعله فى رقبتيك ورأيت على بن موسى الرضا ع يقول يا أمير المؤمنين لا طاقة لى بذلك ولا قوة فما رأيت خلافة قط كانت أضيع منها أمير المؤمنين يتفصى منها ويعرضها على بن موسى الرضا وعلى بن موسى الرضا يرفضها ويأبى. وروى أن المأمون لما أراد العقد للرضا ع وحدث نفسه بذلك أحضر الفضل بن سهل فأعلمه بما قد عزم عليه من ذلك وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك ففعل واجتمعوا بحضرته فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه ما فى إخراج الأمر من أهله عليه فقال له المأمون إتنى عاهدت الله أننى إن ظفرت بالمخلوع أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبى طالب وما أعلم أحدا أفضل من هذا الرجل على وجه الأرض فلما رأى الحسن والفضل عزمته على ذلك أمسكا عن معارضته فيه فأرسلهما إلى الرضا ع فعرضاً ذلك عليه فامتنع منه فلم يزالا به حتى أجاب ورجعا إلى المأمون فعرفاه إجابته فسر بذلك وجلس للخاصة فى يوم الخميس وخرج الفضل بن سهل فأعلم الناس برأى المأمون فى على بن موسى الرضا ع وأنه قد ولى عهده وسماه الرضا وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته فى الخميس الآخر على أن يأخذوا أرزاق سنة فلما كان ذلك اليوم ركب الناس على طبقاتهم من القواد والحجاب والقضاة وغيرهم فى

ص: ٢٢٦

الحضرة وجلس المأمون ووضع للرضا وسادتين عظيمتين حتى لحق بمجلسه وفرشه وأجلس الرضا ع فى الحضرة وعليه عمامة وسيف ثم أمر ابنه العباس المأمون يبايع له أول الناس فرفع الرضا ع فتلقي بظهرها وجه نفسه وبيطنها وجوههم فقال له المأمون ابسط يدك للبيعة فقال له الرضا ع إن رسول الله ص هكذا كان يبايع فبايعه الناس ويده فوق أيديهم ووضع المنبر وقام الخطباء والشعراء فجعلوا يذكرون فضل الرضا ع وما كان من المأمون فى أمره ثم دعى أبوعباد بالعباس بن المأمون فوقف فدنا من أبيه وأمرهم بالجلوس ثم نودى محمد بن جعفر بن محمد وقال له الفضل بن سهل قم فقام يمشى حتى قرب من المأمون فوقف ولم يقبل يده فقبل له امض وخذ جائزتك وناداه المأمون لترجع يا أبا جعفر إلى مجلسك فرجع ثم جعل أبوعباد يدعوبعلوى وعباسى فيقبضان جوائزهم حتى نفدت الأموال ثم قال المأمون للرضا ع اخطب الناس وتكلم فيهم فحمد الله وأثنى عليه وقال إن لنا عليكم حقاً برسول الله ص ولكم علينا حق به فإذا أدبتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم ولم يذكر عنه غير هذا المجلس وأمر له المأمون فضربت له الدراهم وطبع عليها اسم الرضا وزوج إسحاق بن موسى بن جعفر بنت عمه إسحاق بن جعفر بن محمد وأمره فحج بالناس وخطب للرضا فى كل بلد بولاية العهد وكان عبد الجبار بن سعيد يخطب فى تلك السنة على منبر رسول الله ص بالمدينة فقال فى الدعاء له ولى عهد المسلمين على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب

سنة آباء هم أفضل من يشرب صوب الغمام

ولما جلس الرضا على بن موسى ع فى الخلع بولاية العهد قام بين يديه الخطباء والشعراء وخفقت الألوية على رأسه فذكر عن بعض من حضر ممن كان يختص بالرضاع أنه قال كنت بين يديه فى ذلك اليوم فنظر إلى وأنا مستبشر بما جرى فأومى إلى أن ادن فدنوت منه فقال لى من حيث لا يسمعه غيرى لا تشغل قلبك بهذا الأمر ولا تستبشر فإنه شىء لا يتم وكان فيمن ورد عليه من الشعراء دعبل بن على الخزاعى فلما دخل عليه قال إنى قد قلت قصيدة وجعلت على نفسى أن لا أنشدها أحدا قبلك فأمره بالجلوس حتى خف مجلسه ثم قال له هاتها قال فأنشد قصيدته التى أولها

ص: ٢٢٧

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

وليس هذا البيت رأس القصيدة ولكن أنشدها من هذا البيت فقيل له لم بدأت بمدارس قال استحييت من الإمام على بن موسى الرضا أن أنشده التشبيب فأنشدته المناقب ورأس هذه القصيدة

تجاوبن بالأزمان والظفرات نوائح عجم اللفظ والنطقات

حتى أتى على آخرها فلما فرغ عن إنشاده قام الرضا ع فدخل على حجرته وبعث إليه خادما بخارقة خز فيها ستمائة دينار. وقال لخادمه قل استعن بهذه على سفرك واعذرنا فقال له دعبل لا والله ما هذا أردت ولا له خرجت ولكن قل له اكسنى ثوبا من أثوابك وردها فردها عليه الرضا ع وقال له خذها ثم بعث إليه بجبة من ثيابه فخرج دعبل حتى ورد قم فلما رأوا الجبة معه أعطوه بها ألف دينار فأبى وقال لا والله ولا خارقة منها بألف دينار ثم خرج من قم فاتبعوه فقطعوا عليه الطريق وأخذوا الجبة فرجع إلى قم فكلمهم فيها وقالوا ليس إليها سبيل ولكن إن شئت فهذه ألف دينار فقال لهم وخارقة منها فأعطوه ألف دينار وخارقة من الجبة قال ياسر الخادم والريان بن الصلت جميعا لما حضر العيد وكان قد عقد للرضا ع بولاية العهد بعث إليه المأمون فى الركوب إلى العيد والصلاة بالناس والخطبة بهم فبعث إليه الرضا ع قد علمت ما كان بينى وبينك من الشروط فى دخول الأمر فاعفنى من الصلاة بالناس فقال المأمون إنما أردت أن يطمئن قلوب الناس ويعرفوا فضلك ولم يزل يتردد الرسل بينهم فى ذلك فلما ألح عليه فى ذلك المأمون أرسل إليه إن أعفيتنى فهو أحب إلى وإن لم تعفنى خرجت كما خرج رسول الله ص وأمير المؤمنين ع فقال له المأمون اخرج كما شئت وأمر القواد والناس أن يبكروا إلى باب الرضا ع قال فقعد الناس لأبى الحسن فى الطرقات والسطوح واجتمع النساء والصبيان ينظرون خروجه وصار جميع القواد والجند إلى بابه على دوابهم فوقفوا حتى طلعت الشمس فاغتسل أبو الحسن ع ولبس ثيابه وتعمم بعمامة بيضاء من قطن ألقى طرفا منها على صدره وطرفا بين كتفيه ومس شيئا من الطيب وأخذ بيده عكازة وقال لمواليه افعلوا مثل ما فعلت فخرجوا بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق عليه ثياب مشمرة فمشى قليلا ورفع رأسه إلى السماء

ص: ٢٢٨

وكبر وكبر مواليه معه ثم مشى حتى وقف على الباب فلما رآه القواد والجند على تلك الصورة سقطوا كلهم إلى الأرض وكان أحسنهم حالا من كان معه سكين قطع بها شرابة جاجيلته ونزعها وتحفى وكبر الرضا ع على الباب وكبر الناس معه فخيّل إلينا أن السماء والحيطان تجاوبه وتزعزعت مروبالبكاء والضجيج لما رأوا أبا الحسن ع وسمعوا تكبيره وبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل ذوالرئاستين يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا ع المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس وخفنا كلنا على دمائنا فأنفذ إليه أن يرجع فبعث إليه المأمون قد كلفناك شططا وأتعيناك ولسنا نحب أن يلحقك أذى فارجع وليصلى بالناس من كان يصلى بهم على رسمه فدعا أبو الحسن ع بخفه فلبسه وركب ورجع واختلف أمر الناس في ذلك اليوم ولم ينتظم في صلاته قال ياسر لما عزم المأمون على الخروج من خراسان إلى بغداد خرج وخرج معه الفضل بن سهل ذوالرئاستين وخرجنا مع أبي الحسن الرضا ع فورد على الفضل بن سهل كتاب من أخيه الحسن بن سهل ونحن في بعض المنازل إني نظرت في تحويل هذه السنة في حساب النجوم فوجدت فيه أنك تذوق في شهر كذا وكذا من يوم الأربعاء حر الحديد وحر النار وأرى أن تدخل أنت وأمير المؤمنين والرضا الحمام في هذا اليوم وتحتجم فيه وتصب على بدنك الدم ليزول عنك نحسه فكتب ذوالرئاستين إلى المأمون بذلك فسأله أن يسأل أبا الحسن ع ذلك فكتب المأمون إلى أبي الحسن ع يسأله فيه فأجابه أبو الحسن لست بداخل الحمام غدا فأعاد عليه الرقعة مرتين فكتب إليه أبو الحسن ع لست بداخل غدا الحمام فإنني رأيت رسول الله ص في هذه الليلة فقال لي يا علي لا تدخل الحمام غدا فلا أرى لك يا أمير المؤمنين ولا للفضل أن تدخل الحمام غدا فكتب إليه المأمون صدقت يا أبا الحسن وصدق رسول الله ص لست بداخل الحمام والفضل أعلم. قال فقال ياسر فلما أُمسينا وغابت الشمس قال لنا الرضا ع قولوا نعوذ بالله من شر ما ينزل في هذه الليلة فلم يزل يقول ذلك حتى صلى الرضا ع الصبح ثم قال لي اصعد السطح فاستمع هل تجد شيئا فلما صعدت سمعت الضجة وكثرت وزادت فلم نشعر بشيء فإذا نحن بالمأمون قد دخل من الباب الذي كان من داره إلى دار أبي الحسن ع وهو يقول يا سيدي يا أبا الحسن أجرك الله في الفضل فإنه دخل الحمام ودخل عليه قوم بالسيوف فقتلوه وأخذ ممن دخل عليه ثلاثة نفر أحدهم ابن خاله

ص: ٢٢٩

الفضل بن ذي العلمين قال واجتمع الجند والقواد ومن كان في خيل الفضل على باب المأمون فقالوا هواغتاله وشغبوا عليه وطلبوا بدمه وجاءوا بالنيران ليحرقوا الباب فقال المأمون لأبي الحسن ع يا سيدي ترى أن تخرج إليهم وترفق بهم حتى يتفرقوا قال نعم فركب أبو الحسن ع وقال لي يا ياسر اركب فركبت فلما خرجنا من الباب نظر إلى الناس وقد ازدحموا عليه فقال بيده تفرقوا قال ياسر فأقبل الناس والله يقع بعضهم على بعض وما أشار إلى أحد إلا ركض ومضى لوجهه

سئل الرضا ع عن ذي الفقار سيف رسول الله ص من أين هو فقال ع هبط به جبرئيل من السماء وكان حليته من فضة وهو عندي وقال ياسر لما ولي الرضا ع العهد سمعته وقد رفع يده إلى السماء وقال اللهم إنك تعلم أني مكره مضطر فلا تؤاخذني كما لم تؤاخذ عبدك ونبيك يوسف حين دفع إلى ولاية مصر قال إبراهيم بن

العباس ما رأيت الرضا ع سئل عن شيء قط إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه وكان كلامه كله وجوابه وتمثيله بآيات من القرآن وكان يختمه في كل ثلاث أيام ويقول لو أردت أن أختم في أقل من ثلاث لختمت ولكن ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها وفي أي شيء نزلت وفي أي وقت فلذلك صرت أختم في ثلاثة أيام ويقال صعد المأمون المنبر ليبيع على بن موسى الرضا ع فقال أيها الناس جاءكم بيعة على بن موسى الرضا ع هو على بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ص والله لو قرأت هذه الأسماء على الصم البكم لبرءوا بإذن الله

فصل في ذكر وفاته ع

قال أبو الصلت الهروي بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن علي بن موسى الرضا ع إذ قال يا أبا الصلت أدخل إلى هذه القبة التي فيها قبر هارون فأنتى بتراب من أربع جوانبها قال فمضيت وأتيت به فلما مثلت بين يديه قال لي ناولني من هذا التراب وهومن عند الباب فأخذه وشمه ثم رمى به ثم قال سيحفر لي هاهنا قبر وتظهر صخرة لوجمع عليها كل معول بخراسان لم يتهيا قلعتها ثم قال ع في الذي عند الرجل والذي عند الرأس مثل ذلك ثم قال ناولني هذا التراب فهومن تربتي ثم قال سيحفر

ص: ٢٣٠

لى فى هذا الموضع فتأمرهم أن يحفروا لى سبع مراق إلى أسفل وأن يشق لى ضريح فإن أبوا فلحد ويجعل للحد ذراعين وشبرا فإن الله عز وجل سيوسع لى ما شاء فإذا فعلوا ذلك فإنك ترى عند رأسى نداوة فتكلم بالكلام الذى أعلمك فإنه ينبع الماء حتى يمتلئ اللحد وترى فيه حيتان صغار فتفتت لها الخبز الذى أعطيك فإنها تلتقط فإذا لم يبق منه شيء خرجت منه حوته كبيرة فالتقطت الحيتان الصغار حتى لا يبقى فيه شيء ثم تغيب فإذا غابت فضع يدك على الماء وتكلم بالكلام الذى أعلمك فإنه ينضب الماء ولا يبقى شيء ولا تفعل ذلك إلا بحضرة المأمون ثم قال يا أبا الصلت غدا أدخل إلى هذا الفاجر فإن أنا خرجت وأنا مكشوف الرأس فتكلم أكلمك فقال أبو الصلت فلما أصبحنا من الغد لبس ثيابه وجلس فى محرابه ينتظر فيبينا هو كذلك إذ دخل عليه غلام المأمون فقال أجب أمير المؤمنين فلبس نعله ورداءه وقام يمشى وهويته حتى دخل على المأمون وبين يديه طبق عليه عنب وأطباق فاكهة بين يديه ويده عنقود عنب قد أكل بعضه وبقي بعضه فلما بصر بالرضا ع وثب إليه وعانقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه معه ثم ناوله العنقود وقال يا ابن رسول الله ما رأيت عنبا أحسن من هذا. قال الرضا ع ربما كان عنبا حسنا فيكون من الجنة فقال له كل منه فقال الرضا ع تعفينى منه فقال لا بد من ذلك ما يمنعك منه لعلك تتهمنا بشيء فتناول العنقود فأكل منه ثم ناوله فأكل منه الرضا ع ثلاث حبات ثم رمى به وقام فقال له المأمون إلى أين قال إلى حيث وجهتنى وخرج مغطى الرأس فلم أكلمه حتى دخل الدار فأمر أن يغلق الباب فأغلق ثم نام على فراشه فمكثت واقفا فى صحن الدار مهموما محزونا فيبينا أنا كذلك إذ دخل على شاب حسن الوجه ققط الشعر أشبه الناس بالرضا ع فبادرت إليه فقلت له من أين دخلت والباب مغلق فقال الذى جاء بى من المدينة فى هذا الوقت هو الذى أدخلنى الدار فقلت ومن أنت فقال أنا حجة الله عليك يا أبا الصلت أنا محمد بن علي ع ثم مضى نحو أبيه ع فدخل وأمرنى بالدخول

معه فلما نظر إليه الرضا وثب إليه فعانقه وضمه إلى صدره وقبل ما بين عينيه ثم سحبه سحبا في فراشه وأكب عليه محمد بن علي يقبله ويساره بشيء لم أفهمه ورأيت على شفتي الرضا ع زبدا أشد بياضا من الثلج ورأيت أبا جعفر يلحسه بلسانه ثم أدخل يده بين ثوبه وصدره فاستخرج منه شيئا شبيها بالعصفور فابتلعه أبو جعفر ومضى

ص: ٢٣١

الرضا ع فقال أبو جعفر قم يا أبا الصلت فأنتى بالمغتسل والماء من الخزانة فقلت ما في الخزانة مغتسل ولا ماء قال لي انته إلى ما أمرك به فدخلت الخزانة فإذا فيها مغتسل وماء فأخرجته وشمريت ثيابي لأغسله معه فقال لي تنح يا أبا الصلت فإن لي من يعينني غيرك فغسله ثم قال لي ادخل الخزانة فأخرج إلى السبط الذي فيه كفنه وحنوطه فدخلت فإذا سبط لم أره في تلك الخزانة قط فحملته إليه فكفنه وصلى عليه ثم قال ائتنى بالتابوت فقلت أمضى إلى النجار حتى يصلح لي تابوتا قال قم فإن في الخزانة تابوتا فدخلت الخزانة فوجدت تابوتا لم أر مثله قط فأتيته به فأخذ الرضا بعد ما كان صلى عليه فوضعه في التابوت وصف قدمين وصلى ركعتين لم يفرغ منهما حتى علا التابوت ومضى فقلت يا ابن رسول الله الساعة يجيئنا المأمون فيطالبنا بالرضا فما نصنع قال لي اسكت فإنه سيعود يا أبا الصلت ما من نبي يموت بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا وجمع الله بين أرواحهما وأجسادهما فما تم الحديث حتى انشق السقف ونزل التابوت فاستخرج الرضا ع من التابوت ووضعه على فراشه كأنه لم يغسل ولم يكفن وقال يا أبا الصلت قم وافتح الباب للمأمون ففتحت الباب فإذا هو المأمون والغلمان بالباب فدخل المأمون باكيا وحزينا قد شق جيبه ولطم رأسه وهو يقول يا سيده فجعت بك يا سيدي ثم دخل وجلس عند رأسه وقال خذوا في تجهيزه فأمر بحفر القبر فحفر الموضع فظهر كل شيء على ما وصفه الرضا ع وقال بعض غلمانه أ لست تزعم أنه إمام قال بلى قال لا يكون الإمام إلا مقدم الناس فأمر أن يحفر له في القبلة فقلت أمرني أن أحفر له سبع مراق وأن أشق له ضريحا فقال انتهوا إلى ما يأمركم به أبو الصلت سوى الضريح ولكن يحفر له ويلحد فلما رأى ما ظهر من النداة والحيتان وغير ذلك قال المأمون لم يزل الرضا يرينا عجائبه في حياته حتى أراناها بعد وفاته فقال له وزير كان معه أ تدرى ما أخبرك به الرضا قال إنه أخبركم أن ملككم بنى العباس مع كثرتكم وطول مدتكم مثل هذه الحيتان حتى إذا فنيت آجالكم وانقطعت آثاركم وذهبت دولتكم سلط الله عليكم رجلا منا فأفناكم عن آخركم قال له صدقت ثم قال يا أبا الصلت علمني الكلام قلت والله نسيت الكلام من ساعتى وقد كنت صدقت فأمر بحبسى ودفن الرضا ع وحبسنى سنة وضاق على الحبس وسحرت الليل ودعوت الله عز وجل بدعاء وذكرت فيه محمدا وآل محمد ع وسألت الله بحقهم أن يفرج عني فلم أستتم الدعاء حتى دخل علي محمد بن علي

ص: ٢٣٢

ع فقال لي يا أبا الصلت ضاق صدرك قلت إى والله قال قم فاخرج ثم ضرب يده إلى القيود التي كانت على فككها وأخذ بيدي وأخرجني من الدار والحرس والغلمة يروننى فلم يستطيعوا أن يكلموني وخرجت من باب الدار ثم قال امض في ودائع الله فإنك لم تصل إليه ولا يصل إليك أبدا قال أبو الصلت فلم ألتق مع المأمون

إلى هذا الوقت وذكر الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد رحمه الله في كتاب الإرشاد أن الرضا ع كان يكثر وعظ المأمون إذا خلا به ويخوفه بالله عز وجل ويقبح له ما يرتكبه من خلافه وكان المأمون يظهر قبول ذلك منه ويبطن كراهته واستنقاله ودخل الرضا ع يوما عليه فرآه يتوضأ للصلاة والغلام يصب الماء على يده فقال يا أمير المؤمنين لا تشرك بعبادة ربك أحدا فصرف المأمون الغلام وتولى تمام وضوئه بنفسه وزاد ذلك في غيظه ووجده وكان ع يزرى على الحسن والفضل ابني سهل عند المأمون إذا ذكرهما ويصف له مساويهما وينهاه عن الإصغاء إليهما وإلى قولهما وعرفا ذلك منه فجعل يوشيان عليه عند المأمون ويذكران له ما يبعده منه ويخوفانه من حمل الناس عليه فلم يزالا كذلك حتى قلبا رأيه فيه وعمد على قتله ع فاتفق أنه أكل هو والمأمون يوما طعاما فاعتل منه الرضا ع وأظهر المأمون تمارضا. فذكر محمد بن علي بن حمزة عن منصور بن بشير عن أخيه عبد الله بن بشير قال أمرني المأمون أن أطول أظفاري على العادة ولا أظهر لأحد ذلك ففعلت ثم استدعاني فأخرج إلى شيئا شبيها بالتمر الهندي فقال لي اعجن هذا بيدك جميعا ففعلت ثم قام وتركني ودخل على الرضا وقال ما خبرك قال أرجو أن أكون صالحا قال له أنا اليوم بحمد الله صالح أيضا فهل جاءك أحد من المترفين في هذا اليوم قال فغضب المأمون وصاح على غلمانته ثم قال فخذ ماء الرمان الساعة فإنه مما لا يستغنى عنه ثم دعاني فقال ائتنا برمان فأتيته به فقال اعصره بيدك ففعلت وسقاه المأمون الرضا ع بيده وكان سبب وفاته ولم يلبث إلا يومين حتى مات. وذكر عن أبي الصلت الهروي أنه قال دخلت على الرضا وقد خرج من عنده المأمون فقال لي يا أبا الصلت قد فعلوها وجعل يوحد الله ويمجده

وروى عن محمد بن الجهم أنه قال كان الرضا ع يعجبه العنب فأخذ له

ص: ٢٣٣

شيء منه فجعل في موضع أقماعه الإبر أياما ثم نزعته منه وجيء به إليه فأكل منه وهوفي علته التي ذكرناها فقتله وذكر أن ذلك من لطيف السموم ولما توفي الرضا ع كنتم المأمون موته يوما وليلة ثم أنفذ إلى محمد بن جعفر الصادق ع وجماعة آل أبي طالب الذين كانوا عنده فلما حضروه نعاه إليهم وبكى وأظهر حزنا شديدا وتوجعا وأراهم إياه صحيح الجسد وقال يعز علي يا أخى أن أراك في هذه الحال وقد كنت أوئل أن أقدم قبلك فأبى الله إلا ما أراد ثم أمر بغسله وتكفينه وتحنيطه وخرج مع جنازته يحملها حتى انتهى إلى الموضع الذي هو مدفون الآن فدفنه والموضع دار حميد بن قحطبة في قرية يقال لها سناباد

هذا الذى ذكره فى كتاب الإرشاد

وقال رسول الله ص ستدفن بضعة منى بأرض خراسان لا يزورها مؤمن إلا أوجبه الله عز وجل له الجنة وحرم جسده على النار

قال الرضا ع إن بخراسان بقعة يأتى عليها زمان تصير موضع مختلف الملائكة فلا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى يوم أن ينفخ فى الصور فقليل له يا ابن رسول الله وأية بقعة هذه قال هى بأرض طوس وهى

والله روضة من رياض الجنة من زارنى فى تلك البقعة كان كمن زار رسول الله ص وكتب الله تبارك وتعالى له بذلك ثواب ألف حجة مبرورة وألف عمرة مقبولة وكنت أنا وآبائى شفعاؤه يوم القيامة

وقال الرضا ع والله ما منا إلا مقتول شهيد فقيل له فمن يقتلك يا ابن رسول الله قال شر خلق الله فى زمانه يقتلنى بالسسم ثم يدفننى فى دار مضبغة وبلاد غربة ألا فمن زارنى فى غربتى كتب الله له عز وجل أجر مائة ألف شهيد ومائة ألف صديق ومائة ألف حاج ومعتمر ومائة ألف مجاهد وحشر فى زمرتنا وجعل فى الدرجات العلى من الجنة رفيقا

قال أحمد بن محمد البنظى قرأت كتاب أبى الحسن الرضا ع أبلغ شيعتى أن زيارتى تعدل عند الله عز وجل ألف حجة قلت لأبى جعفر ع ألف حجة قال إى والله وألف ألف حجة لمن زاره عارفا بحقه قال رجل من أهل خراسان للرضا ع يا ابن رسول الله رأيت رسول الله ص فى المنام كأنه يقول لى كيف أنتم إذا دفن فى أرضكم بضعتى واستحفظتم وديعتى وغيب فى ترابكم نجمى فقال له الرضا ع أنا المدفون فى أرضكم وأنا بضعة من نبيكم وأنا الودبعة والنجم ألا

ص: ٢٣٤

فمن زارنى وهو يعرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقى وطاعتى فأنا وآبائى شفعاؤه يوم القيامة ومن كنا شفعاؤه يوم القيامة نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الإنس والجن ولقد حدثنى أبى عن جدى عن أبيه ع أن رسول الله ص قال من رآنى فى منامه فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى فى صورتى ولا فى صورة أحد من أوصيائى ولا فى صورة أحد من شيعتهم وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة

قال الصادق ع يخرج رجل من ولد ابنى موسى اسمه اسم أمير المؤمنين ع فيدفن فى أرض طوس وهى بخراسان يقتل فيها بالسسم فيدفن فيها غريبا فمن زاره عارفا بحقه أعطاه الله عز وجل أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل

وقال رسول الله ص ستدفن بضعة منى بخراسان ما زارها مكروب إلا نفس الله كربته ولا مذنب إلا غفر الله ذنوبه

قال الرضا ع ما زارنى أحد من أوليائى عارفا بحقى إلا تشفعت فيه يوم القيامة

وقال أمير المؤمنين ع سيقتل رجل من ولدى بأرض خراسان بالسسم ظلما اسمه اسمى واسم أبيه اسم ابن عمران موسى ع ألا فمن زاره فى غربته غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر ولو كان مثل عدد النجوم وقطر الأمطار وورق الأشجار

وقال أبو الحسن موسى ع من زار قبر ولدى على كان له عند الله عز وجل سبعون حجة مبرورة قيل سبعين حجة مبرورة قال نعم وسبعين ألف حجة قلت سبعين ألف حجة قال فقال رب حجة لا تقبل من زاره وبات

عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه قيل كمن زار الله في عرشه قال نعم إذا كان يوم القيامة كان على عرش الله جل جلاله أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين فأما الأولون فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأما الآخرون فمحمد وعلى والحسن والحسين ع ثم يمد المطمر فيقعد معنا زوار قبور الأئمة إلا أن أعلاهم درجة وأقربهم حياة زوار قبر ولدى على

قال أبو جعفر بن بابويه رحمه الله معنى قوله كمن زار الله في عرشه ليس بتشبيه لأن الملائكة تزور العرش وتلوذ به وتطوف حوله وتقول نزور الله في عرشه كما يقول

ص: ٢٣٥

الناس نحج بيت الله ونزور الله لا أن الله عز وجل موصوف بمكان تعالى عن ذلك علوا كبيرا

قال أبو جعفر محمد بن على بن موسى ع من زار قبر أبي ع بطوس غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فإذا كان يوم القيامة نصب له منبر رسول الله ص حتى يفرغ الله تعالى من حساب عبادته

وقال الصادق ع يقتل حفدتى بأرض خراسان في مدينة يقال لها طوس من زاره بها عارفا بحقه أخذته بيدي يوم القيامة وأدخلته الجنة وإن كان من أهل الكبائر قلت جعلت فداك وما عرفان حقه قال يعلم أنه إمام مفترض الطاعة غريب شهيد من زاره عارفا بحقه أعطاه الله عز وجل أجر سبعين شهيدا ممن استشهد بين يدي رسول الله ص على حقيقة

قال الرضا ع من زارني على بعد دارى أتيتته يوم القيامة فى ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها إذا تطايرت الكتب يمينا وشمالا وعند الصراط وعند الميزان

وقال هشام بن أحمر قال لى أبو الحسن الأول ع هل علمت أحدا من أهل المغرب قدم قلت لا قال بل قد قدم رجل من أهل المغرب المدينة فانطلق بنا فركب وركبت معه حتى انتهينا إلى الرجل فإذا الرجل من أهل المغرب معه رقيق فقلت له أعرض علينا فعرض علينا سبع جوار كل ذلك يقول أبو الحسن ع لا حاجة لنا فيها ثم قال أعرض علينا قال ما عندى إلا جارية مريضة فقال له عليك أن تعرضها فأبى عليه فانصرف ثم أرسلنى من الغد فقال لى قل له كم غايتك فيها فإذا قال لك كذا وكذا مقدار فقل قد أخذتها فأتيتته فقال ما أريد أن أنقصها من كذا وكذا قلت قد أخذتها وهولك وقال هى لك لكن أخبرنى من الرجل الذى كان معك بالأمس قلت رجل من بنى هاشم قال من أى بنى هاشم قلت ما عندى أكثر من هذا فقال أخبرك أنى اشتريتها من أقصى المغرب فلقيتنى امرأة من أهل الكتاب فقالت ما هذه الوصيفة معك فقلت اشتريتها لنفسى قالت ما ينبغى أن تكون هذه عند مثلك إن هذه الجارية ينبغى أن تكون عند خير أهل الأرض فلا تلبث عنده إلا قليلا حتى تلد غلاما لم يولد بشرق الأرض وغربها مثله فلم تلبث عنده ع قليلا حتى ولدت الرضا ع ويقال لها أم البنين ويقال لها خيزران المريسية ويقال سكن النبوية

ص: ٢٣٦

وكان مولده بالمدينة يوم الجمعة. وفي رواية أخرى يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة. ووفاته ع في يوم الجمعة في شهر رمضان سنة ثلاث ومائتين وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة. وكان مدة خلافته عشرين سنة. وقال دعبل الخزاعي بقم في مقتل الرضا ع

أربع بطوس قبر الزكي به إن كنت تربع من دين علي وطرقبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرم هذا من العبر ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر هيهات كل امرئ رهن بما كسبت له يده فخذ ما شئت أو فذر

وسمعت مذاكرة أن دعبل بن علي قال في القصيدة التي فيها

مدارس آيات خلت من تلاوة وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن في الغرفات

قال الرضا ع

وقبر بطوس يا لها من مصيبة ألحت على الأحشاء بالزفرات

.وإن كان هذا البيت في قصيدته فهو من قول الرضا ع. قال الحسن بن هاني في علي بن موسى الرضا ع

قليل لي أنت أوحده الناس طرا في كلام من المقال النبيلك من جوهر الكلام بديع يثمر الله في يدي مجتنيه فعلى ما تركت مدح ابن موسى مع خصال كثيرة كن فيه قلت لا أهتدي لمدح إمام كان جبريل خادما لأبيه

قال الشيخ الإمام علي بن أحمد الفنجكردى

يجوز زيارة قبر ابن حرب وتربة حفص ويحيى بن يحيى فلم لا يجوز زيارة قبر الإمام علي بن موسى الرضا سليل البتول وسبط الرسول ونجل أبي الحسن المرتضى

ص: ٢٣٧

أ ما تستحي يا أسير الهوى من الله ذى العرش رب السما لا تطربى ومت صاغرا يمينى وذيلك يوم القضاء

مجلس في ذكر إمامة أبي جعفر محمد بن علي ومناقبه ع

والإمام بعد أبي الحسن علي بن موسى الرضا ع ابنه أبو جعفر محمد بن علي ع لنص أبيه عليه وإشارته إليه واعتبار الأدلة التي مضت

وكان أبو جعفر منعوتا بالمرتضى وبالمنتجب قال أبو يحيى الصنعاني كنت عند أبي الحسن الرضا فجاءه بابنه أبي جعفر وهو صغير فقال هذا المولود الذى لم يولد مولود أعظم على شيعتنا بركة منه

وروى أن قائلًا يقول لأبي الحسن الرضا ع يا سيدى إن كان كون فإلى من قال إلى أبى جعفر ابنى فكان القائل استصغر سن أبى جعفر فقال أبو الحسن ع إن الله تعالى بعث عيسى ابن مريم ع رسولا نبيا صاحب شريعة مبتدأة فى أصغر من السن الذى فيه أبوجعفر

قال صفوان بن يحيى قلت لأبى الحسن الرضا قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول يهب الله لى غلاما فقد وهب الله لك وأقر عيوننا فلا أرانى الله يومك فإن كان كون فإلى من فأشار بيده إلى أبى جعفر وهو قائم بين يديه فقلت له جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين قال وما يضره من ذلك قد قام عيسى بالحجة وهو ابن أقل من ثلاث سنين

قال يحيى بن حبيب الزيات أخبرنى من كان عند أبى الحسن جالسا فلما نهض القوم قال له أبو الحسن الرضا ع القوا أبا جعفر فسلموا عليه وجددوا به عهدا فلما نهض القوم التفت إلى فقال يرحم الله المفضل إنه كان ليقنع بدون هذا

وروى أن المأمون قد شغف بأبى جعفر لما رأى من فضله مع صغر سنه وبلوغه فى العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان فزوجه بابنته أم الفضل وحملها معه إلى المدينة وكان متوفرا على إكرامه وتعظيمه

ص: ٢٣٨

وإجلال قدره. قال الريان بن شبيب لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن على ع بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم فاستنكروه منه وخافوا أن ينتهى الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا ع فخاصوا فى ذلك واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه قالوا له نشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذى قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فإننا نخاف أن تخرج به عنا أمرا قد ملكناه الله وتنزع منا عزا قد ألبسناه الله وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديما وحديثا وما كان عليه الخلفاء الراشدون وقبلك من تبعدهم والتصغير بهم وقد كنا فى وهلة من عملك مع الرضا ع حتى كفانا الله المهم من ذلك فאלله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا وانصرف رأيك عن ابن الرضا واعدله إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره فقال لهم المأمون أما ما بينكم وبين آل أبى طالب فأنتم السبب فيه ولوأنصفتهم القوم لكانوا أولى بكم وأما ما كان يفعله من قبلى بهم فقد كان به قاطعا للرحم وأعوذ بالله من ذلك ووالله ما ندمت على ما كان منى من استخلاف الرضا ولقد سألته أن يقيم بالأمر وأنزعه عن نفسى فأبى وكان أمر الله قدرا مقدورا. وأما أبوجعفر محمد بن على فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل فى العلم والفضل مع صغر سنه والأعجوبة فيه بذلك وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا أن رأى ما رأيت فيه فقالوا له إن هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنه صبى لا معرفة له ولا فقه فأمهل ليتأدب ويتفقه فى الدين ثم اصنع ما بدا لك بعد ذلك. فقال لهم ويحكم إنى أعرف بهذا الفتى منكم وإن أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه لم يزل آباؤه أغنياء فى علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يبين لكم به

ما وصفت لكم عن حاله فقالوا له قد رضينا لك يا أمير المؤمنين لأنفسنا بامتحانه فخل بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن اعتراض في أمره وظهر للخاصة والعامة سديد رأى أمير المؤمنين فيه وإن عجز عن ذلك فقد كفيينا الخطب في معناه فقال لهم المأمون شأنكم وذلك متى أردتم فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مساءلة يحيى بن أكنم وهو يومئذ قاضى الزمان على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم

ص: ٢٣٩

يوما للاجتماع فأجابهم إلى ذلك فاجتمعوا في اليوم الذى اتفقوا عليه وحضر معهم يحيى بن أكنم وأمر المأمون أن يفرش لأبى جعفر دستا ويجعل فيه مستورتان ففعل ذلك وخرج أبو جعفر وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر وجلس المأمون في دست متصل بدست أبى جعفر

فقال يحيى بن أكنم للمأمون تأذن لى يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر فقال له المأمون استأذنه فى ذلك فأقبل إليه يحيى بن أكنم فقال أ تأذن لى جعلت فداك فى مسألة قال له أبو جعفر سل إن شئت قال يحيى ما تقول جعلت فداك فى محرم قتل صيدا فقال أبو جعفر قتله فى حل أوفى حرم عالما كان المحرم أوجاهلا عمدا كان أوطأ حرا كان أوعدا صغيرا كان أم كبيرا مبتديا أم معيدا من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها من صغار الصيد أم من كبارها مصرا على ما فعل أونا دما أ بالليل كان قتل صيده أم نهارا محرما كان بالعمرة إذ قتله أوبالحج كان محرما فتحير يحيى بن أكنم وبان فى وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتى عرف جماعة من أهل المجلس أمره فقال المأمون الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لى فى رأى ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم أ عرفتم الآن إلى ما كنتم تنكرونه ثم أقبل على أبى جعفر فقال له أ تخطب يا أبا جعفر قال نعم يا أمير المؤمنين فقال له المأمون اخطب جعلت فداك لنفسك فقد رضيتك لنفسى وأنا مزوجك أم الفضل ابنتى وإن رغم قوم لذلك فقال أبو جعفر الحمد لله إقرارا بنعمته ولا إله إلا الله إخلاصا لوحدهيته وصلى الله على محمد سيد بريته والأصفياء من عترته أما بعد فقد كان من فضل الله تعالى على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم ثم إن محمد بن على بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد صلوات الله عليهم أجمعين وهو خمسمائة درهم جيادا فهل زوجتنى يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور فقال نعم قد زوجتك يا أبا جعفر أم الفضل ابنتى على هذا الصداق المذكور فهل قبلت ذلك على الصداق المذكور ورضيت به

فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم فى الخاصة والعامة قال الريان بن الصلت ولم يلبث أن سمعنا أصواتا تشبه أصوات الملاحين فى محاوراتهم فإذا الخدم يجرون سفينة مرصعة تشبه بالجمال من الإبريسم على عجل مملوءة

من الغالية فأمر المأمون أن يخضب الخاصة من تلك الغالية ثم مدت إلى دار العامة فطيّبوا منها ووضعت الموائد وأكل الناس وخرجت الجوائز إلى كل قوم على أقدارهم فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة من بقي .

قال المأمون لأبي جعفر إن رأيت جعلت فداك أن تذكر لنا الفقه فيما فصلته عن وجوه قتل المحرم لتعلمه ونستفيده فقال أبو جعفر نعم إن المحرم إذا قتل صيدا في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا وإذا قتل فرخا في الحل فعليه حمل قد فطم وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ وإن كان من الوحش وكان حمار وحش أو بقرة فعليه بقرة وإن كان نعامة فعليه بدنة وإن كان ظبيا فعليه شاة وإن قتل شيئا من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا هديا بالغ الكعبة وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه وكان إحرامه بالحج نحره بمنى وإن كان إحرامه للعمرة نحره بمكة وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء وفي العمدة له المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ والكفارة على الحر في نفسه وعلى السيد في عبده والصغير لا كفارة عليه وهي على الكبير واجبة والنادم يسقط ندمه عقاب الآخرة والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة قال له المأمون أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك فقال أبو جعفر ليحيى أسألك قال ذاك إليك جعلت فداك فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك فقال له أبو جعفر أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراما عليه فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلت له فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له ما حال هذه المرأة وبما ذا حلت وحرمت عليه فقال يحيى بن أكثم لا والله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال ولا أعرف الوجه فيه فإن رأيت أن تفيدناه فقال أبو جعفر هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراما عليه فلما ارتفع النهار ابتاعها حلت له فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له فلما كان وقت الغروب ظهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلت له فلما كان في نصف

الليل طلقها واحدة فحرمت عليه فلما كان طلوع الفجر راجعها فحلت له

قال فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال لهم هل فيكم أحد يجيب هذه المسائل بمثل هذا الجواب أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال قالوا لا والله إن أمير المؤمنين أعلم بما رأى فقال ويحكم إن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال أ ما علمتم أن رسول الله ص افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين ع وهو ابن عشر سنين وقبل منه الإسلام وحكم له به لم يدع أحدا في سنه غيره وبايع الحسن والحسين ع وهما ابنا دون الست سنين ولم يبايع صبيا غيرهما أ فلا تعلمون أن ما اختص الله به هؤلاء القوم فإنهم ذرية بعضها من بعض يجرى لآخرهم ما يجرى لأولهم قالوا صدقت والله يا

أمير المؤمنين ثم نهض القوم فلما كان من الغد أحضر الناس وحضر أبو جعفر ع وصار القواد والحجاب والخاصة والعمال لتهنية المأمون وأبى جعفر فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضة فيها بنادق مسك وزعفران معجون في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنية وإقطاعات فأمر المأمون بنشرها على القوم من خاصته وكان كل من وقع في يده بندقية أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فأطلق له ووضعت أطباق البدر فنثرها بما فيها على القواد وغيرهم وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين ولم يزل مكرما لأبى جعفر ع معظما لقدره مدة حياته ويؤثره على ولده وأهل بيته. وقد روى الناس أن أم الفضل بنت المأمون كتبت إلى أبيها من المدينة تشكوأبا جعفر وتقول إنه يتسرى على ويغيرنى وكتب إليها المأمون يا بنية إنا لم نزوجك أبا جعفر لنحرم عليه حلالا فلا تعاودى لذكر ما ذكرت بعدها

ولما توجه أبو جعفر ع من بغداد منصرفا من عند المأمون قاصدا بها المدينة صار إلى شارع باب الكوفة ومعه الناس يشيعونه فانتهى إلى دار المسيب عند مغيب الشمس فنزل ودخل المسجد وكان في صحنه نبقة لم تحمل بعد فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أسفل النبقة فقام ع فصلى بالناس صلاة المغرب فقرأ في الأولى منها بالحمد وإذا جاء نصر الله والفتح وقرأ في الثانية بالحمد وقل هو الله أحد وقت قبل ركوعه فيها وصلى الثالثة وتشهد ثم جلس بذكر الله عز وجل وقام من غير أن يعقب فصلى النوافل أربع ركعات وعقب بعدها

ص: ٢٤٢

وسجد سجدتى الشكر ثم خرج فلما انتهى إلى النبقة رآها الناس وقد حملت حملا حسنا فتعجبوا من ذلك وأكلوا منها فوجدوه نبقا حلوا لا عجم له وودعوه ومضى ع من وقته إلى المدينة فلم يزل بها حتى أشخصه المعتصم في أول سنة عشرين ومائتين إلى بغداد فأقام بها حتى توفي

قال علي بن خالد كنت بالعسكر فبلغنى أن هناك رجلا محبوسا أتى به من ناحية الشام مكبولا وقالوا إنه تنبى فأتيت الباب وداريت البوابين حتى وصلت إليه فإذا رجل له فهم وعقل فقلت له يا هذا ما قصتك فقال إنى كنت رجلا بالشام أعبد الله فى الموضع الذى يقال إنه نصب فيه رأس الحسين ع فبينما أنا ذات ليلة فى موضعى مقبل على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصا بين يدى فنظرت إليه فقال لى قم فقمتم معه فمشى بى قليلا فإذا أنا فى مسجد الكوفة قال فصلى وصليت معه ثم انصرف وانصرفت معه فمشى قليلا فإذا أنا بمسجد رسول الله ص فسلم على رسول الله ص وصلى وصليت معه فمشى قليلا فإذا أنا بمكة فطاف بالبيت وطفتم معه ثم خرج ومشى قليلا فإذا أنا بموضع الذى كنت أعبد الله فيه بالشام وغاب الشخص عن عيني فبقيت حولا مما رأيت فلما كان فى العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به ودعانى فأجبت ففعل كما فعل فى العام الماضى فلما أراد مفارقتى بالشام قلت له سألتك بالحق الذى أقدرك على ما رأيت منك إلا أخبرتنى من أنت فقال أنا محمد بن على بن موسى بن جعفر ع فحدثت من كان يصير إلى الحيرة فرقى ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات فبعث إلى وأخذنى فكبلنى فى الحديد وحملنى إلى العراق وحبست كما ترى وادعى على المحال فقلت له فارفع عنك القصة إلى محمد بن عبد الملك الزيات فقال

افعل فكتبت عنه قصة شرحت أمره فيها ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك فوقع في ظهرها قل للذى أخرجك من الشام فى ليلة إلى الكوفة ومن الكوفة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة ومن مكة إلى الشام أن يخرجك من السجن قال على بن خالد فغمنى ذلك من أمره ورققت له وانصرفت محزوناً عليه فلما كان من الغد باكرت الحبس لأعلمه بالحال وأمره بالصبر والعزاء فوجدت الجند وأصحاب السجن وخلقاً عظيماً من الناس يهرعون فسألت عن حالهم فقبل لى المحمول من الشام المتنبئ افتقد البارحة من الحبس فلا ندرى أ خسف به الأرض أو اختطفه الطير وكان هذا الرجل يعنى على بن خالد زيدياً فقال بالإمامة لما رأى ذلك وحسن اعتقاده

ص: ٢٤٣

قال المطرفى مضى أبو الحسن الرضا ع ولى عليه أربعة آلاف درهم لم يكن يعرفها غيرى وغيره فأرسل إلى أبوجعفر ع إذا كان غد فأتنى فأتيته من الغد فقال لى مضى أبو الحسن ولك عليه أربعة آلاف درهم فقلت نعم فرفع المصلى الذى كان تحته فإذا تحته دنائير فدفعها إلى وكان قيمتها فى الوقت أربعة آلاف درهم

وقال محمد بن حمزة الهاشمى دخلت على أبى جعفر ع صبيحة عرسه بينت المأمون وكنت تناولت من الليل دواء فأول من دخل صبيحة أنا وقد أصابنى العطش فكرهت أن أدعوبالماء فنظر أبوجعفر ع فى وجهى وقال أراك عطشاناً قلت أجل قال يا غلام اسقنا ماء فقلت الساعة يأتونه بماء مسموم واغتممت لذلك فأقبل الغلام ومعه الماء المسموم فتبسم فى وجهى ثم قال يا غلام ناولنى الماء فتناول الماء وشرب ثم ناولنى فشربت وأطلت عنده فعطشت أيضاً فدعا بالماء ففعل كما فعل فى المرة الأولى فشرب ثم ناولنى فتبسم قال محمد بن حمزة قال لى محمد بن على الهاشمى والله إنى أظن أن أبا جعفر يعلم ما فى النفوس كما يقول الرافضة

قال إبراهيم بن عقبة كتبت إلى أبى الحسن الثالث سألته عن زيارة أبى عبد الله وزيارة أبى الحسن وزيارة أبى جعفر فكتب إلى أبوعبد الله ع المقدم وهذا أجمع وأعظم أجراً

وولد أبوجعفر ع بالمدينة ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ويقال النصف من شهر رمضان سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة وقبض ببغداد قتيلاً مسموماً فى آخر ذى القعدة وقيل مات يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة عشرين ومائتين فله يومئذ خمس وعشرون سنة وأمه أم ولد يقال لها الخيزران وكانت من أهل مارية القبطية ويقال اسمها سبيكة وكانت نوبية وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة. قال محمد بن أبى طلحة العوفى

سلام وريحان وروح على الرضا سلام على تاليه كالكوب الدرى

قال آخر

أولاد أحمد كل أغبر شاحب رث الثياب ملوح كأراك وبنو الزناة يملكون على الورى سبحان خالقنا على الأفلاك

وكان سبب وروده ع إلى بغداد إشخاص المعتصم له من المدينة فورد بغداد لليلتين

ص: ٢٤٤

من المحرم سنة عشرين ومائتين وتوفى بها

مجلس في ذكر إمامة أبي الحسن على بن محمد ومناقبه ع

والإمام بعد أبي جعفر محمد ابنه أبو الحسن على بن محمد لنص أبيه عليه ولدلائل معتبرة باعتبار العقل

قال إسماعيل بن مهران لما خرج أبو جعفر ع من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى عند خرجته قلت له جعلت فداك إنني أخاف عليك في هذا الوجه فإلى من الأمر بعدك قال فكر بوجه ضاحكا إلى وقال لي ليس حيث ظننت في هذه السنة فلما استدعى به إلى المعتصم صرت إليه فقلت له جعلت فداك أنت خارج فإلى من هذا الأمر بعدك قال فبكى حتى خضب لحيته ثم التفت إلى فقال عند هذه يخاف على الأمر بعدى إلى ابني على

قال زيد بن علي بن الحسين بن زيد مرضت فدخل على الطبيب ليلا ووصف لي دواء آخذه في السحر كذا وكذا يوما فلم يمكنني تحصيله من الليل وخرج الطبيب من الباب وورد صاحب أبي الحسن ع في الحال ومعه صرة فيها ذلك الدواء بعينه فقال لي أبو الحسن يقرئك السلام ويقول خذ هذا الدواء كذا وكذا يوما فأخذت فشربت فبرأت

قال محمد بن علي فقال لي زيد بن علي أين الغلاة عن هذا الحديث قال خيزران الأسباطى قدمت على أبي الحسن علي بن محمد ع المدينة فقال لي ما خبر الوائق عندك قلت جعلت فداك خلفته في عافية أنا من أقرب الناس عهدا به عهدي به منذ عشرة أيام قال إن أهل المدينة يقولون إنه مات قلت أنا أقرب الناس به عهدا قال فقال لي يا هذا إن الناس يقولون إنه مات فلما قال لي إن الناس يقولون علمت أنه يعني نفسي ثم قال لي ما فعل جعفر قلت تركته أسوأ الناس حالا في السجن قال فقال أما إنه صاحب الأمر ما فعل ابن الزيات قلت الناس معه والأمر أمره فقال إنه شوم

ص: ٢٤٥

عليه قال ثم سكت وقال لي لا بد أن تجرى مقادير الله وأحكامه يا خيزران مات الوائق وقد قعد المتوكل جعفر وقد قتل ابن الزيات قلت متى جعلت فداك قال بعد خروجك بستة أيام

وكان شخوص أبي الحسن ع من المدينة إلى سر من رأى أن عبد الله بن محمد كان يتولى الحرب والصلاة في مدينة رسول الله ص فسعى بأبي الحسن ع إلى المتوكل وكان يقصده بالأذى وبلغ أبا الحسن ع سعائته به فكتب إلى المتوكل تحامل عبد الله بن محمد وتكذيبه عليه فيما سعى به فتقدم المتوكل بإجابته عن كتابه ودعائه فيه إلى حضور العسكر على جميل من الفعل والقول وخرجت نسخة الكتاب وهي بسم الله الرحمن

الرحيم أما بعد فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك راع لقربتك موجب لحقك مقدر من الأمور فيك وفي أهل بيتك ما يصلح الله به حالك وحالهم ويثبت به عزك وعزهم ويدخل الأمن عليك وعليهم يبتغي بذلك رضا ربه وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولى من الحرب والصلاة بمدينة رسول الله ص إذا كان على ما ذكرت من جهالته بحقك واستخفافه بقدرك وعند ما قذفك به ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه وصدق نيتك في برك وقولك وأنت لم تؤهل نفسك فيما فرقت بطلبه وقد ولي به أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل وأمره بإكرامك وتبجيلك والانتفاء إلى أمرك ورأيك والتقرب إلى الله تعالى وإلى أمير المؤمنين بذلك وأمير المؤمنين مشتاق إليك يحب إحداث العهد بك والنظر إليك فإن نشطت لزيارته والمقام قبله ما أحببت شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة ترحل إذا شئت وتنزل إذا شئت وتسير كيف شئت وأنا أحببت أن تكون مع يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند يرحلون برحيلك ويسيرون بمسيرك والأمر في ذلك إليك وقد تقدمنا إليه بطاعتك فاستخر الله حتى توافي أمير المؤمنين فما أحد من إخوته وولده وأهل بيته وخاصته أطف منزلة ولا أحمد له أثر ولا هولهم أنظر وعليهم أشفق وبهم أبر وإليهم أسكن منه إليك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وكتب إبراهيم بن العباس في شهر كذا ومن سنة ثلاث وأربعين ومائتين فلما وصل الكتاب إلى أبي الحسن ع تجهز للرحيل وخرج مع يحيى بن هرثمة حتى وصل إلى

ص: ٢٤٦

سر من رأى فلما وصل إليها تقدم المتوكل بأن يحجب عنه في يومه فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك وأقام فيه يومه ثم تقدم المتوكل بإفراد دار له فانتقل إليها

قال صالح بن سعيد دخلت على أبي الحسن ع يوم وروده فقلت له جعلت فداك في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك فقال هاهنا أنت يا ابن سعيد ثم أوماً بيده فإذا أنا بروضات أنيقات وأنهار جاريات وجنات فيها خيرات عطرات وولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون فحار بصري وكثر عجبى فقال لى حيث كنا فهذا لنا يا ابن سعيد لسنا في خان الصعاليك وأقام أبو الحسن ع مدة مقامه بسر من رأى مكرماً له في ظاهر حاله

يجتهد المتوكل بإيقاع حيلة به فلا يتمكن من ذلك وله معه أحاديث يطول بذكره الكتاب

قيل لأبي عبد الله ع ما لمن زار أحدا منكم قال كمن زار رسول الله ص

قال الرضا ع إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائهم وشيعتهم ومن تمام الوفاء والعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم من زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة

قال أبو محمد الحسن بن علي ع قبري بسر من رأى أمان لأهل الجانبين

وكان مولده بمدينة الرسول ص يوم الثلاثاء النصف من ذى الحجة سنة اثنتى عشرة ومائتين وتوفى بسر من رأى بثلاث ليال خلون نصف النهار سنة أربع وخمسين ومائتين وله يومئذ إحدى وأربعون سنة وسبعة أشهر وأمه أم ولد يقال لها سمانة وكانت مدة إمامته ثلاث وثلاثين سنة وكانت مدة مقامه بسر من رأى إلى أن قبض ع عشرين سنة وأشهر. أنشد

أ تقتل يا ابن الشفيح المطاع ويا ابن المصاييح ويا ابن الغرور يا ابن الشريعة ويا ابن الكتاب ويا ابن الرواية وابن الأثرمناسب ليست بمجهولة بيدوالبلاذ ولا بالحضر مهذبة من جميع الجهات ومن كل شائبة أوكدر سلام على من أكمل العشر باسمه سلام من البارى على حادى عشر

ص: ٢٤٧

مجلس فى ذكر إمامة أبى محمد الحسن بن على العسكرى ومناقبه ع

والإمام بعد أبى الحسن ابنه أبو محمد الحسن ع لاجتماع خصال الفضل فيه وتقدمه على كافة عصره فيما يوجب له الإمامة ويقتضى له الرئاسة من العلم والزهد وكمال العقل والعلم والعصمة والشجاعة ولنص أبيه عليه والدلائل التى قد مضت

قال على بن مهزيار قلت لأبى الحسن ع إن كان كون وأعوذ بالله فإلى من قال عهدى إلى أكبر ولدى يعنى الحسن ع

قال محمد بن يحيى دخلت على أبى الحسن ع بعد مضى أبى جعفر ابنه فعزيت به عنه وأبو محمد جالس فبكى أبو محمد فأقبل عليه أبو الحسن ع وقال إن الله تبارك وتعالى قد جعل فيك خلفا فاحمد الله

قال عبد الله بن محمد الأصفهاني قال أبو الحسن ع صاحبكم بعدى الذى يصلى على قال ولم تكن نعرف أبا محمد قبل ذلك قال فخرج أبو محمد ع بعد وفاة أبيه فصلى عليه

قال محمد بن على بن إبراهيم بن موسى بن جعفر ضاق بنا الأمر فقال لى أبى امض بنا حتى نصير إلى هذا الرجل يعنى أبا محمد فإنه قد وصف عنه سماحته فقلت تعرفه فقال ما أعرفه ولا رأيته قط قال فقصدناه فقال أبى وهو فى طريقه ما أحوجنا أن يأمر لنا بخمس مائة درهم مائة درهم للكسوة ومائة درهم للرفيق ومائة درهم للنفقة وقلت فى نفسى ليت به أمر لى بثلاثمائة درهم مائة أشتري بها حمارا ومائة للنفقة ومائة للكسوة فأخرج إلى الجبل قال فلما وافينا الباب خرج إلينا غلامه فقال يدخل على بن إبراهيم ومحمد ابنه فلما دخلنا عليه وسلمنا قال لأبى يا على ما خلفك عنا إلى هذا الوقت قال يا سيدى استحييت أن ألقاك على هذه الحال فلما خرجنا من عنده جاءنا غلامه فناول أبى صرة وقال هذه خمس مائة درهم مائتان للكسوة ومائتان لكذا ومائة للنفقة وأعطاني صرة وقال هذه ثلاثمائة درهم اجعل مائة فى ثمن الحمار ومائة للكسوة ومائة للنفقة ولا تخرج إلى الجبل وصر إلى سور

قال فصار إلى سور أوتزوج بامرأة منها فدخله اليوم ألفا دينار ومع هذا يقول بالوقف.

ص: ٢٤٨

قال محمد بن إبراهيم الكردي فقلت له ويحك أ تريد أمرا أبين من هذا قال فقال صدقت ولكننا على أمر قد جرينا عليه

قال أحمد بن الحارث القزويني كنت مع أبي بسر من رأى وكان أبي يتعاطى البيطرة في مرتبط أبي محمد ع قال وكان للمستعين بغل لم ير مثله حسنا وكبرا وكان يمنع ظهره من اللجام وقد كان جمع عليه الرواض فلم تكن لهم حيلة في ركوبه قال فقال له بعض ندمائه أ لا تبعث إلى الحسن ابن الرضاع فيجيء إما أن يركبه وإما أن يقتله قال فبعث إلى أبي محمد ع ومضى معه أبي قال فلما دخل أبو محمد الدار كنت مع أبي فنظر أبو محمد إلى البغل واقفا في صحن الدار فعدل إليه فوضع يده على كفله قال فنظرت إلى البغل وقد عرق حتى سال العرق منه ثم صار إلى المستعين فسلم فرحب به فقرب فقال يا أبا محمد ألجم هذا البغل فقال أبو محمد لأبي ألجمه يا غلام فقال له المستعين ألجمه أنت فوضع أبو محمد طيلسانه عليه ثم قام فألجمه ثم رجع إلى المستعين وجلس فقال له يا أبا محمد أسرجه فقال لأبي يا غلام أسرجه فقال له المستعين بل أنت أسرجه فقام ثانية فأسرجه ورجع فقال له ترى أن تركبه فقام أبو محمد فركبه من غير أن يمتنع عليه ثم ركضه في الدار ثم حمله على المحجة فمشى أحسن مشى يكون ثم رجع فنزل فقال له المستعين يا أبا محمد كيف رأيته قال ما رأيته مثله حسنا وراحة قال له المستعين إن أمير المؤمنين حملك عليه فقال أبو محمد لأبي خذه يا غلام فأخذه وقاده

قال أبو حمزة نصير الخادم سمعت أبا محمد غير مرة يكلم غلمانة بلغاتهم وفيهم ترك وروم وصقالبة فتعجبت من ذلك وقلت هذا ولد بالمدينة ولم يظهر حتى مضى أبو الحسن ولا رآه أحد فكيف هذا أحدث نفسي بذلك فأقبل على فقال إن الله تبارك وتعالى بين حجته من سائر خلقه فأعطاه معرفة كل شيء فهو يعرف اللغات والأنساب والحوادث ولولا ذلك لم يكن بين الحجة والمحجوج فرق

قال محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر دخل العباسيون على صالح بن وصيف عند ما حبس أبو محمد ع فقالوا له ضيق عليه ولا توسع فقال لهم صالح ما أصنع به قد وكلت به رجلين من شر من قدرت عليه فقد صار من العبادة والصلاح والصيام إلى أمر عظيم ثم أمر بإحضار الموكلين فقال لهما ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل فقالا ما نقول في رجل يقوم الليل كله ويصوم النهار كله لا يتكلم

ص: ٢٤٩

ولا يتشاغل بغير العبادة فإذا نظرنا إليه أرعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا فلما سمع العباسيون انصرفوا خائبين

وروى أصحابنا أنه سلم أبو محمد إلى يحيى وكان يضيق عليه ويؤذيه فقالت له امرأته اتق الله فإنك لا تدري من في منزلك وذكرته له صلاحه وعبادته وقالت إني أخاف عليك منه فقال والله لأرمينه بين السباع ثم استأذن في ذلك فأذن له فرمى به إليها ولم يشك في أكلها له فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال فوجده ع قائما يصلي وهي حوله فأمر بإخراجه إلى داره

قال الحسن بن محمد الأشعري ومحمد بن يحيى وغيرهما كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضياع والخراج بقم فجرى في مجلسه يوما ذكر العلوية ومذاهبهم وكان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت ع فقال ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى رجلا من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبرته عند أهل بيته وبنى هاشم كافة وتقديمهم إياه على ذوى السن منهم والخطر وكذلك كانت حاله عند القواد والوزراء والعامّة وأذكر أنى كنت يوما قائما على رأس أبى وهو يوم مجلسه للناس إذ دخل حجابهم فقالوا أبو محمد الرضا بالباب فقال بصوت عال ائذنوا له فتعجبت مما سمعته منهم ومن جسارتهم أن يكونوا رجلا بحضرة أبى ولم يكن عنده إلا خليفة أوولى عهد أو من أمر السلطان أن يكنى فدخل رجل أسمر حسن القامة جميل الوجه جيد البدن حدث السن له جلالة وهيبه حسنة فلما نظر إليه أبى قام فمشى إليه خطا ولا أعلم فعل هذا بأحد من بنى هاشم والقواد فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذى كان عليه وجلس على جنبه مقبلا عليه بوجهه وجعل يكلمه ويفديه بنفسه وأنا متعجب مما أرى منه إذ دخل الحاجب فقال الموفق قد جاء وكان الموفق إذا دخل على أبى تقدمه حجابهم وخاصة قواده فقاموا بين مجلس أبى وبين الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج فلم يزل أبى مقبلا على أبى محمد يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة فقال حينئذ له إذا شئت جعلنى الله فداك ثم قال لحجابهم خذوا به خلف السماطين لا يراه هذا يعنى الموفق فقام وقام أبى وعانقه ومضى فقلت لحجاب أبى وغلمانهم ويلكم من هذا الذى كنيتموه بحضرة أبى وفعل به هذا الفعل فقالوا هذا علوى يقال له الحسن بن علي يعرف بابن الرضا فازداد تعجبي ولم أزل

ص: ٢٥٠

يومى ذلك قلنا متفكرا فى أمره وأمر أبى وما رأيته فيه حتى كان الليل وكان عادته أن يصلى العتمة ثم يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه من السلطان فلما صلى وجلس جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد فقال لى يا أحمد أ لك حاجة قلت نعم يا أبة فإن أذنت سألتك عنها فقال قد أذنت فقلت يا أبة من الرجل الذى رأيته بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والإكرام والتبجيل وفديته بنفسك وأبويك فقال يا بنى ذاك إمام الرافضة الحسن بن علي المعروف بابن الرضا ثم سكت ساعة وأنا ساكت ثم قال لوزالت الإمامة عن خلفائنا بنى العباس ما استحقها أحد من بنى هاشم غيره لفضله وعفافه وهديه وصيانتهم وزهده وعبادته وجميع أخلاقه ولورأيت أباه رأيته رجلا جزلا نبيلًا فازددت قلنا وتفكرا وغيظا على أبى وما سمعت منه ورأيت من فعله به فلم يكن لى همة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره فما سألت أحدا من بنى هاشم والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلا وجدته عنده فى غاية الإجلال والإعظام والمحل

الرفيع والقول الجميل والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه فعظم قدره عندي إذ لم أر له وليا ولا عدوا إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه وقال بعض من حضر مجلسه من الأشعريين فما خبر أخيه جعفر وكيف كان منه في المحل فقال ومن جعفر حتى يسأل عن خبره أويقرن بالحسن جعفر معلن بالفسق فاجر يترتب للخمور أقل من رأيت من الرجال وأهتكهم لنفسه خفيف قليل في نفسه ولقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن علي ما تعجبت منه وما ظننت أنه يكون وذلك إنه لما اعتل بعث إلى أبي أن ابن الرضا قد اعتل فركب من ساعته إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلا ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته فيهم نحرير وأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف خبره وحاله وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره بمجلسه وأمره أن يختار عشرة ممن يوثق به في دينه وورعه وأمانته فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلا ونهارا فلم يزلوا هناك حتى توفي الحسن ع فلما ذاع خبر وفاته صارت سر من رأى ضجة واحدة وعطلت الأسواق وركب بنوهاشم والقواد وسائر الناس إلى جنازته وكانت سر من رأى يومئذ شبيهة بالقيامة فلما فرغوا من تهنئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم

ص: ٢٥١

من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين. وقال هذا الحسن بن علي بن محمد الرضا مات حتف أنفه على فراشه وحضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان ومن المتطبيين فلان وفلان ثم غطي وجهه وصلى عليه وأمره بحمله ولما دفن جاء جعفر بن علي أخوه إلى أبي وقال اجعلني على مرتبة أخي وأنا أوصل إليك في كل سنة عشرين ألف ديناراً فزبره أبي واسمه ما كرهه. وقال له يا أحمق السلطان أطال الله بقاءه جرد السيف في الذين زعموا أن أخاك وأباك أئمة ليردهم عن ذلك فلم يتهياً له ذلك فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى السلطان يرتبك مراتبهم ولا غير السلطان وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا واستقله أبي عند ذلك واستضعفه وأمر أن يحجب عنه فلم يأذن له في الدخول عليه حتى مات أبي وخرجنا وهو على تلك الحال والسلطان يطلب أثر الولد للحسن بن علي إلى يومنا وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً وشيعته مقيمون على أنه مات وخلف ولداً يقوم مقامه في الإمامة. وكان مولده ع بالمدينة يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر. وقيل ولد بسر من رأى في شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وقبض ع يوم الجمعة لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وله يومئذ ثمان وعشرون سنة وكانت مدة خلافته ست سنين ومرض في أول شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وتوفي يوم الجمعة وأمّه أم ولد يقال لها حديثه. وفضل زيارته قد بينا قبل هذا الباب

فإنه قال ع قبري بسر من رأى أمان لأهل الجانبين

وأنشد

سلام على من سر من رأى محله سلام على المرجوفى محكم الزبرسلام على أولاد زمزم والصفواخيف منى
والبيت والركن والحجرعلى خمسة منى السلام وسبعةلعلهم أن يشفعوا فى موضع الحشر

قال دعبل

إن اليهود بحبها لنبيها أمنت بوائق دهرها الخوان وكذا النصارى حبهم لنبيهم يمشون رهوا فى قرى نجران

ص: ٢٥٢

والمسلمون بحب آل نبيها يرمون فى الآفاق بالنيران

مجلس فى ذكر ما روى فى نرجس أم القائم ع واسمها مليكة بنت يشوعا بن قيصر الملك

قال بشر بن سليمان النخاس من ولد أبى أيوب الأنصارى أحد موالى أبى الحسن أبى محمد ع قال كان مولانا
أبو الحسن على بن محمد العسكرية فقهنى فى أمر الرقيق فكنت لا أبتاع ولا أبيع إلا بإذنه فاجتنبت بذلك
موارد الشبهات حتى كملت معرفتى فيه فأحسنست الفرق بين الحلال والحرام فبينما أنا ذات ليلة فى منزلى بسر
من رأى وقد مضى هوى منها إذ قرع الباب قارع فعدوت مسرعا فإذا بكافور الخادم رسول مولانا أبى الحسن
على بن محمد ع يدعونى إليه فلبست ثيابى ودخلت فرأيتة يحدث ابنه أبا محمد ع وأخته حكيمة من وراء
الستر فلما جلست قال يا بشر إنك من ولد الأنصار وهذه الولاية لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف وأنتم
تقاتنا أهل البيت وإنى مزكيك ومسرحك بفضيلة تسبق بها سائر الشيعة فى الموالاة بها بسر أطلعك عليه
وأفذك فى تتبع أمره وكتب كتابا ملطفا بخط رومى ولغة رومية وطبع عليه خاتمه وأخرج شقة صفراء فيها
مائتان وعشرون دينارا قال خذها وتوجه بها إلى بغداد واحضر معبر الفرات ضحوة كذا فإذا وصلت إلى
جانبك زواريق السبايا وبرزت الجوارى منها فستحديق بهن طوائف المبتاعين من وكلاء قواد بنى العباس
وشراذم من فتيان العراق فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمى عمرو بن يزيد النخاس عامة نهارك
إلى أن يبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا لابس خزين صفيقين تمتنع من السفور ولمس المعرض والانقياد لمن
يحاول لمسها أو شغل نظرها بتأمل مكاشفها من وراء الستر الرقيق فيضربها النخاس فتصرخ صرخة رومية
فاعلم أنها تقول وا هتك ستراه فيقول بعض المبتاعين على بثلاثمائة دينار فقد زادنى العفاف فيها رغبة فتقول
بالعربية لو برزت فى زى سليمان على مثل سرير ملكه ما بدت لى فيك رغبة فأشفق على مالك فيقول لها
النخاس فما الحيلة ولا بد من بيعك فتقول الجارية وما العجلة ولا بد من اختيار مبتاع يسكن قلبى إلى أمانته

ص: ٢٥٣

ووفائه فعند ذلك قم إلى عمرو بن يزيد النخاس وقل له إن معى كتابا ملطفا لبعض الأشراف كتبه بلغة رومية
وخط رومى ووصف فيه كرمه ووفائه ونبله وسخاءه فناولها لتتأمل منه أخلاق صاحبه فإن مالت إليه ورضيته
فأنا وكيله فى ابتياعها منك. قال بشر بن سليمان النخاس فامتثلت جميع ما حده لى مولاي أبو الحسن ع فى
أمر الجارية فلما نظرت فى الكتاب بكى بكاء شديدا وقالت لعمر بن يزيد النخاس بعنى من صاحب هذا

الكتاب وحلفت بالمرحجة المغلظة إنه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها فما زلت أشاحه في ثمنها حتى استقر الأمر على مقدار ما كان أصحابه مولاي من الدنانير في الشقة الصفراء فاستوفاه منى وتسلمت منه الجارية ضاحكة مستبشرة وانصرفت بها إلى حجرتي التي كنت آوى إليها ببغداد فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولانا من جيبها وهي تلثمه وتضعه على خدها وتمسحه على ثديها فقلت تعجبا منها أ تلتمين كتابا ولا تعرفين صاحبه قالت أيها العاجز الضعيف المعرفة بمحل أولاد الأنبياء أعرنى سمعك وفرغ لى قلبك أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم وأنا من ولد الحواريين ينسب إلى وصي المسيح شمعون أنثىك العجيب إن جدى قيصر أراد أن يزوجنى من ابن أخيه وأنا من بنات ثلاث وعشرة سنة فجمع من نسل الحواريين من القسيسين والرهبان ثلاثمائة رجل ومن ذوى الأخطار منهم سبعمائة رجل وجمع من أمراء الأجناد وقواد العساكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف وأبرز من نهر ملكه عرشا مرصعا من أصناف الجواهر إلى صحن القصر فرفعه فوق أربعين مرقاة فلما صعد ابن أخيه وأحدقت به الصلبان وقامت الأساقفة عكفا ونشرت أسفار الإنجيل تسافلت الصلبان من الأعالي فلصقت بالأرض وتقوضت الأعمدة فانهارت إلى القرار وخر الصاعد من العرش مغشيا عليه فتغيرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم فقال كبيرهم لجدى أيها الملك اعفنا من ملاقة هذه النحوس الدالة على زوال هذا الدين المسيحى والمذهب الملكانى فتطير جدى من ذلك تطيرا شديدا وقال للأساقفة أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا الصلبان وأحضروا أبا هذا المدبر العاثر المنكوس جده لأزواج منه هذه الصبية فيدفع نحوسه عنكم بسعوده فلما فعلوا ذلك حدث على الثانى ما حدث على الأول فتفرق الناس وقام جدى قيصر مغتما فدخل قصره وأرخت الستور ورأيت من تلك الليلة كان المسيح وشمعون وعدة من الحواريين قد اجتمعوا فى قصر جدى ونصبوا فيه

ص: ٢٥٤

منبرا يبارى السماء علوا وارتفاعا فى الموضع الذى كان جدى نصب فيه عرشه فدخل عليهم محمد ص مع فتية وعدة من بنيه فيقوم إليه المسيح فيعتنقه ويقول يا روح الله إني جئتكم خاطبا من وصيك شمعون فتاته مليكة لابنى هذا وأوماً بيده إلى أبى محمد صاحب هذا الكتاب فنظر المسيح إلى شمعون فقال قد أتاك الشرف فصل رحمك برحم رسول الله ص قال قد فعلت فصعدوا ذلك المنبر وخطب محمد وزوجنى من ابنه وشهد بنو محمد والحواريون فلما استيقظت من نومى خشيت أن أقص هذه الرؤيا على أبى وجدى مخافة القتل فكنت أسرها فى نفسى ولا أبديها لهم فضرب صدرى لمحبة أبى محمد حتى امتنعت من الطعام والشراب فضعفت نفسى ورق شخصى ومرضت مرضا شديدا فما بقى فى مدائن الروم طيبب إلا أحضره جدى وسأله عن دأى فلما برح لى اليأس قال يا قرّة عينى فهل يخطر ببالك شهوة فأزودكها فى هذه الدنيا فقلت يا جدى أرى أبواب الفرج على مغلقة فلو كشفت عن سجنك من المسلمين من الأسارى وفككت عنهم الأغلال وتصدقت عليهم ومننتهم الخلاص رجوت أن يهب لى المسيح وأمه عافية وشفاء فلما فعل ذلك تجلدت فى إظهار الصحة فى بدنى وتناولت يسيرا من الطعام فسر بذلك جدى وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم فأريت أيضا بعد أربع عشرة ليلة كان سيدة النساء قد زارتنى ومعها مريم بنت عمران وألف من وصائف الجنان فقول لى مريم هذه سيدة النساء أم زوجك أبى محمد فأتعلق بها وأبكى وأشكو إليها امتناع أبى محمد من

زيارتى فقالت سيدة النساء إن ابني أبا محمد لا يتزوجك وأنت مشركة بالله على مذهب النصارى وهذه أختى مريم تبرئ إلى الله من دينك فإن ملت إلى رضا الله ورضا المسيح ومريم عنك وزيارة أبى محمد إياك فقولى إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتنى سيدة نساء العالمين إلى صدرها وطببت نفسى وقالت الآن توقعى زيارة أبى محمد إياك فإنى منفذته إليك فانتبهت وأنا أقول وا شوقاه إلى لقاء أبى محمد ثم رأيت بعد ذلك أبا محمد كأنى أقول له لم جفوتنى يا حبيبى بعد أن شغلت قلبى بجوامع حبك قال ما كان امتناعى وتأخيرى عنك إلا لشركك فإذا قد أسلمت فإنى زائر لك كل ليلة إلى أن يجمع الله شملنا فى العيان فما قطع عنى زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية قال بشر فقلت لها وكيف وقعت فى الأسارى فقالت أخبرنى أبو محمد ليلة من الليالى أن جدك سيسرب جيوشا إلى قتال المسلمين يوم كذا ثم يتبعهم

ص: ٢٥٥

فعليك بالحق به متنكرة فى زى الخدم مع عدة من الوصائف من طريق كذا ففعلت فوقعت علينا طلائع المسلمين حتى كان من أمرى ما رأيت وشاهدت وما شعر بأنى ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية أحد سواك وذلك باطلاعى إياك عليه ولقد سألتى الشيخ الذى وقعت إليه فى سهم الغنيمة عن اسمى فأنكرته فقلت نرجس فقال اسم الجوارى العجب إنك رومية ولسانك عربى قلت بلغ من ولوع جدى بى وحمله إياى على تعلم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمانة له فى الاختلاف إلى فكانت تقصدنى صباحا ومساء وتغذيني العربية حتى استمر عليها لسانى واستقام قال بشر فلما انكفأت إلى سر من رأى دخلت على مولاي أبى الحسن العسكرى ع قال لها كيف أراك الله عز الإسلام وذل النصرانية وشرف أهل بيت نبيه محمد ص قالت كيف أصف لك يا ابن رسول الله ما أنت أعلم به منى قال فإنى أحب أن أكرمك فأيهما أحب إليك عشرة ألف درهم أم بشرى لك فيها شرف الأبد قالت بل البشرى قال فأبشرى بولد يملك الدنيا شرقا وغربا ويملا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما قالت ممن قال ممن خطبك رسول الله ص ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا بالرومية قالت من المسيح أووصيه قال فمن زوجك المسيح ووصيه قالت هل اسمك أبو محمد قال فهل تعرفينه قالت فهل خلت ليلة من زيارته إياى منذ الليلة التى أسلمت فيها على يد سيدة نساء العالمين أمه فقال أبو الحسن ع يا كافور ادع لى أختى حكيمة فلما دخلت عليه قال لها ها هى فاعتنقتها أخته طويلا وسألها كثيرا فقال مولانا يا بنت رسول الله أخرجيها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبى محمد وأم القائم ع. قد تم المجلد الأول من كتاب روضة الواعظين فى مناقب أهل البيت الطاهرين ع